جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الخيانة في القرآن الكريم

إعداد

محمد أحمد محمود الحاج حسن

إشراف

د. عودة عبد الله

قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين

2010م

الخيانة في القرآن الكريم

إعداد

محمد أحمد محمود الحاج حسن

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : 2010/2/2 ، وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- د. عودة عبد الله (مشرفاً و رئيساً)	....
- د. محسن الخالدي (ممتحناً داخلياً)	....
- د. حاتم جلال (ممتحناً خارجياً)	....

الإهداء

إلى الذين اكتوَوا بنار الخيانة في كل مكان .

إلى الذين عانوا وابتلوا وكابدوا ظلما وحشة السجون وآلام القهر والعذاب .

إلى الذين قضوا من أجل دينهم ومقدساتهم وأعراضهم وأوطانهم .

إلى الذين عرفوا وعايشوا معنى المكر والخديعة .

إلى الذين طالتهم خناجر الغدر المسمومة في ظهورهم .

وإلى الذين هم على طريق الهدى والحق سائرون لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم .

إلى المرابطين على ثرى فلسطين الطاهر .

إلى كل المخلصين الذين يحفظون أمانة الله المناطة في أعناقهم ، فلا يفرطون ولا يضيعون .

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد سائلا المولى سبحانه وتعالى الرضا والقبول .

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على ما أعان ويسر وسهل لي إنجاز هذا العمل ، وعلى كـل نعمـه وعطاياه التي لا تعد ولا تحصى ، أتقدم بجميل الشكر والعرفان ، وعظيم الفضـل والامتنـان ، إلى الدكتور الفاضل : عودة عبد الله ، حفظه الله ورعاه ، ونفع به ، وجزاه عنا خير الجـزاء ؛ على ما بذل من جهده ووقته ، وتوجيهه وإرشاده ، من أجل إتمام هذا البحث وإخراجه بصـورة لائقة نافعة إن شاء الله تعالى .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير للأستاذين الكريمين : د. محسن الخالدي و د. حـاتم جـلال ، اللذين تكرما بمناقشة هذه الرسالة ، وأبديا ملاحظاتهما السديدة على هذا العمـل ، فجزاهمـا الله عن أهل العلم خير الجزاء .

إقرار

أنا الموقع أدناه ، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان :

الخيانة في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخالص ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد ، وإن هذه الرسالة ككل ، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work , and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification .

Student's Name :
اسم الطالب : محمد أحمد محمود الحاج حسن

Signature :
التوقيع :

Date :
التاريخ : 2010/2/2 م

فهرست الموضوعات

الخيانة في القرآن الكريم

إعداد

محمد أحمد محمود الحاج حسن

إشراف

الدكتور عودة عبد الله

الملخص

الخيانة جريمة نكراء ، نبّه القرآن الكريم ، بل وأكّد على خطورتها من خلال حشد كبير من الآيات الكريمة التي تحدثت عن هذه الخيانة من جوانب متعددة ، فقد بيّنَت الآيات صفات الخائنين وأفعالهم ، كما بيّنت أنواعا متعددة للخيانة ؛ كخيانة الدين ، والعرض ، والوطن ، والجوارح . وعرض القرآن الكريم نماذج من الخيانة ؛ كخيانة أهل الكتاب ، وخيانة امرأة العزيز ، وخيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام ، وخيانة إخوة يوسف ، وخيانة حاطب بن أبي بلتعة . كما بين القرآن الكريم عاقبة أهل الخيانة في الدنيا والآخرة . وقد شكل مجموع الآيات التي تحدثت عن الخيانة منهج القرآن الكريم في التعامل مع هذه الظاهرة .

وقد بدأت هذه الدراسة بالتعريف بالخيانة في اللغة والاصطلاح ، وبينت دلالتها في السياق القرآني ، وبينت المقصود بخيانة الأمانة ، وهي الخيانة الشاملة التي تعم كل الأمانات ؛ كأمانة الدين والتكاليف الشرعية ، وأمانة العرض والشرف ، وأمانة الوطن والمقدسات ، وأمانة النفس والجوارح ، وسائر الأمانات .

ودرست هذا الموضوع من خلال لفظة الخيانة ، واستفدت من نظائر هذه اللفظة كما وردت في القرآن الكريم ، وهي : المكر ، والخديعة ، والكيد ، والتجسس ، والنفاق .

واستخلصت منها بالاستعانة بكتب التفسير وغيرها المعاني والدلالات والعبر والدروس ، وقمت بعرضها في أربعة فصول ، ذكرت في الأول تعريفا بالخيانة ، وفي الفصل الثاني ذكرت أنواعا لخيانة الأمانة ، وفي الفصل الثالث ذكرت نماذج قرآنية للخيانة مثل (خيانة أهل الكتاب ، وخيانة امرأة العزيز ...) ، وفي الفصل الرابع كان الحديث عن الخيانة في ظلال آيات النفاق ، حيث ذكرت صفات وأفعال الخائنين ، ثم تحدثت عن عاقبة الخيانة في الدنيا والآخرة ، وبيّنت فيه منهج القرآن الكريم في التعامل مع ظاهرة الخيانة ، سواء بالوقاية أو العلاج .

مقدمة :

قال تعـــالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ }[1]. وقال تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا }[2].

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، ومنَّ علينا بالهدى والإيمان ، وأمرنا بـــالإخلاص للواحد الديان ، وأنزل علينا الكتاب والفرقان ، الذي في التزامه في الدنيا الصـــلاح والأمـــان ، وفي الآخرة الفوز بالنعيم والجنان ، وفي الحياد عنه الضياع والخسران . والصلاة والسلام على المصطفى العدنان ، الذي طبَّق فينا شريعة القرآن ، وجاهد في الله حتى أظهر الحـــق وأبـــان ، وأماط اللثام عن كل ماكر خوَّان ، وعلى آله وصحبه خير الأنام ، وكل الســـائرين علـــى درب الهدى إلى آخر الزمان .

وبعد فإن من سنة الله سبحانه وتعالى أن أرسل الرسل لهذه البشرية تتـــرى علـــى مـــر العصور والأزمان ، وأنزل معهم الهدى والفرقان ، والمعجزات البينات العظام ، فمن الناس من اتبع الهدى وسار مع ركب الإيمان بإخلاص وإحسان ، ومنهم من عاند الحـــق وعـــادى أهلـــه وتنكب سواء الصراط ، ومنهم من اتخذ سبيلا ثالثا فلا هو آمن وأخلص واســـتقام ، ولا هـــو جاهر بالكفر وأظهر العدوان ، بل استخفى خلف ستائر الظلام ؛ ليحيق المكـــر الســـيئ بأهـــل الإسلام ، فمكر وكاد ونافق وخادع وخان .

هذا الصنف الثالث هو مدار الحديث في هذه الدراسة وذلك للخطورة البالغة التي يمثلهـــا هـــذا الصنف من الناس على الدين والأوطان والإنسان ، فلا هو صديق تأتمنه ولا هو عدو ظـــاهر تحذره ، فهو الذي تأتي طعناته من الخلف ، فتكون أشد فتكا وضررا وإيلاما ولـــذلك حـــذرنا القرآن الكريم من هذا الصنف من الناس أشد تحذير . وقد عرفنا الله تعالى بصفاتهم وأعمالهم ، كما ذكر أصنافهم وفئاتهم ، وذكر أمثلة حية منهم وبيّن عقابهم في الدنيا والآخرة ، وأعطانـــا العلاج الشافي لهذا الداء العياء ، الذي سماه الله تعالى في كتابه العزيز بأسماء كثيرة تتكامل في معناها لتؤدي مؤدىً واحدا ، يكمن في إلحاق الأذى بالمسلمين من حيث لا يحتســـبوا ، فســـماه (الخيانة والمكر والخديعة والتجسس والنفاق والكيد) .

[1] سورة الأنفال ، آية 27

[2] سورة النساء ، آية 58

وهذه الدراسة هي عبارة عن كشف لهذا الخلق الذميم بصورة حية واضحة متكاملة ، ببيان مفهومه ، وعرض الأمثلة عليه ، وبيان خطورته وتأثيره في شتى المجالات ، مع ربط ذلك بالواقع ، ثم تشخيص الداء من خلال كشف اللثام عن أهله والمتصفين به ، وفضح صفاتهم وأعمالهم ، وأخيرا وصف الدواء الشافي من أذاهم وأفعالهم ، وذكر وسائل الوقاية من الوقوع في شَرَكهم . كل ذلك من خلال كتاب الله تعالى وجمع الآيات المتعلقة بالموضوع والإبحار في تفسيراتها ، مع عدم إغفال الشواهد الدالة على موضوعنا من السنة المطهرة وأقوال السلف وبعض ما ورد من حكم وأشعار . وقد أسميت هذه الدراسة : **الخيانة في القرآن الكريم .**

ومن أخلص لله في علمه سهل الله له سبيله ، وجعل فيه النفع والخير لكاتبه وقارئه ، جعلني الله والقارئين من عباده المخلصين ، وأبعد عنا الرياء والنفاق والخيانة إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدراسات السابقة :

إن مادة هذه الدراسة مثل كل الدراسات القرآنية جاءت من خلال آيات القرآن الكريم ، حيث عرض القرآن الكريم موضوع الخيانة ونظائر هذه اللفظة في آيات كثيرة ، جَهَدَتْ كتب التفسير في شرحها وبيان معانيها ، كما ذكرت السنة والسيرة كذلك شواهد عليها . ولقد تقصّيت ما كتب في الموضوع بشكل مستقل ، فما وجدت غير كلام في أحد مواقع النت يشير إلى كتاب ألِّف مؤخرا للدكتور فريد السمان المدرس في كلية أصول الدين في الرياض بعنوان : الخيانة : أسبابها أنواعها آثارها [1]. ولم يتسن لي الإطلاع عليه . وقد ورد موضوع الخيانة في ثنايا كتب الأخلاق والزهد وكتب الفكر ، ككتاب " إحياء علوم الدين " للغزالي ، " وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " ، " ومدارج السالكين " لابن قيم الجوزية ، " وصلاح الأمة في علو الهمة " للدكتور سيد بن حسين القفاني ، ، وغير ذلك من الكتب التي ذُكر فيها موضوع الخيانة بعيدا عن طريقة التفسير الموضوعي ، التي كتبت بها هذه الدراسة .

وبناء على ما سبق فسيكون المعول في هذه الدراسة على كتاب الله تعالى ، وما ورد في الأحاديث الصحيحة من السنة النبوية مما له صلة بموضوع الآيات ، وكذلك ما ورد في تفاسير علمائنا ، قديمها وحديثها ، وما ذكرتْه كتب السيرة من أمثلة واقعية للخيانة كأفعال المنافقين ،

[1] www.tafsir.org

وفعلة حاطب بن أبي بلتعة ، كما سيتم الرجوع بالطبع قبل ذلك إلى مراجع اللغة ؛ للوقوف على المعنى اللغوي للمفاهيم الرئيسة التي يتمحور البحث حولها .

وبهذا سيكون دوري في لم شمل هذه المادة العلمية من المصادر المذكورة ، وعرضها بطريقة التفسير الموضوعي ، مع الربط بالواقع الذي نعيش لعله يكون مِفتاحا ومقدمة لمزيد من البحث والكتابة في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من الأمور الآتية :

1 - كونها دراسة قرآنية جاءت خدمة لكتاب الله تعالى .

2 - كونها تلبي ضرورة ملحة في بيان وكشف مكائد ومؤامرات الخائنين والمتآمرين على أمة الإسلام ومستقبل هذا الدين .

3 - ارتباطها بالواقع الذي نعيش ، ففيها تجسيد وإسقاط لمفهوم الخيانة الوارد في القرآن الكريم على الواقع المعاش .

4 - فيها الكثير من الدروس والعبر المستفادة من بيان صفات وأفعال هذه الفئة من الناس ومن ذكر نماذج قرآنية للخيانة وبيان مصائر الخائنين في الدنيا والآخرة .

أسباب اختيار الموضوع :

يكمن سبب اختياري الكتابة في هذا الموضوع فيما يأتي :

1 - استشعار مدى خطورة هذا البحث وأهميته لكل زمان ، وخاصة في مثل هذا الزمان العجيب الذي نعيش فيه ، والذي اختلطت فيه الأمور على كثير من أبناء المسلمين ، فلم يعودوا يميزون بين الغث والسمين ، وبين الخيانة والأمانة ، فهو الزمان الذي يؤتمن فيه الخائن ويخوّن فيه الأمين .

2 - واقع حالنا في فلسطين حيث نعيش تحت احتلال يعمل جاهدا على تجنيد أبناء هذا الشعب لخيانة دينهم ووطنهم .

3 - الواقع الاجتماعي الفاسد من جوانب عديدة ، والذي تمارس فيه الخيانة بأشكالها المختلفة مثل : (خيانة الدين وخيانة العرض ، وخيانة النفس وغير ذلك) .

4 - الواقع السياسي حيث خيانة الأمة من خلال زعمائها وحكامها .

5 - الميل الشخصي للتعرف على ما جاء في كتاب الله تعالى حول هذا الخلق الذميم للاستفادة والتعلم ونفع الآخرين إن شاء الله تعالى .

6 - عدم وجود دراسة مختصة تعالج هذا الموضوع بطريقة التفسير الموضوعي .

ولأهمية هذا الموضوع في كل زمان ومكان ولما تشكله ظاهرة الخيانة من خطورة بالغة على المسلمين أفرادا وجماعات وللصلة الوثيقة لهذا الموضوع بالناس وحياتهم الاجتماعية والأخلاقية والسياسية كان لا بد من الكتابة في هذا الموضوع ، وتفصيل الحديث فيه ، لعل الله تعالى أن ينفع به ، فيفتح به آذانا صمًّا ، وأعينا عميا ، وقلوبا غلفا ، ويهدي به من ضل السبيل ، ويرشد به من طلب الهدى ، اللهم آمين .

مشكلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

1 - ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الخيانة ؟

2 - هل خيانة الأمانة تقتصر على المفهوم المتبادر منها ، وهو جحود أمانات الناس ؟

3 - ما الدروس والعبر المستفادة مما عرضه القرآن الكريم من نماذج خيانية ؟

4 - ما هي أنواع الخيانة التي تعرَّض لها القرآن الكريم ؟

5 - ما عاقبة الخائنين للأمانات في الدنيا والآخرة ؟

6 - كيف عالج القرآن الكريم ظاهرة الخيانة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي :

1 - الاطلاع على ما جاء في كتاب الله تعالى حول ظاهرة الخيانة .

2 - الإسهام في الكتابة في الدراسات القرآنية والإفادة منها في شتى مجالات الحياة وفيها التأكيد على أن هذا الكتاب العظيم صالح ونافع لكل زمان ومكان .

3 - زيادة الوعي بعظيم خطر هذه الظاهرة بكل أشكالها .

4 - أخذ العبرة والعظة من مصائر الخائنين .

5 - التعريف بأصحاب هذا الخلق ببيان صفاتهم وأفعالهم ، وفضحهم وتعريتهم .

6 - بيان عقاب الله تعالى للخائنين في الدنيا والآخرة .

7 - وصف سبل الوقاية من كيد الخائنين والوقوع في حبائلهم .

منهجية الدراسة :

استخدمْتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي ، وذلك باتباع الخطوات الآتية :

1 - تتبُّع الآيات القرآنية ذات الصلة بمصطلح الخيانة ونظائره ، وهي : المكر ، والخديعة والتجسس والكيد والنفاق .

2 - استقراء المشاهد والأمثلة القرآنية المتعلقة بالخيانة .

3 - دراسة أقوال أهل التفسير السابقين منهم والمحدثين في الآيات موضوع الدراسة ، ونقل ما يتناسب منها مع مواضيع وعناوين الدراسة .

4 - الاستعانة بالأحاديث الصحيحة والأقوال والأشعار على شكل شـواهد فقـط ؛ لتـدعيم الأفكار والمواضيع قيد الدراسة والبحث .

5 - توثيق النقول توثيقا علميا ؛ بحيث يتم التوثيق كاملا عند أول ذكر للمرجع ، ثم بعد ذلك الاكتفاء بذكر شهرة المؤلف واسم الكتاب والجزء ورقم الصفحة .

6 - عزْو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية ، في الهامش .

7 - نسبة الأحاديث إلى مصادرها ، والاكتفاء بما صح منها ، والحكم على الأحاديث التـي في غير الصحيحين .

8 - كتابة ملخص بنتائج الدراسة وعرض موجز لما تم التوصل إليه من نتـائج فـي آخـر الدراسة .

حدود الدراسة :

إن كون هذه الدراسة تعالج موضوعاً قرآنياً ، هو : الخيانة ؛ فإن حدود الدراسـة سـتدور حول هذا المفهوم ، والمفاهيم المرتبطة به من حيث المعنى ، وهي مـا يسـمى : بالنظـائر . ونظائر الخيانة في القرآن الكريم هي : (المكر والخديعة والكيد والتجسس والنفـاق) . وبنـاء على ما سبق فسيشكل مفهوم الخيانة في القرآن الكريم حدود هذه الدراسة ، مع الإفادة من الآيات الواردة في نظائر الخيانة ، خاصة آيات النفاق .

خطة الدراسة :

تضمنت هذه الدراسة بعد المقدمة أربعة فصول ، في كل فصل منها مباحث ، ويتفرع عـن بعض المباحث مطالب فرعية ، وذلك على النحو الآتي :

الفصل الأول : مفهوم الخيانة ودلالتها في السياق القرآني ، وفيه :

المبحث الأول : التعريف بمفهوم الخيانة .

المبحث الثاني : الخيانة في السياق القرآني .

المبحث الثالث : نظائر الخيانة في القرآن الكريم .

الفصل الثاني : أنواع الخيانة في القرآن الكريم ، وفيه :

المبحث الأول : خيانة الدين .

المبحث الثاني : خيانة الأمة والوطن .

المبحث الثالث : خيانة العرض .

المبحث الرابع : خيانة النفس والجوارح .

الفصل الثالث : نماذج قرآنية للخيانة ، وفيه :

المبحث الأول : خيانة أهل الكتاب .

المبحث الثاني : خيانة امرأة العزيز .

المبحث الثالث : خيانة إخوة يوسف عليه السلام .

المبحث الرابع : خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام .

المبحث الخامس : خيانة حاطب بن أبي بلتعة .

الفصل الرابع : الخيانة من خلال آيات النفاق ، وفيه :

المبحث الأول : بيان صفات الخائنين وأفعالهم .

المبحث الثاني : عاقبة الخيانة

المبحث الثالث : منهج القرآن الكريم في معالجة ظاهرة الخيانة

الفصل الأول

مفهوم الخيانة ودلالتها في السياق القرآني

المبحث الأول : التعريف بمفهوم الخيانة

المبحث الثاني : الخيانة في السياق القرآني

المبحث الثالث : نظائر الخيانة في القرآن الكريم

المبحث الأول

التعريف بالخيانة

أولاً : الخيانة في اللغة

التقت معاجم اللغة على أن أصل الخَوْن : النقص ، وقد ورد بمعانٍ متقاربة مع هـذا المعنـى ، كالضَّعف ، والانقطاع ، وغيرهما . ومما ورد في معاجم اللغة فـي المعنـى اللغـوي للفظـة (الخيانة) ما يأتي :

* النقص . " أصل الخَوْن : النقص لأن الخائن ينقص المخون شيئا مما خانه فيـه "[1]. يقـول صاحب الكشاف[2] : " معنى الخون : النقص ؛ كما أن معنى الوفاء : التمام . ومنه : تخونه ، إذا تنقصه ، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء ؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء ، فقد أدخلت عليه النقصان فيه "[3].

* الضعف . " الخون : الضعف . يقال : في ظهـره خَـوْن : أي ضـعف ، وهـو مجـاز"[4]. ويقال : خانته رِجلاه : إذا لم يقدر على المشي . وخانه سيفه : نبا . وخانه الدهر : غيَّر حالـه من اللين إلى الشدة [5]. قال الأعشى[6] :

---

[1] الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، ت1301هـ ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، دار الهداية ، (بدون طبعة ولا بلد ولا سنة النشر) (499/34) .

[2] هو : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، العلّامة ، كبير المعتزلة ، صاحب الكشاف والمفصل ، كـان رأساً في البلاغة العربية ، وقد برع في الأدب كذلك ، توفي ليلة عرفة سنة 538هـ . انظر : الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت748هـ ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة بيـروت ، (1413/9هـ) (151/20 - 156) .

[3] الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت538هـ ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيـون الأقاويـل فـي وجـوه التأويل** ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر) (202/2)

[4] الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت538هـ ، **أساس البلاغـة** ، دار الفكـر بيـروت ، (طبعـة سـنة 1399هـ) (ص178) .

[5] انظر : المرجع السابق ، (ص178) . ابن منظور ، محمد بن أبي العز مكرم بن علي ، ت711هـ ، **لسان العـرب** دار صادر بيروت ، (ط1/بدون سنة نشر) (144/13) .

[6] هو : ميمون بن قيس بن شراحيل بن عوف ، المكنى أبا بصير ، والمعروف بالأعشى و صناجة العرب ، أحد فحـول الشعراء ، وفد على آل جفنة الغسانيين ، وكان أهل الكوفة يقدمونه على غيره من الشعراء ، ذُكر أنه وفد إلى النبي عليـه الصلاة والسلام ، ومدحه ، توفي سنة 7هـ . انظر : الشافعي ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبـة الله بـن عبـد الله ، ت571هـ ، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حلّها من الأماثل** ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمـر بـن غرامة العمري ، دار الفكر بيروت ، (ط سنة 1995م) (327/61 329) .

وخان النعيم أبا مالك وأيُّ امرئٍ لم يخنْه الزمن [1]

* الانقطاع . "يقال : خان الدلو الرشاء : إذا انقطع "[2] .

* التعهد . "تخوَّنه : أي تعهده . يقال : الحمَّى تخونه : أي تعهده "[3] . يقول الزمخشري رحمه الله : "وأما تَخَوَّنْتُه : تعهدْتُّه ، فمعناه : تجنبتُ أن أخونَه "[4].

* مسارقة النظر إلى الحرام . وفي التنزيل : { يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ }[5].

"وخيانة الأعين : مسارعة النظر إلى ما لا يحل "[6] .

ثانياً : الخيانة في الاصطلاح

للخيانة معان متعددة باعتبار ما نسبت إليه ، وكلها تدل على الانتقاص والغدر وإضمار الأذى سراً بالمخون . فالخيانة : " التفريط في الأمانة "[7]. وهذا يشمل كل أمانة ؛ فالتفريط في أمانة الدين والتكاليف الشرعية هو خيانة لله تعالى وفي هذا قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً }[8]. ويقاس على ذلك أمانة الوطن ، وأمانة النفس ، وأمانة العلم ، وأمانات الناس ، وما إلى ذلك . فالتفريط فيها هو خيانة لها .

ثالثاً : معنى خيانة الأمانة

بما أن الخيانة ضدها الأمانة ، و" الأشياء إنما تعرف بأضدادها "[9] ؛ كان لا بد من التعريف

---

[1] الأعشى ، ميمون بن قيس بن جندل ، ت 7هـ ، **ديوان الأعشى** (بدون طبعة ولا سنة نشر) (234/1) .

[2] الزمخشري ، **أساس البلاغة** (ص178) .

[3] ابن منظور ، **لسان العرب** (145/13) .

[4] الزمخشري ، **أساس البلاغة** (ص178) .

[5] سورة غافر ، آية 19

[6] السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ، ت489هـ **تفسير القرآن العزيز** تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغيره ، دار الوطن الرياض ، (ط1418/1هـ) (13/5) .

[7] المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ت1031هـ ، **التوقيف على مهمات التعاريف** ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر بيروت ، (ط1410/1هـ) (ص329) .

[8] سورة الأحزاب ، آية 72

[9] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، ت310هـ ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1405هـ) (19/19) .

بالأمانة ، ومعنى خيانة الأمانة .

*** الأمانة في اللغة :**

الأمانة في اللغة يدور معناها على السلامة والحفظ والأمن والأمان . وضدها الخيانة والخوف . قال ابن فارس : " أمن : الهمزة والميم والنون ، أصلان متقاربان ، أحدهما الأمانة : التي هي ضد الخيانة ، ومعناها : سكون القلب ، والآخر : التصديق "[1]. وقال ابن منظور[2] : "والأمن ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد الكفر "[3].

" والأمين : القوي لأنه يُوثَقُ بقُوَّته ويُؤْمَنُ ضعفُه ، والأمينُ صفةُ الله تعالى ، وفيه نظر ، ... وقيل : هو الذي يَصْدُق عباده ما وعدهم ، فهو من الإيمان : التصديق ، أو يؤْمِنُهم في القيامة عذابَه ، فهو من الأمان ضد الخوف ، قاله ابن الأثير"[4].

*** الأمانة في الاصطلاح**

الأمن : " عدم توقع مكروه في الزمن الآتي ، وأصله : طمأنينة النفس ، وزوال الخوف ، وأمِن أمانةً ، فهو أمين ، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازا ، فقيل للوديعة : أمانة ، ونحو ذلك "[5]. فالأمانة كل ما يؤتمن عليه ، كالأموال والأسرار ، ويدخل في ذلك "كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة ، كصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وأداءِ دينٍ وأوكدها الودائع ، وأوكد الودائع كتم الأسرار "[6].

---

[1] ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، ت395هـ ، **معجم مقاييس اللغة** تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، (ط1420/2هـ) (133/1) .

[2] هو : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الخزرجي أبي الفضل جمال الدين ، ولد بالقاهرة سنة 630هـ ، وتوفي سنة 711هـ ، صاحب لسان العرب من أهم معاجم اللغة . انظر : الغلاني ، صلاح بن محمد ، ت1218هـ **قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر** ، تحقيق : عامر حسن صبري ، دار الشروق مكة ، (ط1405/1هـ) (ص224) .

[3] ابن منظور ، **لسان العرب** (21/13) .

[4] الزبيدي ، **تاج العروس** (188/34) .

[5] المناوي ، **التعاريف** (ص94) .

[6] أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني ، ت1094هـ ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، تحقيق : عدنان درويش وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (طبعة سنة 1419هـ) (ص187) .

" فالأمانة جنس يعم الوديعة وغيرها ... فالوديعة أخص من الأمانة ، فكل وديعة أمانة ، دون العكس "[1].

وقد ذكر أهل التفسير آراءً كثيرة في معنى الأمانة الواردة في قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }[2]. ومن هذه المعاني : الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده[3] من أداء الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وصدق الحديث ، وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان ، والودائع والوفاء بالعهد ، والغسل من الجنابة وما أمروا به ونهوا عنه . وما يخفى من الشرائع [4]. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص[5] : (أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها ، فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرِّجْل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له) [6] .

---

[1] الأحمد نكري ، عبد النبي بن عبد الرسول ، ت961هـ ، **دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** تحقيق : حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية لبنان ، (ط1/1421هـ) (311/3) .

[2] سورة الأحزاب ، آية 72

[3] انظر : الرازي ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس المعروف بابن أبي حاتم ، ت 327هـ ، **تفسير القرآن العظيم** تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية صيدا ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) ، (3159/10) . الطبري ، **جامع البيان** (54/22) .

[4] انظر : البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد ، ت516هـ ، **معالم التنزيل في التفسير** ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) ، (546/3) . وانظر : القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت 631هـ ، **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الشعب القاهرة ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (254/14) .

[5] هو : عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي ، كنيته عند الأكثر أبو محمد ، من الصحابة الكرام ، وممن روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم قبل أبيه ، عمي في آخر عمره ، مات بالشام سنة 65هـ ، وهو ابن 72 سنة . انظر : العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، (ط1/1412هـ) (192/4 - 193) .

[6] روي بالإسناد بألفاظ متعددة . انظر : ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ، ت281هـ ، **الورع** ، تحقيق : أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود ، الدار السلفية الكويت ، (ط1/1408هـ) (ص92) . وأورده أيضا في كتابه : **مكارم الأخلاق** ، نحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، دار مكتبة القرآن القاهرة ، (طبعة سنة 1411هـ) (ص90) . ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن ، ت 597هـ ، **ذم الهوى** ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، (طبعة سنة 1962م) (ص193) . وقد ورد منسوبا للنبي عليه السلام ، انظر : الرازي ، أبو القاسم تمام بن

قال الآلوسي[1] رحمه الله : " ولا يخفى أن تفسير الأمانة في الآية بالأعضاء مما لا ينبغي أن يُلتفت إليه . والخبر المذكور إن صح لا يدل عليه "[2]، ثم رجّح القول بأن الأمانة المقصودة في الآية هي أمانة التكاليف والفرائض ، من فِعْل وترك ، دون تخصيص ذلك بأمر دون غيره ، فهي الأوامر والنواهي على العموم [3].

"ومن هذه الأمانات الداخلة في ثنايا ما سبق - أمانة التعامل مع الناس ، ورد أماناتهم إليهم ... وأمانة النصيحة للراعي وللرعية ، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة ، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها وثغراتها ، وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالات الحياة على وجه الإجمال ، فهذه من الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى "[4].

من هنا يتضح أن الأمانة لها معنىً واسعاً ، ورد ذلك عن بعض الصحابة وعن كثير من أهل العلم ، ولعل من الإشارات الدالة على هذا المعنى الشامل لخيانة الأمانة السياق القرآني الذي وردت فيه الآية الكريمة التي تنهى عن الخيانة ، وهي قوله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[5] . فعدا عن أن الآية ذكرت أنواعا للخيانة : خيانة الله وخيانة الرسول وخيانة الأمانات فقد جاءت في سياق يشير إلى تعدد الأمانات التي يجب على المسلم أداؤها ، والحذر من الوقوع في خيانتها ، فقبل هذه الآية بآيتين جاء قوله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

محمد ، ت414هـ ، **الفوائد** ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة الرشد الرياض ، (ط1412/1هـ) (358/1) .

[1] هو : شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش ، العلامة أبو الثناء الآلوسي البغدادي ، الشافعي ، مفتي الحنفية فيها ، سافر إلى القسطنطينية ، ورجع إلى بلده ، وتوفي بها سنة 1270هـ ، وكانت ولادته سنة 1217هـ ، وله من المصنفات : الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية ، التبيان في شرح البرهان ، وتفسير روح المعاني ، وغيرها الكثير . انظر : القسطنطيني ، مصطفى بن عبد الله الرومي ، ت1050هـ **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (طبعة سنة 1413هـ) (418/6 - 419) .

[2] الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ، ت 1270هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (97/22) .

[3] انظر : المرجع السابق ، (97/22) .

[4] قطب سيد ، ت 1386هـ ، **في ظلال القرآن** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط1386/5هـ) (414/5).

[5] سورة الأنفال ، آية 27

تُحۡيِيكُمۡ }[1]. حيث دعت الآية إلى التزام التكاليف الشرعية ، والتي هي من الأمانات ، وعدم الاستجابة لهذا النداء الرباني يعد خيانة لله تعالى . وهذا ما أكدته الآية التالية ، التي تحذر من عقوبة الدنيا والآخرة لمن خان الله والرسول ، ولم يستجب لنداء الحق . قال تعالى:{وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ }[2].

وفي ذات السياق - وبعد الآية التي تنهى عن الخيانة - جاء بيان آخر لنوع آخر من الأمانات التي يجب الحذر من خيانتها ، وذلك في قوله تعالى : { وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ }[3]. فالمال والولد أمانة لا ينجح في الوفاء بها كل أحد . وفي ذات السياق أيضا يضرب الله تعالى المثل في خيانة قوم النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، ومكرهم به ، ليكون بذلك قد اكتمل المشهد . قال تعالى : { وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ }[4]. وهكذا يمكن فهم الآية من كلام الله تعالى في سياقها فتتضح الصورة ويكتمل المشهد .

فالأمانة التي هي ضد الخيانة ، تشمل كل ما اؤتمن عليه الإنسان من أمانة التكاليف الشرعية ، وأمانة الوطن والمقدسات ، وأمانة العهد والميثاق ، وأمانة الودائع والأموال ، وأمانة الرابطة الزوجية ، وأمانة النفس والجوارح والأعضاء ، وغير ذلك من الأمانات ، التي يطالب المسلم بأدائها ، ويحرم عليه خيانتها ، امتثالا لقول الله عز وجل : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ }[5].

---

[1] سورة الأنفال ، آية 24

[2] سورة الأنفال ، آية 25

[3] سورة الأنفال ، آية 28

[4] سورة الأنفال ، آية 30

[5] سورة الأنفال ، آية 27

فعصيان الله تعالى ومخالفة أمره ، خيانة لله ، والحياد عن سنة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ومخالفة أمره ، خيانة للرسول ، والتكاليف الشرعية أمانة وعدم أدائهـــا خيانـــة للـــدين ، وأرض المسلمين ومقدساتهم أمانة ، والتفريط فيها وتضييعها والإخلال بأمنها خيانـــة للأمـــة ، كذلك الرابطة الزوجية برباطها الوثيق المقدس أمانة ، والاستهانة بها والخروج عن ضـــوابطها الشرعية خيانة ، وما استحفظ عليه الإنسان من الودائع والأموال ، وكذلك الأسرار هو أمانـــة ، وتضييع الأموال أو جحودها ، وكذلك إفشاء الأسرار خيانة ، حتى ما أنعمه الله تعالى علينا من النعم وما سخر لنا في هذا الكون وما أعطانا من جوارح وعقول وغير ذلـــك ، كـــل ذلـــك أمانة وتسخيره في غير ما أراد الله تعالى خيانة للأمانة .

المبحث الثاني

الخيانة في السياق القرآني

وردت مادة " خ و ن " ومشتقاتها في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية وذلك في ثماني سور من سور القرآن الكريم بألفاظ مختلفة ، بيان ذلك في الجدول الآتي :

الرقم	اسم السورة	مكية أو مدنية	رقم الآية	اللفظة
1	البقرة	مدنية	187	تَخْتَانُونَ
2	النساء	مدنية	105 107	لِّلْخَآئِنِينَ تَخْتَانُونَ / خَوَّانًا
3	المائدة	مدنية	13	خَآئِنَةٍ
4	الأنفال	مدنية	27 58 71	تَخُونُواْ / وَتَخُونُوٓا خِيَانَة / ٱلْخَآئِنِين خِيَانَتَكَ / خَانُوا
5	يوسف	مكية	52	أَخُنْه / ٱلْخَآئِنِين
6	الحج	مدنية ، على خلاف	38	خَوَّانٍ
7	غافر	مكية	19	خَآئِنَة
8	التحريم	مدنية	10	فَخَانَتَاهُمَا

ومن الجدير بالملاحظة أن جميع السور المذكورة ، والتي وردت فيها مادة (خ و ن) سور مدنية باستثناء سورتي : يوسف وغافر[1] ؛ وذلك لأن ظاهرة الخيانة والنفاق لم تكن قد نشأت

---

[1] اختلف العلماء في سورة الحج كونها مكية أو مدنية ، وذكر صاحب البرهان أنها مدنية إلا أربع آيات . انظر : الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله ، ت794 هـ **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق : محمد أبو الفضل

إلا في جو المدينة ، ولم يكن للكيد والمكر بالمسلمين ما يدعو إليه إلا عندما أصبح للمسلمين دولة وقوة وهيبة ، فكان عندها التآمر ، والخيانة والدس ؛ لأجل هدم بنيان هذا المجتمع وتقويض أسسه . أما ما كان من العداء المسلمين في العهد المكي فقد كان جهرة ، ولم يكن يخشى أحد من المشركين الاعتداء على الإسلام وأهله .

وما ورد من لفظ الخيانة في السورتين المكيتين ، قد يُفهم على النحو الآتي : سورة يوسف جاء اللفظ فيها في سياق الحديث عن قصة خيانة امرأة العزيز ، فهو حديث عن قصص السابقين . مع العلم أن الخيانة في عصور ما قبل الإسلام كانت موجودة ، بل هي موجودة منذ وجود البشرية على هذه الأرض . وأما في سورة غافر فالآية تتحدث عن الخيانة بالنظرة المحرمة ، وهو أمر وارد في العهد المكي كما في العهد المدني ، كما في كل العصور والأزمان ، وفيه تربية للمسلمين في كل زمن .

وقد جاءت ألفاظ الخيانة المذكورة تحمل وجوهاً متقاربةً في سياقاتها ، يجمعها ما سبق بيانه من المعنى الذي تضمّنه لفظ الخيانة في اللغة والاصطلاح ، وهذه الوجوه خمسة[1] :

* الوجه الأول : **المعصية** ، ومنه قوله تعالى في البقرة : { عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ }[2] . أورد البخاري في صحيحه في سبب نزول هذه الآية ، عن البراء رضي الله عنه : " لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله { عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ }"[3]، فالخيانة هنا معناها : " تخونون أنفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم ، ومن عصى الله فقد خان نفسه ؛ إذ جلب

إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ، (ط سنة 1391 هـ) (202/1) . الصالح ، صبحي ، ت1406هـ ، **مباحث في علوم القرآن** ، دار العلم للملايين بيروت ، (ط1988/17م) (ص182) .

[1] انظر : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1404/1هـ) (ص281) .

[2] سورة البقرة ، آية 187

[3] البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي ، ت 256هـ ، **الجامع الصحيح المختصر** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت ، (ط1407/3هـ) ، كتاب : تفسير القرآن باب : { أحل لكم ليلة الصيام ... } ، حديث : 4238 (1639/4) .

إليهـا العقـاب "[1]. وفـي الأنفـال : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[2] . ولا شك في أن خيانة الله تعالى ، وخيانة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخيانة الأمانات ، هي معصية وذنب ، وقد أورد الطبري[3] معنى الخيانة الوارد في الآية الكريمة فقال : " وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليـه وسلم والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة ، وهو يستَسِرّ الكفر والغش لهم فـي البـاطن يدلون المشركين على عورتهم ، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم . وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية ، وفي السبب الذي نزلت فيه . فقال بعضهم : نزلت في منافق كتب إلـى أبي سفيان[4] يطلعه على سر المسلمين ... وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة[5] لِلّذي كان مـن أمره وأمر بني قريظة ... وقال آخرون : نزلت في شأن قتل عثمان رضي الله عنه ... وأَولـى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانتـه ، وخيانـة رسـوله ، وخيانة أمانته . وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة ، وجائز أن تكون نزلت في غيـره[6] . ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته "[7]. يقول ابن كثير[8] رحمه الله : " والصحيح أن

[1] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (315/2) .

[2] سورة الأنفال ، آية 27

[3] هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ ، ولد في طبرسـتان سنة 224 هـ ، كان أحد أئمة العلم ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، له الكثير من المصـنفات ، منها : تهذيب الآثار ، وتفسير جامع البيان ، توفي في شوال سنة 310هـ في بغداد . انظر : الذهبي ، أبا عبد الله محمـد بن أحمد بن عثمان ، ت748هـ ، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق : بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1/ 1404هـ) (266/1) .

[4] هو : أبو سفيان بن حرب ، اسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والد معاوية بن أبي سفيان ، أسلم يوم فـتح مكة ، مات سنة 31هـ . انظر : البستي ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد ، ت354هـ ، **مشاهير علمـاء الأمصـار** تحقيق : م. فلايشهمر ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط سنة 1959م) (ص32) .

[5] هو : أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، يُقال : اسمه بشير ، كان نقيبا ، شهد العقبة وبدر ، أمّره النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة لما خرج إلى غزوة السويق ، قيل أنه اقترف ذنباً عندما أشار إلى حلفائه من بني قريظة أنه الـذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ ، وأشار إلى حلقه ، وقيل : أن ذنبه كان بتخلّفه عن الجهاد يوم تبوك ، مات في خلافة علي رضي الله عنهما . انظر : ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد ، ت463هـ ، **الاستيعاب في معرفة الأصـحاب** تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، (ط1412/1هـ) (1740/4 - 1742) .

[6] ولم يثبت بعد البحث صحة الأخبار الواردة في سبب نزول هذه الآية .

[7] الطبري ، **جامع البيان** (222/9) .

[8] هو : إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام الفقيه المحدّث الأوحد البارع ، فقيه متفنن ، ومحدّث متقن ، ومفسّر نقال ، ولـه تصانيف مفيدة ، ولد سنة نيّف وسبعمائة ، وتوفي سنة 774هـ . انظر : الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ،

الآية عامة ، وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء . والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار ، اللازمة والمتعدية "[1]. " ففي هذه الآية سمى الله المعصية بالخيانة "[2]. وقد ورد في معنى الخيانة الوارد في الآية الكريمة أقوالاً أخرى ، مثل : الغلول من الغنائم ، وإفشاء الأسرار للمشركين[3] والإخلال بالسلاح في البعوث[4] وكل ذلك لا شك من المعاصي والذنوب . وفي الحكمة البيانية من إعادة لفظة { وَتَخُونُوٓا } عند ذكر الأمانات يقول صاحب البحر المحيط[5] : " وجوّزوا في { وَتَخُونُوٓا } أن يكون مجزوما عطفا على { لَا تَخُونُواْ}، ومنصوبا على جواب النهي ، وكونه مجزوما هو الراجح ؛ لأن النصب يقتضي النهي عن الجمع ، والجزم يقتضي النهي عن كل واحد "[6]. فالمقصود في النهي إذن : لا تخونوا الله ، ولا تخونوا الرسول ، ولا تخونوا أماناتكم . وفي معنى قوله تعالى : { وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ } قيل : هي " جملة حالية ، أي وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله ، فكان ذلك أبعد لكم من الوقوع في الخيانة ؛ لأن العالِم بما يترتب على الذنب يكون أبعد الناس عنه . وقيل : وأنتم تعلمون أن الخيانة توجد منكم عن تعمّد ، لا عن سهو . وقيل : وأنتم عالمون ، تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن "[7]. وهذا يبعدنا عن الفهم المغلوط الذي قد يتبادر للمرء من جواز الوقوع في الخيانة لمن لا يعلم أنها خيانة ؛ أي بسبب الجهل .

ت 748هـ ، **المعجم المختص بالمحدثين** ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق الطائف ، (ط1/1408 هـ) (ص75) .

[1] ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي ، ت 774هـ ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1401هـ) (302/2) .

[2] الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي ، ت 606هـ ، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1421هـ) (91/5) .

[3] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (395/7) .

[4] الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** (1684/5) .

[5] هو : محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ، صاحب التصانيف البديعة ، ولد سنة 654هـ ، أخذ عن علماء الأندلس والعدوة ومصر ، توفي في صفر سنة 745هـ . انظر : الذهبي ، **المعجم المختص بالمحدّثين** (ص268) .

[6] أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، ت 745هـ ، **البحر المحيط** ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية لبنان ، (ط1/1422هـ) (480/4) .

[7] المرجع السابق ، (480/4) . وانظر : الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، ت 1250هـ ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (301/2) .

وفي حم المؤمن : { يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ }[1]. "يعني الغمزة فيما لا يحل بعينه ، والنظرة في المعصية "[2].

وفي النساء أيضا جاء النهي عن المدافعة والمجادلة عن الذين يختانون أنفسهم بالمعاصي والذنوب ، مثل طعمة بن أبيرق[3] ومن معه ، كما ورد في سبب نزول الآية[4] ، قال تعالى : { وَلَا تُجَـٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا }[5]، وقد ذكر أهل التفسير قولين في معنى خيانة النفس هنا ، فقيل : " وجعلت خيانة الغير خيانة لأنفسهم ؛ لأن وبالها وضررها عائد عليهم ، ويحتمل أنه جعلت المعصية خيانة ، فمعنى { يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ } : يظلمونها باكتساب المعاصي ، وارتكاب الآثام "[6]. وهذا الرأي الأخير هو ما عليه أكثر أهل التأويل[7]. وجاء اللفظ تعقيبا بصيغة {خَوَّانًا} ؛ لأنه " أبلغ ؛ لأنه من أبنية المبالغة ، وإنما كان ذلك لعظم قدر تلك الخيانة والله أعلم "[8]. قال الزمخشري رحمه الله :" {خَوَّانًا أَثِيمًا} على المبالغة ، قلت : كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ، ومن كانت تلك خاتمة أمْرِه لم يُشَكَّ في حاله ، وقيل : إذا عَثَرْت من رجل على سيئة ، فاعلم أن لها أخوات "[9]. وقيل : " أتَى بصيغة المبالغة فيهما ؛ ليُخرج منه مَنْ وقع في الإثم والخيانة مرة ، ومَنْ صدر منه ذلك على سبيل الغفلة ، وعدم القصد "[10]. "وإرداف الخوان بالأثيم ، قيل : للمبالغة ، وقيل : إن الأول باعتبار السرقة ، أو إنكار الوديعة ، والثاني باعتبار

---

[1] سورة غافر ، آية 19

[2] مقاتل ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، ت150هـ **تفسير مقاتل بن سليمان** ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1424هـ) (146/3) .

[3] هو : طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ، ذُكر في الصحابة ، وقيل إنه شهد المشاهد كلها إلا بدراً ، وقد تُكلِّم في إيمانه . انظر : العسقلاني ، **الإصابة** (518/3) .

[4] انظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** (1060/4) . الطبري ، **جامع البيان** (271/5) .

[5] سورة النساء ، آية 107

[6] الآلوسي ، **روح المعاني** (141/5) .

[7] انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (271/5) . البغوي ، **معالم التنزيل** ، (478/1) . البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، ت 685هـ ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (249/2) . أبو حيان ، **البحر المحيط** (359/3) .

[8] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (378/5) .

[9] الزمخشري **الكشاف** (596/1) .

[10] الآلوسي ، **روح المعاني** (141/5) . وانظر : أبو حيان ، **البحر المحيط** (359/3) .

تهمة البريء ... وقُدِّمت صفة الخيانة على صفة الإثم ؛ لأنها سبب له ، أو لأن وقوعهما كان كذلك ، أو لتواخي الفواصل على ما قيل "[1] .

* الوجه الثاني : **نقض العهد** ، ومنه قوله تعالى في المائدة : { وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ }[2]. والكلام عن اليهود ، "وكانت خيانتهم نقضهم العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيوم الأحزاب ، وغير ذلك من همهم بقتله وسبّه "[3]. وفي الأنفال : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً }[4]. خيانة : أي : " نقضا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود "[5]. والخيانة المقصودة هنا هي الخيانة المتوقعة والمخوفة ، لا المتيقنة ، بل التي دلت عليها القرائن[6]. فجاء التعبير في الآية ب (تَخَافَنَّ) هنا للتدليل على أن الأمر لم يحدث ، ولكن بدت علاماته ، ف "معنى الخيانة هنا : الإحساس بالخيانة "[7]. وقال بعض المفسرين : " الخوف ها هنا بمعنى العلم ، والمعنى : إن علمت من قوم عاهدتهم خيانة وهي : نقض العهد "[8]. ولا أرى خلافاً بين القولين ، فالإحساس المقصود هو الذي دلت عليه قرائن واضحة مؤكدة تدل على نوايا خبيثة مبيّتة لنقض العهد . ويؤيد ذلك تنكير لفظة { خِيَانَة } ، أي : أيّ خيانة ، أو إشارة تدل على الخيانة. ومن

---

[1] الآلوسي ، **روح المعاني** (141/5) . وانظر : أبو حيان ، **البحر المحيط** (359/3) .

[2] سورة المائدة ، آية 13

[3] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (116/6) .

[4] سورة الأنفال ، آية 58

[5] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، (321/2) . وانظر : الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ت468هـ ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق ، (ط1415/1هـ) (445/1) .

[6] انظر : الزمخشري ، **الكشاف** (219/2) ، البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (117/3) .

[7] السمعاني ، **تفسير القرآن** (274/2) .

[8] ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **زاد المسير في علم التفسير** ، دار المكتب الإسلامي بيروت ، (ط1404/3) ، (373/3) . وانظر : ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ، ت 541هـ ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية لبنان ، (ط1413/1هـ) ، (543/2) . أبي السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ت 982هـ ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (31/4) .

هنا كان الأمر للنبي عليه السلام بنقض العهد مع المعاهدين الذين بدت منهم إمارات وإشـــارات تدل قطعا على نيتهم نقض العهد ، وفي ذلك وقاية من شرورهم ، وأذاهم لأن انتظار مفاجأتهم للمسلمين بنقض العهد ، سيكون سببا ولا شك في إلحاق الأذى بالمسلمين . وفي بيان الحكمة من نبذ العهد هنا يقول ابن العربي[1] : " إن قيل كيف يجوز نقض العهـــد مـــع خـــوف الخيانـــة ، والخوف ظن لا يقين معه ؟ فكيف يسقط يقين العهد بظن الخيانة فعنه جوابان **أحدهما** : أن الخوف ها هنا بمعنى اليقين ، كما يأتي الرجاء بمعنى العلم كقولـــه : { لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا }[2].

الثاني : إنه إذا ظهرت آثار الخيانة ، وثبتت دلائلها ، وجب نبذ العهد لئلا يوقع التمادي عليه في الهلكة . وجاز إسقاط اليقين ها هنا بالظن للضرورة ، وإذا كان العهد قد وقع ، فهـــذا الشـــرط عادة ، وإن لم يصرَّح به لفظا ؛ إذ لا يمكن أكثر من هذا "[3]. وفي عدم جواز نقض العهد بـــدون دلائل واضحة ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله : " فإن قال الإمام : أخاف خيانـــة قـــوم . ولا دلالة له على خيانتهم ، من خبر ولا عيان ، فليس له ، والله تعالى أعلم نقض مدتهم ، إذا كانت صحيحة ؛ لأن معقولا أن الخوف من خيانتهم الذي يجوز به النبذ إليهم ، لا يكون إلا بدلالة على الخوف "[4].

ويستفاد من الجار والمجرور في قوله تعالى : { مِن قَوْمٍ } ، أي : من كل قوم تخـــاف مـــنهم خيانة ، فانبذ إليهم على سواء ، وهذا أيضا تأكيد على الحرص والوقاية من الخـــائنين ، ومـــن شرورهم وأذاهم . قال الشوكاني[5] :

---

[1] هو : ابن العربي العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، ولد سنة 468هـ ، ورحل مع أبيه إلى المشرق ، صنّف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ ، توفي في ربيع الآخر سنة 543هـ . انظر : الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **تذكرة الحفاظ** ، دار الكتـــب العلميـــة بيروت ، (ط1/ بدون سنة نشر) (1294/4 1297) .

[2] سورة نوح ، آية 13

[3] ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، ت543هـ ، **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطـــا ، دار الفكـــر للطباعة والنشر لبنان ، (بدون طبعة ولا سنة نشـــر) (420/2) . انظـــر أيضـــا : الطبـــري ، **جـــامع البيـــان** (27/10) .

[4] الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس ، **ت204هـ** ، **الأم** دار المعرفـــة بيـــروت ، (ط1393/2هـــ) (4/ 185) .

[5] هو : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ولد في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1172هـ ، له العديد مـــن التصانيف مثل : التفسير المسمى فتح القدير ، والدرر البهية في الفقه ، والفوائد المجموعة في الأحاديـــث الموضـــوعة ، وإرشاد الفحول ، وغيرها ، وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة 1250هـ تقريبا . انظر : القنوجي ، صـــديق بـــن حسن ، ت1357هـ ، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ، تحقيق : عبد الجبـــار زكـــار ، دار الكتـــب العلمية بيروت ، (طبعة سنة 1978م) (201/3) .

" والظاهر أن هذه الآية عامة في كل معاهد يُخاف من وقوع النقض منه "[1].

* الوجه الثالث : **ترك الأمانة** ، ومنه قوله تعالى في سورة النساء : { وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا }[2]. نزلت في طعمة بن أبيرق ، كان عنده درع فخانها [3]. ومن ذلك أيضا : قوله تعالى : { لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ }[4]. وقد ذكر بعض أهل التفسير[5] أن العطف بالواو في قوله تعالى : (وتخونوا) ، يفيد المغايرة أي أن خيانة الأمانة غير خيانة الله والرسول . والله تعالى سمى بنص الآية الكريمة ترك الأمانة ، خيانة .

* الوجه الرابع : **المخالفة في الدين** . ومنه قوله تعالى في سورة النساء : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا }[6]. وقد ذُكِر أن الآية نزلت في طعمة بن أبيرق ، وكان منافقا[7]. " فإن قيل لم قال { خَوَّانًا أَثِيمًا } ، مع أن الصادر عنه خيانة واحدة ، وإثم واحد ؟ قلنا : علم الله تعالى أنه كان في طبع ذلك الرجل الخيانة الكثيرة ، والإثم الكثير ؛ فذكر اللفظ الدال على المبالغة بسبب ما كان في طبعه من الميل إلى ذلك . ويدل عليه ما رويناه ، أنه بعد هذه الواقعة هرب إلى مكة ، وارتد ، ونقب حائط إنسان لأجل السرقة ، فسقط الحائط عليه ، ومات ، ومن كانت خاتمته كذلك ، لم يُشَكّ في خيانته . وأيضا طلب من النبي عليه الصلاة والسلام ، أن يدفع السرقة عنه ويلحقها باليهودي ، وهذا يبطل رسالة الرسول ، ومن حاول إبطال رسالة الرسول وأراد إظهار كذبه ، فقد كفر . فلهذا المعنى وصفه الله بالمبالغة في الخيانة والإثم "[8].

---

[1] الشوكاني ، **فتح القدير** (320/2) . وانظر : ابن عطية ، **المحرر الوجيز** (543/2) .

[2] سورة النساء ، آية 105

[3] انظر : ص162

[4] سورة الأنفال ، آية 27

[5] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (122/15) .

[6] سورة النساء ، آية 107

[7] انظر : ص162

[8] الرازي ، **التفسير الكبير** (29/11) .

وفي الأنفـال : { وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ }[1]. والمـراد بالخيانة هنا : الخيانة في الدين ، وذلك بالكفر[2]. وإن كان في معنى الخيانة هنا ثلاثـة أقـوال[3]. وفي التحريم : { كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا }[4]. نقل القرطبـي[5] رحمه الله القول بأن الخيانة المقصودة هنا ، هي الخيانة بالكفر ومخالفة الدين[6] . كما ذَكر أقوالاً أخرى في معناها ، ونقل كلام ابن عباس رضي الله عنهما : "ما بغت امرأة نبي قط"[7] ، وأكـد على إجماع المفسرين على ذلك[8] .

* الوجه الخامس : **الزنا** . ومنه قوله تعالى فـي سـورة يوسـف : { وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ }[9]. نقل بعض أهل التفسير القول بأن معنى الآية ، أن الله لا يصلح ولا يصوّب عمل

---

[1] سورة الأنفال ، آية 71

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (50/10) . الواحـدي ، **الـوجيز** ، (449/1) . الـرازي ، **التفسـير الكبيـر** (164/15) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (123/3) .

[3] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (164/15) .

[4] سورة التحريم ، آية 10

[5] هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، مصنف التفسير المشهور المسمى : جامع أحكام القرآن ، وله أيضا كتاب : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، توفي سنة 631هـ . انظر : الأدنه وي ، أحمد بن محمد ، ت ق11 هـ ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق : سليمان بن صـالح الخـزي ، مكتبـة العلـوم والحكم السعودية ، (ط1417/1هـ) (ص246 247) .

[6] انظر أيضا : البغوي ، ، **معالم التنزيل** ، (368/4) . الجلالين : المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد ، ت864هـ . والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت911هـ ، **تفسير الجلالين** ، دار الحديث القاهرة ، (ط1/ بـدون سنة نشر) (753/1) .

[7] أخرجه : الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، ت 211هـ ، **تفسير القرآن** ، تحقيق : مصطفى مسلم محمـد ، مكتبـة الرشيد الرياض ، (ط1410/1هـ) (310/2) . وانظر : الزيلعي ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بـن محمـد ، ت762هـ ، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** ، تحقيق : عبد الله بن عبد لرحمن السـعد ، دار ابن خزيمة الرياض ، (ط1414/1هـ) (66/4) .

[8] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (202/18) .

[9] سورة يوسف ، آية 52

الزناة [1]. وفي الآية تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانة زوجها بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه[2] .

---

[1] انظر : ابن الجوزي ، **زاد المسير** ، (240/4) . ابن أبي زمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **تفسير القرآن العزيز** ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة وغيره ، دار الفاروق الحديثة القاهرة ، (ط1423/1) (330/2) .

[2] انظر : النسفي ، عمر بن محمد بن إسماعيل ، ت 537هـ ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) (193/2) . الزمخشري ، **الكشاف** (452/2) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (294/3) . الشوكاني ، **فتح القدير** (34/3) .

المبحث الثالث

نظائر الخيانة في القرآن الكريم

النظائر : " جمع نظيرة ، وهي المِثْل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال "[1]. والمراد هنا : الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ، والتي تشبه في المعنى لفظة الخيانة ، وهي : المكر ، والكيد ، والتجسس ، والخداع ، والنفاق . وبيان وجه الشبه والعلاقة بينها وبين لفظة الخيانة في المطالب الخمسة الآتية :

المطلب الأول : المكر

يدور معنى المكر في اللغة على : الاحتيال والخديعة . جاء في لسان العرب : " المكر احتيال في خفية "[2].

أما في الاصطلاح فهو : " صرف الغير عما يقصده بحيلة . وذلك ضربان : محمود ، وهو : أن يتحرى به فعل جميل ، ومذموم وهو : أن يتحرى به فعل قبيح "[3].

فالمكر : " الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورطه الماكر به مكروها من الأمر "[4].

ولا بد هنا من التفريق بين المكر المذموم من فعل الناس ، والمكر الذي وصف الله تعالى به نفسه . وقد فرق ابن القيم[5] رحمه الله بين المكرين فقال : " وأما المكر الذي وصف الله به نفسه ، فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله ، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن ، فيكون المكر منهم أقبح شيء ، ومنه أحسن شيء ؛ لأنه عدل ومجازاة . وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر "[6].

---

[1] ابن منظور ، **لسان العرب** (219/5) .

[2] المرجع السابق (183/5) .

[3] المناوي ، **التوقيف على مهمات التعاريف** (ص673) .

[4] الطبري ، **جامع البيان** (25/8) .

[5] هو : الشيخ محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي ، العالم الفاضل المحقق شمس الدين ، قد فسّر الفاتحة ، وصنف التبيان في أقسام القرآن ، وتوفي في سنة 751هـ . الأدنه وي ، **طبقات المفسرين** (ص284) .

[6] ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، ت751هـ ، **الفوائد** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1393/2هـ) (ص163) .

ومن هنا فليس كل مكر خيانة ، فهناك مكر حسن ، في حين الخيانة كلها شـــر وأذى ، ولـــيس هناك خيانة حسنة ، ولا يطلق لفظ الخيانة إلا على كل فعل قبيح .
ويلاحظ اشتراك المكر والخيانة في الاحتيال في الخفاء ، فكما أن المكر احتيال في خفية ، فكـــذا جاء " استعمال الخيانة فيما خفي عن المخون "[1].

وقد وردت مادة (م ك ر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعا ، وذلك في ثلاث وعشرين آية[2] ، وكان ورودها في أربع عشرة سورة من سور القرآن الكريم ، مثـــل قوله تعـــالى : { وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ }[3] وقولـــه تعـــالى : { وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا }[4]. وورودها في هذه الأربع عشرة سورة فيه دلالة واضـــحة علـــى المساحة الكبيرة التي خصصها القرآن الكريم لهذه اللفظة ومدلولاتها ، مما يشير إلـــى الأهميـــة الكبيرة التي أولاها القرآن الكريم لهذا المعنى .

المطلب الثاني : الكيد

يطلق الكيد في اللغة على الخبث والمكر ، وعلى التدبير بباطل أو حق[5].

وعرفه الجرجاني بقوله : " إرادة مضرة الغير خفية ، وهو من الخَلْق : الحِيلة السيئة ، ومن الله : التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق "[6]. وهو كما قال الرازي : " فعل يسوء من نزل بـــه ، وإن حسن ممن صدر منه "[7]. وعلى هذا فهناك فرق بين الكيد والخيانة ، كما سبق الحديث عـــن

---

[1] ابن تيمية ، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت 728هـ ، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإســـلام ابـــن تيمية (مجموع الفتاوى)** ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد العاصمي ، مكتبة ابن تيمية ، (ط2/بـــدون ســـنة نشـــر) (440/14) .

[2] عبد الباقي ، محمد فؤاد ، ت1388هـ ، **المعجـــم المفهـــرس لألفـــاظ القـــرآن الكـــريم** ، دار الفكـــر بيـــروت ، (ط1401/2هـ) (ص670 -671) .

[3] سورة النمل ، آية 50

[4] سورة نوح ، آية 22

[5] انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (384/3) .

[6] الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، ت 816 هـ ، **التعريفات** ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتـــاب العربـــي بيروت ، (ط1405/1هـ) (ص241) .

[7] الرازي ، **التفسير الكبير** (234/28) .

الفرق بين المكر والخيانة ؛ وذلك أن الخيانة لا تطلق على الخير ، فهي دائما فيها المذمة والعيب لمن يفعلها ، في حين أن الكيد قد يكون في الخير كما ذُكر . وتشترك مع الخيانة في التدبير بالخفاء والحيلة ، وفيها على المعنى السلبي : إرادة مضرة الغير والتدبير بالباطل ، وهذه هي الخيانة . وقد قرن الله تعالى بين المكر والخيانة في قوله تعالى : { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ }[1]. والمراد بالكيد : أي كيدها بيوسف عليه السلام ، وبالخيانة : أي خيانتها لزوجها [2]. وذكر البيضاوي[3] أن المعنى : " لا يهدي الخائنين بكيدهم ، فأوقع الفعل على الكيد مبالغة "[4]. وفي القرن بين اللفظين دلالة على التقارب في المعنى بينهما .

ووردت مادة (ك ي د) في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية[5] في ست عشرة سورة . في خمسة وثلاثين موضعا ، منها قوله تعالى : { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا }[6] وفي ذلك دلالة أخرى على اعتناء القرآن الكريم بمعالجة هذه الظاهرة والتأكيد على خطورتها .

المطلب الثالث : التجسس

يطلق التجسس في اللغة على البحث والتفتيش وطلب الأخبار وتلمسها[7].

---

[1] سورة يوسف ، آية 52

[2] انظر : الشوكاني ، **فتح القدير** (34/3) .

[3] هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي ، صاحب الطوالع ، والمصباح في أصول الدين ، والغاية القصوى في الفقه ، والمنهاج في أصول الفقه ، ومختصر الكشاف في التفسير ، وشرح المصباح في الحديث ، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ، ولي قضاء القضاة بشيراز . السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي ، ت771هـ ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وغيره ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع بدون بلد نشر ، (ط1413/2هـ) (157/8) .

[4] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (294/3) .

[5] عبد الباقي ، **المعجم المفهرس** (ص642) .

[6] سورة الطارق ، آية 15 - 16

[7] انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (38/6) .

وفي الاصطلاح : " جس الأخبار وتجسسها : تتبّعها . ومنه الجاسوس ؛ لأنه يتتبع الأخبار ، ويفحص عن بواطن الأمور "[1].

وعلى هذا فالتجسس لفظ عام يستخدم في الخير وفي الشر ؛ فإن كان التجسس لتتبع أخبار الأعداء لمصلحة المسلمين ، فلا شك في أن هذا التجسس مطلوب ، بخلاف التجسس على عورات المسلمين الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى : { وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا }[2]. ومن هنا يشترك التجسس في معناه مع الخيانة في جانبه المذموم ، ويفترق معه في جانبه المحمود ، فليس كل تجسس خيانة ، وإن كان التجسس المذموم من أفعال الخائنين .

ولفظ التجسس لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد من سورة الحجرات وهي سورة مدنية في قوله تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا }[3] وذلك في معرض تربية المؤمنين على الأخلاق والقيم الإيمانية ، والنهي عن الأخلاق الذميمة ، والتي منها تتبع عورات المسلمين والتجسس عليهم ، بشكل عام ومن أجل خدمة الأعداء بشكل خاص .

المطلب الرابع : الخداع

الخدع في اللغة : " إظهار خلاف ما تخفيه ... وخدعه : أي أراد به المكروه وختله "[4]. " وأخدعت الشيء : أخفيته ، ومنه المخدع : وهي الخزانة ، والأخدعان : العرقان في العنق لخفائهما "[5].

وفي الاصطلاح : الخداع : " إنزال الغير عما هو بصدده ، بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه "[1]. ومعنى ما سبق : إرادة الشر والمكروه بحيلة خفية ظاهرها الخير .

---

[1] انظر : المناوي ، **التوقيف على مهمات التعاريف** (ص244) .

[2] سورة الحجرات ، آية 12

[3] سورة الحجرات ، آية 12

[4] ابن منظور ، **لسان العرب** (63/8) .

[5] السعدي ، أبو القاسم علي بن جعفر ، ت 514هـ ، **الأفعال** ، عالم الكتب بيروت ، (ط1403/1هـ) ، (1/ 286) .

وهذا الذي يشترك فيه الخداع مع الخيانة ، فهو مكر في الخفاء ، وهو كذلك إرادة الشر والمكروه بالغير . ويفترق مع الخيانة في كونه يحمل وجها إيجابيا ، وهو مخادعة الأعداء في الحرب ، ودليله ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : [الحرب خدعة][2]. وقد نسب الله تعالى الخداع لنفسه ، فقال تعالى : { إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ }[3]. " والخداع من الله : مجازاتهم على خداعهم أولياءه ورسله "[4].

وقد وردت مادة (خ د ع) في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، في ثلاث سور ، في ثلاث آيات[5] هي : قوله تعالى : { يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }[6]. " ومخادعتهم : ما أظهروه من الإيمان ، خلاف ما أبطنوه من الكفر "[7]. وقوله تعالى : { إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ }[8]." يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر...(وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ) : فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع "[9].

وقوله تعالى : { وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ }[10]. ومخادعتهم : بأن "يظهروا لك السلم ، ويبطنوا الغدر والخيانة "[11].

---

[1] المناوي ، **التوقيف على مهمات التعاريف** (ص309) .

[2] البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الحرب خدعة ، حديث : 2866 (1102/3) .

[3] سورة النساء ، آية 142

[4] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (422/5) .

[5] عبد الباقي ، **المعجم المفهرس** (ص227) .

[6] سورة البقرة ، آية 9

[7] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (195/1 - 196) .

[8] سورة النساء ، آية 142

[9] الزمخشري ، **الكشاف** (613/1) .

[10] سورة الأنفال ، آية 62

[11] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (42/8) .

المطلب الخامس : النفاق

النفاق في اللغة : "يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقا ، وهو مأخوذ من النَّافَقَاء[1] لا من النفق : وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره "[2].

وفي الاصطلاح : " إظهار الإيمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب "[3].
فالمنافق مسلم من حيث الظاهر ، بأفعاله وتطبيقه لأوامر الشرع ، وكافر من حيث الباطن ، غير مؤمن ولا مصدق بما يؤمن به المؤمنون .

قال الراغب مقارنا بين الخيانة والنفاق : " الخيانة والنفاق واحد ، إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة ، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان ، فالخيانة : مخالفة الحق بنقض العهد في السر . ونقيض الخيانة : الأمانة "[4]. وتشترك الخيانة مع النفاق أيضا في الاستتار ، فالخائن يغدر سرا في الغالب ، وكذا المنافق الذي يستر كفره . والنفاق بهذا المعنى ، هو النفاق الأكبر المتعلق بالعقيدة لا بالعمل فحسب ، وهو لا شك الصورة الأعظم من صور خيانة الدين . وقد ورد الربط بين الخيانة والنفاق جليا في تفسير الطبري رحمه الله لقوله تعالى : { لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ }[5] فقال : " وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة ، وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن ... "[6].
والفرق بين الخيانة والنفاق هو في العموم والخصوص ، إذ الخيانة أعم من النفاق وأشمل ، فالخيانة تشمل النفاق ، والنفاق من الخيانة ، فهو خيانة للدين . ولفظة الخيانة تاريخيا أسبق في التداول من النفاق . فالخيانة لفظة قديمة أطلقها القرآن الكريم على أفعال السابقين ، كفعلة امرأة

---

[1] النافقاء : " إحدى جحرة اليربوع ، يكتمها ويظهر غيرها " . مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) (942/2) .
[2] ابن منظور ، **لسان العرب** (359/10) .
[3] الجرجاني ، **التعريفات** (311/1) .
[4] الراغب الحسين بن محمد ، ت 369هـ ، **المفردات في غريب القرآن** تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة لبنان ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (ص163) .
[5] سورة الأنفال ، آية 27
[6] الطبري ، **جامع البيان** (221/9) .

نوح ، وامرأة لوط ، وكذلك على فعل امرأة العزيز ، وغيرهم ، أما لفظة النفاق فبدأ تداولها في صدر الدولة الإسلامية ، وأريد بها تلك الفئة من الناس التي أظهرت الإيمان وأبطنت الكفر . وكلًّا من الخيانة والنفاق يقسم إلى مستويات ودرجات ، فمنها العظيم والخطير والكبير ، ومنها ما هو أقل شأنا ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وقد ورد لفظ النفاق وتصريفاته في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية[1] في إحدى عشرة سورة ، في ستة وثلاثين موضعا ، كقوله تعالى : { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ }[2] ، " أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين "[3].والسور التي ورد فيها لفظ النفاق سور مدنية ، باستثناء سورة العنكبوت ؛ وذلك لأن النفاق بمعناه المذكور لم يكن قد ظهر إلا في العهد المدني . وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تحدثت عن النفاق والمنافقين بدون ذكر اللفظ ، مثل آيات سورة البقرة (8 -18) ، وغيرها . ومن الملاحظ أن مساحة كبيرة أعطيت في كتاب الله تعالى لمعالجة ظاهرة النفاق ، حتى إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسمهم ، وليس معنى هذا أن ما لم يتوسع القرآن الكريم في ذكره يعني عدم أهميته ، ولكن تركيز القرآن الكريم على موضوع النفاق فيه إشارة إلى عظم خطورة هذه الظاهرة فهي موجهة تحديدا للمجتمع المسلم ؛ بقصد هدمه وتخريبه .

ومن الجدير ذكره أن هناك بعض الألفاظ التي تشير إلى أفعال تعد من الخيانة وتدخل في معناها ، كالسرقة والغلول ، وذلك مثل قوله تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[4]. ومعنى الآية : " ما صح لنبي أن يخون في الغنائم ، فإن النبوة تنافي الخيانة . يقال : غلّ شيئا من المغنم ، يغل غلولا ، وأغل إغلالا : إذا أخذه في خفية "[5]. فالسرقة عموما ، والسرقة من الغنائم خصوصا ، تعد فعلا من أفعال الخيانة . وفي هذا المبحث تم ذكر الألفاظ التي تعد من نظائر الخيانة ، حيث

---

[1] عبد الباقي ، **المعجم المفهرس** (ص716 - 717) .
[2] سورة التوبة ، آية 67
[3] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (199/8) .
[4] سورة آل عمران ، آية 161
[5] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (109/2) .

يتعذر إدراج جميع الألفاظ الدالة على أفعال الخائنين ، وسيكون تفصيلها فـــي مبحـــث صـــفات وأفعال الخائنين بإذن الله تعالى .

ومن الملاحظ في نهاية هذا المبحث الارتباط الكبير بين مفهوم الخيانة ونظائره . فجميـــع هذه المفاهيم تشترك في معنى إضمار الشر بقصد إيقاع الضرر كما أن الخائن يستتر بالخفـــاء لإيقاع الضرر بالآخرين ، فكذلك يفعـ الماكر والكائد والجاسوس والخادع والمنافق .

فالخيانة تتضمن جميع معاني المكر والخداع والكذب والتزوير والتجسس وتزييف الحق وكشف عورات المسلمين وتتبعها ، كل ذلك بالغدر والسر والنفاق والخفاء ، بغرض إيجـــاد الطمأنينـــة والثقة والأمان عند المغدور ، ثم طعنه من الخلف .

الفصل الثاني

أنواع الخيانة في القرآن الكريم

المبحث الأول : خيانة الدين

المبحث الثاني : خيانة الأمة والوطن

المبحث الثالث : خيانة العرض

المبحث الرابع : خيانة النفس والجوارح

المبحث الأول
خيانة الدين

المقصود بخيانة الدين : الخروج عن التكاليف الشرعية التي افترضها الله تعالى على عباده . وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً }[1]. والمقصود بهذه الأمانة على الراجح[2] ، أمانة التكاليف التي كلفها الله الناس من خلال الرسل . وما يترتب على ذلك من تطبيقها ، وتبليغها للناس ، فهي الأمانة الكبرى [3]. و" الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلفين هي : امتثال الأوامر واجتناب المحارم في حال السر والخفية كحال العلانية ... فانقسم الناس بحسب قيامهم بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام : منافقون قاموا بها ظاهرا لا باطنا ، ومشركون تركوها ظاهرا وباطنا ، ومؤمنون قائمون بها ظاهرا وباطنا "[4].

ومما يدل على أن الأمانة تعني فيما تعنيه أمانة الدين ، ما أخرجه الطبري عن ابن زيد في تفسير قوله تعالى : { وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ }[5]، أي دينكم[6] .

يقول سيد قطب[7] رحمه الله : "والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى ، الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان ، والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها

---

[1] سورة الأحزاب ، آية 72

[2] انظر ما ورد فيها من أقوال ص13

[3] انظر : الواحدي ، **الوجيز** (875/2) . البغوي ، **معالم التنزيل** (546/3) . الشوكاني ، **فتح القدير** (308/4).

[4] السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ت 1376هـ ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق : محمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (طبعة سنة 1421هـ) (ص673 - 674) .

[5] سورة الأنفال ، آية 27

[6] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (223/9) .

[7] هو : سيد قطب إبراهيم حسين شادلي ، مفكر إسلامي مصري ، ولد في صعيد مصر عام 1906م . عمل في جريدة الأهرام ، ثم مدرسا في وزارة المعارف ، وشغل فيها عدة مناصب ، ثم استقال منها عام 1953م ، وانضم إلى صفوف جماعة الإخوان المسلمين ، سجن عدة مرات ، وحكم عليه بالإعدام ونفّذ فيه الحكم عام 1966م ، من أهم مؤلفاته : في ظلال القرآن ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، معالم في الطريق . انظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** ، الدار الشامية بيروت ، (ط1991/1م) (ص 15 - 17) .

الإنسان ، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه ... وهذه أمانة حملها وعليه أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات . ومن هذه الأمانة الكبرى ، تنبثق سائر الأمانات ، التي يأمر الله أن تؤدى : ومن هذه الأمانات : أمانة الشهادة لهذا الدين ، الشهادة له في النفس أولا ، بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له . ترجمة حية في شعورها وسلوكها . حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس ... والشهادة له بدعوة الناس إليه وبيان فضله ومزيته ... فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه ، إذا هو لم يدْع إليها الناس كذلك ، وما يكون قد أدى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان ، وهي إحدى الأمانات . ثم الشهادة لهذا الدين بمحاولة إقراره في الأرض ، منهجا للجماعة المؤمنة ، ومنهجا للبشرية جميعا ... فإقرار هذا المنهج في حياة البشر هو كبرى الأمانات ، بعد الإيمان الذاتي . ولا يعفى من هذه الأمانة الأخيرة فرد ولا جماعة "[1].

فإذا أشفقت السماوات والأرض والجبال من حمل هذه الأمانة ؛ لعظمها وثقلها ؛ فإن الإنسان الذي قبل حملها ، كان ظلوما جهولا . وقد أخرج الطبري عن ابن عباس[2] قوله : " إنا عرضنا الأمانة : الطاعة ، عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم ، فلم تُطقها . فقال لآدم : يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فلم تطقها . فهل أنت آخذها بما فيها ؟ فقال : يا رب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت . فأخذها آدم فتحمّلها . فذلك قوله : (فحملها الإنسان ، إنه كان ظلوما جهولا) "[3].

وبما أن الإنسان قد حمل هذه الأمانة العظيمة ، كان لا بد له من أدائها على الوجه الذي أمر الله تعالى . وإلا كان خائنا لها . فمخالفة التكاليف الشرعية خيانة ؛ ولذلك فالكفر خيانة للدين قال تعالى : { وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ }[4]. أي كفروا به[5]. وهو

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (5/413 - 414) .

[2] وروي قريبا من هذا القول عن ابن عمر رضي الله عنهما . البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله ، ت458هـ ، **كتاب الزهد الكبير** تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، (ط1996/3م) (ص277) .

[3] الطبري ، **جامع البيان** ، (54/22) . وانظر : البغوي ، **معالم التنزيل** ، (546/3) . ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (523/3) .

[4] سورة الأنفال ، آية 71

[5] انظر : الواحدي **الوجيز** (449/1) . البغوي ، **معالم التنزيل** (263/2) . الشوكاني ، **فتح القدير** (329/2) .

ما ذكره الله تعالى من خيانة امرأتي النبيين نوح ولوط عليهما السلام في قوله تعالى[1] : { ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ }[2]. أي خانتاهما في الدين بأن كفرتا [3].

فعدم امتثال أمر الله تعالى ، والوقوع في معصيته ، هو خيانة لله . وعدم امتثال أمر النبي عليه الصلاة والسلام وعدم التزام نهجه هو خيانة للرسول صلى الله عليه وسلم . قال تعالى يأمرنا بتجنب خيانة الله ورسوله : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[4]. "والمعنى : لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ، ورسوله بأن لا تستنوا به ، وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها "[5]. وقد سبق بيان ما ورد في تفسير هذه الآية مفصلا في موضع سابق[6] .

وبناء على ما سبق بيانه فإن الكافر الذي لا يرتضي لنفسه دين الله تعالى ، من لدن آدم عليه السلام إلى هذا اليوم ، خائن للدين . فالذين خرجوا عن تعاليم أنبيائهم ورسلهم ، وخالفوهم وكفروا بهم وقاتلوهم ، هم لا شك خانوا الدين . والذين حرفوا وغيروا وبدلوا في الدين بعد رسلهم وأنبيائهم ، هم كذلك وقعوا في خيانة الدين ، كأهل الكتاب الذين ذكر الله تعالى خيانتهم في تغيير تعاليم الله تعالى قال تعالى فيهم : { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا

---

1 انظر ما ورد من أقوال في تفسير هذه الآية ص80

2 سورة التحريم ، آية 10

3 انظر : السمعاني ، **تفسير القرآن العزيز** (478/5) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (202/18) .

4 سورة الأنفال ، آية 27

5 الزمخشري ، **الكشاف** ، (202/2) . وانظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** ، (1683/5) . الآلوسي ، **روح المعاني** (195/9) .

6 انظر تفسير الآية مفصّلا ص 19 20

قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ}[1].

وإن المسلم الذي ينتسب للإسلام انتسابا ، وليس له من الإسلام إلا الاسم ، فلا يؤدي ما كلفه الله تعالى به ، وما افترضه عليه ، من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها . ولا يأتمر بأمر الله في المعاملات ، كالصدق ، والوفاء بالعهود ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين وغير ذلك ، ويقع في ما حرم الله عليه ، فتجده يمشي بالنميمة ، ويغتاب الناس ، ويسرق ويزني ويشرب الخمر ، هو كذلك خائن للدين والعياذ بالله .

---

[1] سورة المائدة ، آية 13

المبحث الثاني

خيانة الأمة والوطن

المقصود بخيانة الأمة والوطن : التآمر على مقدرات المسلمين ومصالحهم وأرضهم ومقدساتهم ، والتلاعب بأمنهم وأرواحهم واقتصادهم وأرزاقهم وتقديم المساعدة للأعداء ؛ للإضرار بالمسلمين ، من خلال التخابر معهم ، وتقديم المعلومات لهم ؛ لاستغلالها ضد المسلمين . فكل ذلك خيانةٌ للأمة .

كما أن قيام المسؤولين - الذين انتدبتهم الأمة - بمخالفة أمانة الأمة الملقاة على عاتقهم ، والتي على رأسها تحكيم شرع الله في الأمة ، في كل نواحي الحياة ، ومجاهدة أعداء الله ، ونشر دين الله في ربوع العالمين ، والمحافظة على دماء المسلمين ، وصيانة أعراضهم ، وحفظ أرضهم ومقدساتهم وذلك بالتفريط فيما سبق ولو بشيء يسير منه ، هو خيانةٌ للأمة . وهو واقع في النهي الوارد في قوله تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ }[1]. ولا شك في أن من أعظم الأمانات أمانة الأمة وأرضها ومقدساتها . وخيانتها لا شك كذلك في أنه من أعظم الخيانات .

وقد جاء النهي من الله تعالى عن موالاة الكفار ، ومناصرتهم ، ومعاونتهم على المؤمنين ، في نصوص قرآنية كثيرة . من ذلك ما جاء في فاتحة سورة الممتحنة في قوله تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ }[2].

---

[1] سورة الأنفال ، آية 27

[2] سورة الممتحنة ، آية 1

" وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالاة الكفار ، من المشركين وغيرهم ، وإلقاء المودة إليهم . وأن ذلك مناف للإيمان ، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو ... فإن المودة إذا حصلت تبعتها النصرة والموالاة . فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران . وهذا المتخذ للكافر ولياً عادمٌ المروءةَ أيضا فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر ، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير ، ويأمره به ويحثه عليه ؟ "[1].

وهذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة [2]، الذي تخابر مع قريش يخبرهم بخبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة. وسيأتي تفصيل الحديث في فعلة حاطب لاحقا[3] بإذن الله تعالى .

وقال تعالى أيضا في النهي عن موالاتهم : { لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ }[4]. "ومعنى ذلك : لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، يعني بذلك : فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر "[5]. ومعنى { إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ } أي : " أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه ... فرخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم ، والمراد بتلك الموالاة : مخالقة ومعاشرة ظاهرة ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء "[6]. وقيل معنى الاستثناء هنا : حسن معاملتهم ومخالقتهم في الدنيا ، وقيل صلة

---

[1] السعدي **تيسير الكريم الرحمن** (ص855) .

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (58/28) . السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، ت911هـ **لباب النقول في أسباب النزول** دار إحياء العلوم بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (ص210) .

[3] انظر : ص83

[4] سورة آل عمران ، آية 28

[5] الطبري ، **جامع البيان** (228/3) . وانظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (358/1) . السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص127) .

[6] الزمخشري ، **الكشاف** (380/1) . البغوي ، **معالم التنزيل** (292/1) .

الأقارب منهم[1]. وقد أورد صاحب التفسير الكبير جملة من الأحكام المتعلقة بالتقية ، منها : أن التقية تكون مع الكفار عند الخوف ، مع جواز بل أفضلية عدم العمل بها ، وأنها لا تجوز في حال ترتب عليها قتل نفس أو زنا أو غصب أموال أو شهادة زور [2].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة منها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما " قال : كان الحَجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد ، قد بطنوا[3] بنفر من الأنصار ؛ ليفتنوهم عن دينهم ، فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم ؛ لا يفتنوكم عن دينكم ، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم ؛ فأنزل الله عز وجل : { لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ } "[4].

ومن الروايات الواردة في سبب نزول الآية ما رواه الكلبي[5] عن ابن عباس أيضا قال : " نزلت في المنافقين ، عبد الله بن أبي وأصحابه ؛ كانوا يتولون اليهود والمشركين ، ويأتونهم بالأخبار ، يرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم[6] . وقيل : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة تحديدا ، وقيل : في عبادة بن الصامت ، كان له حلفاء من اليهود[7].

والأخبار الواردة في سبب النزول جميعها توضح وتبين حرمة موالاة الأعداء ، واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، والحذر منهم ومن دسائسهم ومكائدهم .

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (229/3) . الرازي **تفسير القرآن العظيم** (630/2) .

[2] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (12/8) .

[3] بطن به : دخل في أمره . ابن منظور ، **لسان العرب** (55/13) .

[4] الطبري ، **جامع البيان** (228/3) .

[5] هو : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، يكنى أبا القاسم ، من أهل غرناطة ، له من المؤلفات الكثير منها : وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، والأقوال السنية في الكلمات السنية ، والدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار ، وتقريب الوصول إلى علم الأصول ، وغيرها ، توفي شهيدا عام 741هـ . انظر : ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد ، ت799هـ ، **الديباج المذهب في معرفة علماء أهل المذهب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (ص295 296) .

[6] العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ ، **العجاب في بيان الأسباب** ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي السعودية ، (ط1418/1هـ) (676/2) .

[7] انظر : المرجع السابق ، (676/2 - 677) .

وقولــه تعــالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ }[1]. والنهي في الآية الكريمة واضح ، فقد نهى الله تعالى " المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهــود والنصـــارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا ، وحليفا ، ووليـــا من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه منهم في التحزب على الله ، وعلى رسوله والمــؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان "[2].

وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية أقوالاً عديدة منها : "جاء عبادة بن الصامت من بني الحرث بن الخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن لي موالي من يهود ، كثير عددهم ، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ، وأتولّى الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبي : إني رجل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولاية موالي ... "[3]. "وقال آخرون : بل عني بذلك قوم من المؤمنين كانوا همّوا حين نالهم بأُحد من أعــدائهم مــن المشركين ما نالهم ، أن يأخذوا من اليهود عصما ، فنهاهم الله عن ذلك ، وأعلمهم أن من فعــل ذلك منهم فهو منهم وقال آخرون : بل عني أبو لبابة بن عبد المنذر في إعلامه بني قريظـــة إذ رضوا بحكم سعد أنه الذبح "[4].

وفي صحة هذه النقول ، عقّب الطبري رحمه الله بعد سردها بالقول : "ولم يصح بواحد مــن هذه الثلاثة خبر يثبت بمثله حجة ، فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل ، فإذ كـــان ذلـــك كـــذلك ، فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عم ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيـــه مـــن القول الذي لا علم عندنا بخلافه ، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهـــود أو نصارى ؛ خوفا على نفسه من دوائر الدهر ؛ لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلـــك ، وذلـــك

---

[1] سورة المائدة ، آية 51

[2] الطبري ، **جامع البيان** (276/6) . وانظر : السمرقندي ، نصر بن محمــد بــن أحمــد ، ت393هـــ ، **تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم** تحقيق : محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت ، (بــدون طبعــة ولا ســنة نشــر) (421/1) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (333/2 334) .

[3] الطبري ، **جامع البيان** (275/6) . وانظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** (1155/4) .

[4] الطبري ، **جامع البيان** (276/6) .

قولـــــــــه : { فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ }[1] "[2].

وفي كتاب الله تعالى آيات كثيرة تنهى عن موالاة الكفـــار ، ومناصـــرتهم ، وطـــاعتهم والركـــون إلـــيهم ، مثـــل قولـــه تعـــالى : { إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ }[3]. وقوله أيضا : { لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ۚ }[4]. وقولـــــه تعـــــالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ۙ ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِى بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ }[5]. وقولـــه تعـــالى : { تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِى ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ }[6]. وقوله تعالى : { أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ }[7].

---

[1] سورة المائدة ، آية 52

[2] الطبري ، **جامع البيان** (276/6) .

[3] سورة الممتحنة ، آية 9

[4] سورة المجادلة ، آية 22

[5] سورة محمد ، آية 25 - 26

[6] سورة المائدة ، آية 80 - 81

[7] سورة الحشر ، آية 11

ومن المظاهر الخيانية لموالاة الكفار : " اتباع أهوائهم ، وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به ، والركون إليهم ، ومداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين ، وإظهار الود لهـم ، وإكرامهم وتقريبهم ، ومشاورتهم في الأمور الهامة ، واتخاذهم بطانـة مـن دون المـؤمنين ، ومعاونتهم على ظلمهم ونصرتهم ، والتشبه بأعمالهم وعاداتهم وتقاليدهم ، واسـتعارة قـوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها ، والتآمر والتخطيط معهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم ، والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرار الأمة إلـيهم ، والقتال في صفهم ، وتوليتهم المراكز الهامة ، وتنصيبهم في أهم الوظائف وأخطرهـا ، وتبنـي مناهجهم وقيمهم وتصوراتهم ، والدعوة إليها ، وتفضـيل علمـائهم ومفكـريهم علـى علمـاء المسلمين "[1].

فمن وقع في شيء من هذا فقد خان الأمة والوطن . فما أكثر الخائنين للأمة اليـوم ! ومـا أوهن الأمة التي تقبل بين أظهرها أمثالهم ، بل وترضى بهم حكاماً ومسؤولين !

[1] انظر : ياسين ، محمد نعيم ، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه** مكتبة الفلاح الكويت ، (ط5/1407هـ) (ص129-132) .

المبحث الثالث

خيانة العرض

المقصود بخيانة العرض : انتهاك الأعراض بالزنا ، أو القذف ، واستخدام الفرْج في غير ما أحل الله تعالى هذا بشكل عام . ويدخل في ذلك خصوصية خيانة رباط الزوجية ، الذي سماه الله تعالى : ميثاقا غليظا ، في قوله تعالى : { وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا }[1] .

والفرْج من الأمانات التي أمر الله تعالى بحفظها قال تعالى : { وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ }[2] فهم يحفظونها عن الحرام ، وعن المعاصي وعن الفواحش ، وعن كل ما لا يحل لهم [3]. ولا لوم في بَذْل الفرج فيما حدّدته الآية من الأزواج ، وملك اليمين من الإماء ، " وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجهٍ أَذِنَ فيه الشرع ، دون الإتيان في غير المأتى ، وفي حال الحيض ، والنفاس ، فإنه محظور ، وهو على فعله ملوم "[4]. وما عدا ذلك فهو اعتداء ، وخيانة للعرض .

قال الحكيم الترمذي[5] رحمه الله : " وجعل أمانة الفرْج من بين الجوارح كلها مستورة ، وسميت فاحشة إذا كشف عنها بغير حق . والاستعمال لها بغير حق هلكة ، وتأديبه القتل بالحجارة والتنكيل ... والكاشف عنها منزوع الحياء ممقوت "[6].

---

[1] سورة النساء ، آية 21

[2] سورة المؤمنون ، الآيات 5 - 7

[3] انظر : السمرقندي ، **بحر العلوم** (474/2) . الواحدي ، **الوجيز** (743/2) . السمعاني ، **تفسير القرآن العزيز** (463/3) . البغوي ، **معالم التنزيل** (3/ 303) .

[4] البغوي ، **معالم التنزيل** (303/3) .

[5] هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف ، قيل إنه نفي من ترمذ بسبب تأليفه كتاب : ختم الولاية ، وكتاب علل الشريعة ، عاش نحواً من ثمانين سنة ، توفي سنة 285هـ . انظر : الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** (645/2) .

[6] الترمذي ، أبو عبد الله الحكيم ، محمد بن علي بن الحسن ، ت320هـ ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم** تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت ، (طبعة سنة 1992م) (155/3) .

فعدم حفظ الفرج هو خيانة للعرض ، كما أن الاعتداء على أعراض الناس ، خيانة لأمانة العرض أيضا ، ولو كان ذلك بكلمة يُرمى بها بريئ بالفاحشة ؛ لأن في ذلك أيضا هتكاً للأعراض ، واعتداءً عليها يستوجب فاعل ذلك اللعن من الله تعالى والعذاب العظيم قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ }[1]. وقد نزلت هذه الآية في السيدة عائشة رضي الله عنها ، عندما أشاع عنها المنافقون الفاحشة [2]. وهو ما سماه القرآن الكريم "بالإفك ". قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ }[3].

وقد ذكر القرآن الكريم حادثة مفصلة عن خيانة العرض ؛ وهي قصة خيانة امرأة العزيز زوجَها عندما راودت يوسف عليه السلام عن نفسه . وسيأتي بيانها عند الحديث عن النماذج القرآنية للخيانة[4] ، إن شاء الله تعالى .

ولكن ليس الأمر مقتصرا على امرأة العزيز فإن الذي حدث من امرأة العزيز قد يحدث من كل أنثى ، ولو بالنظرة المحرمة ، أو بكلمة ، أو بما هو أيسر من ذلك .

وفي الحديث الآتي إشارة إلى ذلك قال صلى الله عليه وسلم : " ولولا حواء لم تَخُنْ أنثى زوجها الدهر "[5]. وفي معنى الحديث يقول ابن حجر : " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها : أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق ، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول ، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش ، حاشا

---

[1] سورة النور ، آية 23

[2] انظر : البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : المغازي ، باب : حديث الإفك، حديث : 3910 (1517/4).

[3] سورة النور ، آية 11

[4] انظر : ص64

[5] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة .. حديث 3218 (1254/3) . مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت261هـ ، **صحيح مسلم** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) ، كتاب : الرضاع ، باب : لولا حواء لم تخن أنثى ... ، حديث : 1470 (1092/2) .

وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ، وحسنت ذلك لآدم ، عد ذلك خيانة له . وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها "[1].

وقد أخرج الطبري عن السدي أنه قال : " فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضرني ، فلما أكل آدم بدت لهما سوءاتهما "[2].

" ولولا أنها سنت هذه السنة لما سلكتها أنثى مع زوجها ؛ فإن البادئ بالشيء كالسبب الحامل لغيره على الإتيان به ، فلما خانت سرت في بناتها الخيانة "[3].

وقال ابن الجوزي : " إن خيانة حواء زوجها كانت في ترك النصيحة في أمر الشجرة ، لا في غير ذلك ... ولما خانت حواء زوجها اطردت الحال في بناتها "[4].

والتحقيق في هذه المسألة يقود إلى القول بأن ما اعتمده الإمام ابن حجر وما نقله الطبري عن السدي ، لا يعدو كونه رأياً لا دليل عليه ، بل فيه تأثر بالإسرائيليات . فقد ورد في العهد القديم (التوراة) ما نصه : " فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها ، وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها ، فأكل ، فانفتحت أعينهما ، وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين ، وصنعا لأنفسهما مآزر "[5] . وما ذكره المناوي في تعليل سريان الخيانة في جنس الإناث بأن البادئ بالشيء كالسبب الحامل لغيره على الإتيان به ، لا يسلّم به ، ولا يشترط إذا خانت امرأة أن تسري الخيانة في بناتها إلى يوم القيامة ! أما ما قاله ابن الجوزي رحمه الله فهو اجتهاد له وجاهة ، وهو أقرب لمفهوم النص القرآني .

---

[1] العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (368/6) . انظر أيضا : العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني ، ت806هـ ، **طرح التثريب في شرح التقريب** ، تحقيق : عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/2000م) (63/7) .

[2] الطبري ، **جامع البيان** (224/16) .

[3] المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ت1031هـ ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، المكتبة التجارية الكبرى مصر (ط1/1356هـ) (343/5) .

[4] ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن ، ت597هـ ، **كشف المشكل من حديث الصحيحين** ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن الرياض ، (طبعة سنة 1418هـ) (504/3) .

[5] الكتاب المقدس (طبعة سنة 1991م) **العهد القديم** ، سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، الفقرة 7 .

وإن من خيانة المرأة زوجها : أن يرى زينتها غير زوجها ومحارمها ، قال تعالى : { وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ... }[1] ، ومن خيانتها له ، أن تنظر بشهوة لغيره ، قال تعالى : { وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ }[2]، ومن خيانتها له ، الخضوع بالقول للأجانب ، قال تعالى : { فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ }[3]، وغير ذلك من مظاهر الخيانة الزوجية . وليس ذلك في كل امرأة "فإن منهن من تضبط نفسها ، ومنهن من لا تضبط ، وفي استحضار ذلك إعانة على احتمالهن ، ودوام عشرتهن "[4] . ثم إن الأمر لا يقتصر على المرأة مع زوجها ، بل هو كذلك على الرجل مع زوجه . والأمر فيه توجيه إلى الحذر من الخيانة الزوجية ، ولو بأيسر الأمور .

وبعد ، فإنه لا بد من القول إن الوقوع في مثل هذا النوع من الخيانة ، خيانة العرض ، أو " الخيانة الزوجية " ، أو خيانة البُضْع ، قد يقود في زماننا هذا إلى خيانة أعظم ؛ وذلك لاستغلال أعداء الأمة مظاهر السقوط والانحراف الأخلاقي في توريط ضحاياهم ، وابتزازهم وتخويفهم من الفضيحة ؛ لتحقيق أهدافهم من تجنيد هؤلاء لخدمة أعداء الأمة ، وتنفيذ مخططاتهم للكيد بالإسلام والتآمر على أهله .

فمن كان حافظاً لهذه الأمانة ، بعيداً عن مظاهر خيانة العرض ، والتفريط به ، فكيف يمكن أن يكون في مرمى شباك أعداء الأمة ، ولقمة سائغة لهم ، لتحقيق مآربهم وأهدافهم ؟

---

[1] سورة النور ، آية 31

[2] سورة النور ، آية 31

[3] سورة الأحزاب ، آية 32

[4] العراقي ، **طرح التثريب** (64/7) .

المبحث الرابع
خيانة النفس والجوارح

ذكر الله تعالى خيانة النفس في كتابه العزيز ، في قوله تعالى : { عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ }[1]. وتختانون أنفسكم أي "تظلمونها ؛ بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب . والاختيان أبلغ من الخيانة ، كالاكتساب من الكسب "[2]. وقد ذكر الراغب في المفردات أن " الاختيان : مراودة الخيانة ، ولم يقل تخونون أنفسكم ؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة ، بل كان منهم الاختيان ، فإن الاختيان : تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى : { إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ }[3] "[4]. وذكر القرطبي في معنى الاختيان أي : " يستأمر بعضكم بعضا في مواقعة المحظور من الجماع والأكل بعد النوم في ليالي الصوم ، كقوله تعالى : { تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ }[5] ، يعني : يقتل بعضكم بعضا . ويحتمل أن يريد به كل واحد منهم في نفسه بأنه يخونها وسماه خائنا لنفسه من حيث كان ضرره عائدا عليه "[6].

ومما سبق يتبين لنا الاختلاف الحاصل في المراد بقوله تعالى : (تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ) فمن قائل بأن المقصود خيانة بعضكم بعضا ، ومن قائل بأن المقصود خيانة النفس بمخالفة الشرع ، ومن قائل بأن المراد مراودة الخيانة دون مباشرتها ، وغير ذلك . والصحيح ما ذكره البيضاوي ، وما ذكره القرطبي في أحد قوليه ، وما عليه أكثر المفسرين ، وهو خيانة النفس بإقحام الجوارح في ما حرم الله تعالى ، ومن ثم تعريضها لعقاب الله تعالى . وهذا القول يتوافق مع ما ورد في سبب نزول الآية الكريمة فقد روى ابن أبي حاتم عن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال : " كان الناس إذا صام الرجل فنام حُرّم عليه الطعام والشراب حتى يفطر من الغد ،

---

[1] سورة البقرة ، آية 187
[2] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (469/1) .
[3] سورة يوسف ، آية 53
[4] الراغب ، **المفردات** (ص163) .
[5] سورة البقرة ، آية 85
[6] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (317/2) .

فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، وقد سمر عنده ، فوجد امرأته قد نامت ، فأيقظها ، وأرادها ، فقالت : إني نمت فقال : ما نمتِ ثم وقع بها وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ } "[1]. وذكر الطبري ما يؤيد ذلك ثم قال : " إن قال لنا قائل : وما هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم ، التي تاب الله منها عليهم ، فعفا عنهم ؟ قيل : كانت خيانتهم أنفسهم التي ذكرها الله في شيئين : أحدهما جماع النساء ، والآخر المطعم والمشرب ، في الوقت الذي كان حراما ذلك عليهم "[2]. ويجزم صاحب التفسير الكبير على أن المراد هنا المخالفة بالجماع ، فيقول : " إن الله تعالى ذكر هاهنا أنهم كانوا يختانون أنفسهم ، إلا أنه لم يذكر أن تلك الخيانة كانت في ماذا ، فلا بد من حمل هذه الخيانة على شيء يكون له تعلق بما تقدم ، وما تأخر . والذي تقدم هو ذكر الجماع ، والذي تأخر قوله : { فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ } ، فيجب أن يكون المراد بهذه الخيانة ، الجماع "[3]. ثم بين البيضاوي رحمه الله أن المراد بخيانة النفس ، عدم الوفاء بطاعة الله ، وذكر أن منهم من حمله على عدم الوفاء بما هو خير للنفس ؛ ولذلك جاء التعبير ب (تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ) ، وليس ب (تختانون الله) ، كما قال تعالى : { لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ }"[4]. فخيانة النفس هنا ، هي بالوقوع في المعصية ، فالخائن لنفسه : الذي يوقعها في معصية الله تعالى . ولا شك في أن ذلك سيكون باستخدام الجوارح .

" وجوارح الإنسان : عوامل جسده من يديه ورجليه "[5] ، وسميت جارحة ؛ لأنها تجرح الخير والشر ، أي : تكسبه [6]. والجوارح ، كاليدين والرجلين والعينين والأذنين واللسان وغيرها ، نعمة من نعم الله العظيمة على الإنسان . وإن من شكر هذه النعمة استخدامها كما أمر

---

[1] الرازي **تفسير القرآن العظيم** (316/1) . وانظر : الطبري ، **جامع البيان** (163/2 164) .

[2] الطبري ، **جامع البيان** (163/2) .

[3] البيضاوي ، **التفسير الكبير** (91/5) .

[4] انظر : المرجع السابق ، (91/5) .

[5] الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، ت270هـ ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط2001/1م) (86/4) .

[6] انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (423/2) .

الله تعالى ، وحفظها عن الوقوع فيما نهى الله تعالى عنه . ولذلك كان الخروج بالجوارح عن أمر الله تعالى ونهيه خيانة للنفس .

ومن هنا وصف الله تعالى استخدام العين في النظرة الخفية المحرمة بأنه خيانة قال تعالى : { يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ }[1]. وخائنة الأعين : أي خيانة الأعين ، وخيانة الأعين : مسارعة النظر ، واستراقه إلى ما لا يحل ، كما يفعل أهل الريب [2]. "وقيل هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة ، ثم يتفكر بقلبه في جمالها ، ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضْرته . والله يعلم ذلك كله "[3].

وقد أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى خيانة الأعين ، قال : " الرجل يكون في القوم ، فتمر بهم المرأة ، فيريهم أنه يغض بصره عنها ، وإذا غفلوا لحظ إليها ، وإذا نظروا غض بصره عنها . وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه ينظر إلى عورتها "[4]. كما أخرج ابن أبي حاتم أيضا " عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : { يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ } ، قال : نظرت إليها لتريد الخيانة ، أم لا ... "[5].

وقد أمر الله تعالى بغض البصر ، فقال : { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا }[6].

فإذا كان ذلك في العين تسترق النظرة إلى الحرام ، فكيف بالعين التي لا تعرف النظر إلا إلى الحرام ؟ وكيف بالعين التي تختلس النظر إلى عورات المسلمين وأسرارهم ؛ من أجل نقل

[1] سورة غافر ، آية 19

[2] انظر : الواحدي ، **الوجيز** (943/2) . السمعاني ، **تفسير القرآن** العزيز (13/5) . الزمخشري ، **الكشاف** (163/4) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (88/5) .

[3] النسفي ، **مدارك التنزيل** (70/4) .

[4] الرازي **تفسير القرآن العظيم** (3265/10) .

[5] المرجع السابق ، (3265/10 3266) .

[6] سورة النور ، آية 30 - 31

ذلك لأعداء الأمة ؟! بدل أن توظف في حراسة المسلمين ، والسهر من أجل أمنهم وســلامتهم . هل تظن أن عين الله غافلة ؟ إن الله تعالى يعلم العين الخائنة .

وما قيل عن جارحة العين يقال عن سائر الجوارح ، "فــالفرج أمانـــة ، والأذن أمانـــة ، والعين أمانة ، واللسان أمانة ، والبطن أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة ، ولا إيمان لمـــن لا أمانة له"[1]. فمن قصر في هذه الأمانات فقد خانها . فالرجل التي تمشـــي إلـــى الحـــرام رجـــل خائنة . واليد التي تمس الحرام ، كتلك التي تسرق ، أو تبطش بالمسلمين ، أو تصـــافح أعـــداء الأمة ، يد خائنة . واللسان الغارق في الآفات ، كالغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور ، وتلفيق الاتهامات لأولياء الله ، وإفشاء أسرار الجماعة المسلمة ، هو بالتأكيد لسان خائن .

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بخيانة الجوارح ، وسماها زنا فقال صلى الله عليــه وسلم فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : "كُتِب على ابنِ آدم نصيبُه من الزنا ، مدركٌ ذلك لا محالةَ فالعينانِ زناهما النظرُ والأذنانِ زناهما الاستماعُ واللسانُ زناه الكلامُ واليدُ زناها البَطْشُ والرِّجْ زناها الخُطا والقلبُ يهوَى ويتمنَّى ويُصَدِّقُ ذلك الفرْج ويكذبُــهُ"[2]. فها هي الجوارح تزني ، مع أن زناها مجازي ، وكذا فإن الجوارح تخون ، وخيانتها مجازية .

ثم تأتي هذه الجوارح التي أقحمها صاحبُها في الخيانة ، تشهد عليه يـــوم القيامـــة ؛ قـــال تعـــالى : { وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ

[1] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (254/14) .

[2] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : القدر ، باب : قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، حديث : 2657 (2047/4) . وانظر : البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الاستئذان ، باب : زنا الجوارح دون الفرج ، حـــديث : 5889 (2304/5) .

وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ }[1].

في ذلك الموقف العظيم تأتي الجوارح تعترف على صاحبها بما كان قد أقحمها في الدنيا في معاصي الله تعالى . تأتي تشهد عليه ينطقها الله الذي أنطق كل شيء فتفضحه على رؤوس الأشهاد وقد كان في الدنيا حريصا على إخفاء خيانة نفسه وجوارحه . ولكن في ذلك اليوم تتكشف الأستار ، وتُبْلَى السرائر ، وتخرج مكنونات الأنفس . وعندها يبدأ مشهد التلاوم بين الخائن وجوارحه ، التي كشفت خيانته : لم شهدتم علينا ؟ ويبدأ بتوجيه اللوم لها .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كنا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون ممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسولُه أعلم . قال : من مخاطبَةِ العبدِ ربَّه ، يقول : يا رب ، ألم تُجِرْني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى . قال : فيقول : فإني لا أُجيزُ اليوم على نفسي إلا شاهداً مني . قال : يقول : كفى بنفسِك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرامِ الكاتبينَ شُهوداً . قال : فيُخْتَمُ على فيهِ . فيُقالُ لأَرْكانِهِ : انْطقي . فتنطِقُ بأعمالهِ . قال : ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بُعْدا لَكُنَّ وسُحقاً ، فعنْكُنَّ كنتُ أُناضل "[2].

فكيف يمكنه أن ينكر ما قد فعلته جوارحه ، التي هي جزء من بدنه ؟ وهل يمكنه الاستتار في فعل الخيانات والتخفي عن بدنه ، وعن جوارحه ؟ إذاً فأمْره مفْتَضَح ومكشوف . ولو بالغ في التخفي والاستتار . وقد يحاول يوم القيامة إنكار أفعاله الخيانية ، وادعاء الصلاح والاستقامة . وهو لا يتوقع أن يكون الشاهد عليه يومئذ من نفسه .

وفي نهاية هذا الفصل ، يتبين أن للخيانة صورا وأنواعا ، تتعدد في مسمياتها وتلتقي في مضمونها وجوهرها . فخيانة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أو خيانة الدين ، تشمل جميع أنواع وصور الخيانة . فالدين نهى عن خيانة العرض ، ونهى عن خيانة الأرض والمقدسات والأمة ، ونهى عن استخدام الجوارح في الخيانة . كما أن خيانة الأمة وأرضها ومقدساتها ، هي خيانة لله ولدين الله . وكذا يقال في خيانة العرض والزوج . وخيانة النفس

---

[1] سورة فصلت ، الآيات 19 - 23

[2] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الزهد والرقائق ، حديث : 2969 (2280/4) .

والجوارح ، تشترك في مضمونها مع صور الخيانة الأخرى . فالجوارح تستخدم لتحقيق أنـــواع الخيانة جميعا . فالعين التي تخون الأمة لصالح أعدائها ، ومثلها الأذن ، وكذلك اللسان والرجل واليد ، كلها جوارح . والفرْج الذي يخون العرض والشرف ، من الجوارح أيضا . والجـــوارح أيضا تستخدم في خيانة الدين ، بالخروج عن أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . وهكذا نلاحظ الارتباط والتداخل بين أنواع الخيانة ووسائلها .

الفصل الثالث

نماذج قرآنية للخيانة

المبحث الأول : خيانة أهل الكتاب

المبحث الثاني : خيانة امرأة العزيز

المبحث الثالث : خيانة إخوة يوسف عليه السلام

المبحث الرابع : خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام

المبحث الخامس : خيانة حاطب بن أبي بلتعة

المبحث الأول

خيانة أهل الكتاب

سبق الحديث عن أن الخيانة والغدر والمكر ، من صفات الكفار وأفعالهم عموما ولكن القرآن الكريم خص أهل الكتاب بهذه الصفات والأفعال ، فكثيرة هي الآيات التي تحدثت عن مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخيانتهم العهودَ والمواثيق ، وخيانتهم الدينَ بالتحريف والتبديل ، وغير ذلك من صور الخيانة التي تمرَّس عليها اليهود والنصارى . وقد كان الواقع الذي يحياه المسلمون شاهدا عمليا على الأفعال الخيانية لهؤلاء . ولذلك حذر الله تعالى من الاغترار بهم ، أو الركون إليهم ، أو الاطمئنان لهم ، أو الوثوق بمعاهداتهم ، أو اتباعهم فيما يقولون ويفعلون . كما يفعل المنتسبون إلى الإسلام من أهل الخيانة .
قال عليه الصلاة والسلام : " لتَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَن قبْلَكُم شِبْراً بِشِبْرٍ وذراعاً بِذراعٍ ، حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ ، قلنا : يا رسولَ اللهِ اليهودَ والنصارَى ؟ قال : فَمَنْ "[1].

وأول ما يجدر الحديث عنه ما وصفهم الله تعالى به من نقض العهود والمواثيق قال تعالى : { ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ }[2]. ونقض العهود من خصائص أهل الكتاب ، وأهل التفسير على أن هذه الآية في أهل الكتاب[3] ، ونقل صاحب البحر المحيط عن التبريزي أنها في نفر من قريش من عبد الدار[4] ، وهو خلاف ما جاء به أهل التفسير . وقيل : هذه الآية في اليهود خاصة[5] ، فقد ورد

---

[1] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم : 3269 (1274/3) .

[2] سورة الأنفال ، آية 56

[3] انظر : االطبري ، **جامع البيان** ، (25/10) . البغوي ، **معالم التنزيل** ، (257/2) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (116/3) . الشوكاني ، **فتح القدير** (319/2) .

[4] انظر : أبي حيان ، **البحر المحيط** (504/4)

[5] انظر : الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، ت427هـ **الكشف والبيان** ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط1/ 1422 هـ) (242/1) .

عن مجاهد : " وهم بنو قريظة ، مالؤوا على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يوم الخندق "[1].

و" جعلهم شر الدواب ؛ لأن شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم ، وشر المصـــرين الناكثون للعهود "[2] ، " (ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ) : في كل معاهدة ، (وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) : لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار "[3].

وتاريخ اليهود المليء بنقض العهود مع النبي عليه الصلاة والسلام شاهد علـــى ذلـــك وتاريخهم عبر العصور إلى يومنا هذا يؤكد ذلك تأكيدا لا يدع مجالا للشك فيه ، فكيف يمكن بعد ذلك الوثوق بهم وبعهودهم ، والله تعالى قال فيهم:(ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ)

وقد أوردت كتب السير نقض طوائف اليهود - الذين كانوا يسكنون المدينة عنـــد هجـــرة الرسول عليه الصلاة والسلام - العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان قد أبرم معهم المعاهدات فنقضوها ، وخانوا المسلمين . وحاول بنو النضير قتل النبـــي عليـــه الصـــلاة والسلام بإلقاء صخرة عليه من على جدار كان يجلس تحته في حيِّهم . وقام بنو قينقاع بكشف عورة امرأة مسلمة في سوقهم ، وقتلوا المسلم الذي ثار لعرضها . أما بنو قريظة فتآمروا مـــع الأحزاب ضد المسلمين يوم الخندق [4].

وليس نقض العهد مع غيرهم عملهم الخياني الوحيد فلقد خانوا دينهم أيضا ، ولا خيانـــة أعظم من خيانة الدين ، وقد وقع فيها هؤلاء قال تعـــالى فـــيهم : { مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ

[1] مجاهد ، أبو الحجاج بن جبر المخزومي التابعي ، ت103هـ ، **تفسير مجاهـد** تحقيـق : عبـد الـرحمن الطـاهر السورتي ، دار المنشورات العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (266/1) .

[2] الزمخشري ، **الكشاف** (218/2) .

[3] النسفي ، **مدارك التنزيل** (70/2) .

[4] انظر : ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، ت 213هــ ، **السيرة النبوية** ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ســعد ، دار الجيل بيروت ، (ط1/411هــ) (101/3 314) و(178/4) . وانظر : الحلبي ، علي بــن برهـــان الـــدين ، ت1044هــ ، **إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون** ، دار المعرفة بيروت ، (طبعة سنة 1400هــ) (561/2).

ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ }[1]، وقال أيضـــا : { أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ }[2].

"قوله : { يُحَرِّفُونَهُ } : أي يميلونه عن وجهه ومعناه ، الذي هو معناه إلى غيـــره . فـــأخبر الله جل ثناؤه : أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا ، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه ، فقال : { يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ } ، يعني : من بعد مـــا عقلـــوا تأويلـــه . { وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ } ، أي : يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون "[3].

وقال تعالى في خيـــانتهم للـــدين : { ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ }[4]. "وكتموا مع ذلك أمر محمد ، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، فأطْلع الله عز وجل محمدا وأمته على خيانتهم الله تبارك وتعالى ، وخيانتهم عباده وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علم منهم بأن الحق غيره ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه "[5].

ثم يأتون بعد ذلك إلى المؤمنين بوجهٍ غير الذين يكونون عليه إذا خلا بعضهم بـــبعض ، وإذا خلوا بشياطينهم ، وهو الأمر الذي يحسنه الخائنون من كل ملة ودين . قال تعالى : { وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ }[6]. الحديث في الآية هنا عن منافقي أهل الكتاب ، الذين حرفوا ما جاءهم ، ثم يأتون المؤمنين ، يقولون لهم : آمنا بأنكم على الحق ، وإنّ

---

[1] سورة النساء ، آية 46

[2] سورة النساء ، آية 75

[3] الطبري ، **جامع البيان** (368/1) . وانظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** (149/1) .

[4] سورة البقرة ، آية 146

[5] الطبري ، **جامع البيان** (26/2) .

[6] سورة البقرة ، آية 76

رسولكم هو المبشر به في التوراة ، وهو الأمر الذي عاتب فيه بعضهم بعضا . فهذه الصفة في منافقيهم ، هي كالتي في منافقي المسلمين ، فالمنافقون والخائنون على نهج واحد في كل زمان ومكان ودين [1].

ثم إن الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بخيانة أمانة المال صراحة فقال تعالى : { وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[2]. " يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم ، فإن منهم ... من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما : أي بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك ، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار ، فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليك ... وقوله : (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ) : أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين ؛ وهم العرب ، فإن الله قد أحلها لنا "[3].

هكذا ينظرون لمن ليس على دينهم ، فيستبيحون ماله وعرضه ، بل ودمه أيضا ، فلا حرج عندهم أبدا في خيانة غيرهم ، سواء في عهد ، أو مال ، أو عرض ، أو غير ذلك . وهم يستندون في ذلك لما ورد في كتابهم المزور ، والذي يصف مَنْ هو مِنْ غير أصلهم بأنه عبد لهم ، فقد ورد في العهد القديم : " فلما استيقظ نوحٌ من خَمْرِهِ ، عَلِمَ ما فعل به ابنهُ الصغير ، فقال : ملعونٌ كنعان ، عبدُ العبيدِ يكونُ لإِخوته ، وقال : مباركٌ الربُّ إلهُ سام ، ولْيكن كنعانُ عبداً لهم " [4].

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (369/1) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (348/1) .

[2] سورة آل عمران ، آية 75

[3] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (375/1) .

[4] الكتاب المقدس ، **العهد القديم** ، سفر التكوين ، الإصحاح التاسع ، الفقرات 20 - 27 .

فنقضهم للعهود ، وتحريفهم للدين ، هو عنوان خيانتهم قال تعـالى : { فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ }[1].

فاللعن حصل لهم نتيجة نقضهم ميثاقهم ، وتحريفهم ما أنزل الله إليهم إما بتأويله على غير المراد ، أو بتبديل حروفه ؛ فطردوا من رحمة الله بسبب هذه الخيانة للدين ، والتي جاءت الإشارة إليها في ختام الآية بخطاب موجه للنبي عليه الصلاة والسلام ، فأنت يا محمد لا تزال الآن تقف على خائنة منهم ، والخائنة : الخيانة ، وكانت خيانتهم للنبي عليه الصلاة والسلام بنقضهم العهد بينهم وبينه ، ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيوم الأحزاب ، وغير ذلك من همهم بقتله وسبه ، إلا قليلا منهم لم يخونوا[2]. ف " الخيانة والغدر من عاداتهم وعادة أسلافهم ، لا تزال ترى ذلك منهم ، إلا قليلا منهم لم يخونوا ، وهم الذين آمنوا منهم "[3].

ولا عجب في ذلك ، فإن الله تعالى قد أخذ الميثاق على أسلافهم بطاعة أنبيائهم ، وقتال أعدائهم ، ووعدهم النصر والتمكين ، وأراهم من الآيات والعبر ما تهتز له الجبال . وبعد أن أَعطوا ميثاقهم وعهودهم ، نقضوا وغيروا وبدلوا ونكصوا على أعقابهم ، وخالفوا أنبياءهم . فإذا كان هذا الفعل من خيارهم ، فكيف يُستنكر مثله من أراذلهم[4] في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ بل كيف يستغرب ذلك من أرذل أراذلهم اليوم ؟

يقول سيد قطب رحمه الله في وصف طبيعة اليهود الخيانية : " فهذه سمات يهود التي لا تفارقهم ، ... ومهما حاولوا مكرا إبداء اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة ، والنعومة في الملمس عند الكيد والوقيعة ، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة ، ... فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم معه في المدينة ثم في الجزيرة كلها وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي آواهم ، ورفع عنهم الاضطهاد ، وعاملهم

---

[1] سورة المائدة ، آية 13

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (114/6 - 116) .

[3] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (306/2) .

[4] انظر : الطبري **جامع البيان** (153/6 - 154) .

بالحسنى ، ومكّن لهم من الحياة الرغيدة فيه . ولكنهم كانوا دائما كما كانوا على عهد الرسول عقارب وحيات وثعالب وذئابا تضمر المكر والخيانة ، ولا تني تمكر وتغدر . إن أَعْوَزَتْهم القدرة على التنكيل الظاهر بالمسلمين ، نصبوا لهم الشباك وأقاموا لهم المصائد ، وتآمروا مع كل عدو لهم ، حتى تحين الفرصة ، فينقضوا عليهم ... فهذا هو جوهر جبلتهم ، وهذا هو جوهر موقفهم ، مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع الجماعة المسلمة "[1].

والعجب كل العجب ليس في فعل أهل الكتاب ، وفي خيانتهم لدينهم ، ونقضهم لعهودهم مع الله ومع الناس ولكن العجب العجاب فيمن يقع في مثل ذلك من أمة الإسلام ، بعد أن بين الله تعالى أفعال أهل الكتاب الخيانية ، وقص في القرآن الكريم قصصهم ومخازيهم ؛ ليكون في ما قص الله تعالى من أفعالهم ومصائرهم العبرة والعظة ، ف " هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ، ومرشدها ، ورائدها ، وحادي طريقها على طول الطريق . وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها ، وعن جبلتهم وعن تاريخهم مع هدى الله كله . ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها ، وتسمع توجيهاته ، وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها ، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام ، ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها ، وحين اتخذت القرآن مهجورا وإن كانت ما تزال تتخذ منه ترانيم مضطربة ، وتعاويذ ورقى وأدعية أصابها ما أصابها . ولقد كان الله سبحانه يقص عليها ما وقع لبني إسرائيل من اللعن والطرد وقسوة القلب وتحريف الكلم عن مواضعه ، حين نقضوا ميثاقهم مع الله ؛ لتحذر أن تنقض هي ميثاقها مع الله ، فيصيبها ما يصيب كل ناكث للعهد ، ناقض للعقد ، فلما غفلت عن هذا التحذير ، وسارت في طريق غير الطريق ، نزع الله منها قيادة البشرية ، وتركها هكذا ذيلا في القافلة ، حتى تثوب إلى ربها ، وحتى تستمسك بعهدها ، وحتى توفي بعقدها . فيفي لها الله بوعده من التمكين في الأرض ومن القيادة للبشر والشهادة على الناس ، وإلا بقيت هكذا ذيلا للقافلة ، وعد الله لا يخلف الله وعده "[2].

وعلى الرغم من خيانة أهل الكتاب ومعاداتهم للمسلمين إلا أن أهل الخيانة من بين صفوف المسلمين يأبون إلا موالاتهم ومناصرتهم على المسلمين قال تعالى : { فَتَرَى ٱلَّذِينَ

[1] قطب **في ظلال القرآن** (6/677 - 678) .

[2] قطب ، **في ظلال القرآن** (6/679) .

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ }[1].

قال الطبري رحمه الله : " إن ذلك من الله خبر عن ناس من المنافقين كانوا يوالون اليهود والنصارى ويغشون المؤمنين ، ... فتأويل الكلام إذن : فترى يا محمد الذين في قلوبهم مرض وشك إيمان بنبوتك وتصديق ما جئتهم به من عند ربك ، يسارعون فيهم ، يعني في اليهود والنصارى . ويعني بمسارعتهم فيهم : مسارعتهم في موالاتهم ومصانعتهم . (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) : يقول هؤلاء المنافقون : إنما نسارع في موالاة هؤلاء اليهود والنصارى خوفا من دائرة تدور علينا من عدونا ... فنحتاج إلى نصرتهم إيانا ، فنحن نواليهم لذلك "[2].

وحال الخائنين اليوم ، كحالهم بالأمس ، بل هي أقبح وأرذل وأشد سوءا . حيث ترى الخائنين اليوم يسارعون في اليهود والنصارى ، بل يرتمون في أحضانهم ، ويأتمرون بأمرهم ، وينفذون مخططاتهم ومؤامراتهم . بلا حياء ولا خجل ولا تستر . بل إنهم يفعلون ذلك مجاهرة ومفاخرة ، تحت مسميات خدمة الأمة ، ومصلحة الوطن !

هذا نموذج من نماذج الخيانة ، التي عرضها القرآن الكريم ؛ للعبرة والاتعاظ بمن كان قبلنا ؛ حتى لا تقع هذه الأمة في وحل الخيانة الذي وقع فيه أهل الكتاب من قبل .

---

[1] سورة المائدة ، آية 52

[2] الطبري ، **جامع البيان** (279/6) .

المبحث الثاني

خيانة امرأة العزيز

هذا نموذج آخر مختلف للخيانة إنها خيانة الميثاق الغليظ ، خيانة رباط الزوجية ، أو خيانة العِرض ، وقد جسده الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز قال تعالى : { وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ }[1].

في ظلال هذه الآيات الكريمة ، يصف سيد قطب رحمه الله أجواء الحدث ومقدماته ، يقول : " وإذن فقد كانت المراودة في هذه المرة مكشوفة ، وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير . وحركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة ، وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة ، ونداء الجسد الأخير . وقالت : هيت لك . هذه الدعوة السافرة الجاهرة الغليظة لا تكون أول دعوة من المرأة . إنما تكون هي الدعوة الأخيرة . وقد لا تكون أبدا إذا لم تضطر إليها المرأة اضطرارا . والفتى يعيش معها وقوته وفتوته تتكامل ، وأنوثتها هي كذلك تكمل وتنضج . فلا بد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة ، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة "[2]. ولكن نفس يوسف العفيفة عليه السلام تأبى عليه أن يقع في

---

[1] سورة يوسف ، الآيات 23 - 29

[2] قطب **في ظلال القرآن** (710/12) .

الفاحشة ، وأن يخون الأمانة ، وأن يقع في وحل الرذيلة والخيانة ، وتأبى عليه أيضا أن يسيء لمن أحسن إليه ، ورباه في بيته . روى الطبري عن ابن اسحاق قال : " وقوله : (أَحْسَنَ مَثْوَایَ) ، يقول : أحسن منزلتي ، وأكرمني ، وأْتَمَنَنِي ، فلا أخونه "[1].

وهذا الورع والعفاف الذي تحلى به يوسف عليه السلام يتبدى ويتجلى في أبهى صوره ، وتبدو أهمية الموقف وجلاله ، عند ملاحظة الظروف والملابسات التي حدثت فيها هذه المراودة فهي دعوة من طرف المرأة أولا ، وليست بمبادرة منه هو ، وهو ما يدعو إلى قبول العَرض . ثم هي دعوة من امرأة ذات منصب وجمال[2] فهي امرأة عزيز مصر . ثم كذلك هي دعوة في مكان مأمون ، خلف أبواب مغلقة تُؤمَن فيه عيون البشر . فهي دعوة مغرية بكل المقاييس . ومثل هذه الدعوة لا يرفضها إلا كل عفيف شريف عظيم النفس .
ومن هنا يتبين السبب الذي من أجله كان صاحب هذه النفس في ظل عرش الرحمن يوم القيامة . كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : " سبعة يُظِلُّهم الله تعالى في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل دعتْه امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال ، فقال : إني أخافُ الله "[3].

هذا المشهد الذي حدث مع يوسف عليه السلام حين رفض الوقوع في هذه الخيانة خيانة العِرض رغم قدرته على الفعل ، يذكرنا بذلك الرجل ممن كان قبلنا ، والذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه دعا الله تعالى ، في وقت محنة وشدة لما سُد عليه ، وعلى رجلين معه باب غار كانوا فيه فذكر في دعائه ربَّه امتناعه عن خيانة عرض ابنة عمه ، لما قدر عليها [4].

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (182/12) .

[2] انظر : الرازي **تفسير القرآن العظيم** (2120/7) .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة باليمين ، حديث : 1357 (517/2) . مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الزكاة ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، حديث : 1031 (715/2) .

[4] فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ... وقال الآخر : اللهم كانت لي بِنْتُ عم ، كانت أحب الناس إلي ، فأَرَدْتُها عن نفسها ، فامتنعت مني ، حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين فجاءتني ، فأعطيتُها عشرين ومئة دينار ، على أن تُخَلي بيني وبين نفسها ، فَفَعَلَتْ . حتى إذا قَدَرْتُ عليها ، قالت : لا أُحِلُّ لك . أن تَفُضَ الخاتَمَ إلا بحقه . فتَحَرَّجْتُ من الوقوع عليها . فانصرفْتُ عنها ، وهي أحب الناس إلي ، وتركْتُ الذهب الذي أعطيتُها . اللهم إن كنتُ فعلتُ ابتغاء وجهك ، فافْرُجْ عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة " . البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الإجارة ، باب : من استأجر أجيرا فترك أجره .. ، حديث :2152 (793/2) .

ومتابعة لأحداث القصة ، قال تعالى : (وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ) . لقد ورد في معنى الهم المقصود من قبل يوسف عليه السلام تأويلات عديدة ، منها ما هو مستهجن ومستغرب ، يخدش عصمة الأنبياء ، ومنطق العفة والشرف الذي مدح الله تعالى به يوسف عليه السلام [1].

والصحيح الذي تميل إليه النفس ، أن الهم المقصود : هو الميل البشري الفطري ، الذي لا يرافقه ميل جسدي . " والمراد بهمّه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ، ومنازعة الشهوة ، لا القصد الاختياري . وذلك مما لا يدخل تحت التكليف ، بل الحقيق بالمدح ، والأجر الجزيل من الله ، لمن يكف نفسه عن الفعل ، عند قيام هذا الهم ، أو مشارفة الهم "[2]. هذا التأويل الذي يساير المنطق ، ويوافق العقل ، ويتماشى مع عصمة الأنبياء . بخلاف من سار خلف الإسرائيليات ، فذكر مثل تلك الخرافات والأباطيل [3]. ومن الآراء التي تتوافق مع عصمة الأنبياء ، رأي من رآى أن الهم إنما وقع من امرأة العزيز ولم يقع من يوسف عليه السلام ؛ لأن (لولا) أداة امتناع لوجود ، فيكون قوله تعالى : (وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ) ، دليل على عدم وقوع الهم منه ؛ لوجود برهان الله ، فلولا أنه رآى برهان ربه ، لهم بها [4].

وأنكر المرحوم الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار على الجمهور هذا الرأي . وقال : إنها إنما همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهي السيدة الآمرة ، وهمَّ هو برد الاعتداء ، ولكنه آثر

---

[1] من ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم : " عن ابن عباس ، قال : لما همت به تزينت ، ثم استلقت على فراشها ، وهم بها ، وجلس بين رجليها ، يحل ثيابه ، فنودي من السماء : يا ابن يعقوب ، لا تكن كطائر ، نُتِفَ ريشه ، فبقي لا ريش له . فلم يتعظ على النداء شيئا ، أي لم يفْصِم ، حتى رآى برهان ربه : جبريل في صورة يعقوب ، عاضّا على إصبعيه ، ففزِع ". وعن مجاهد ، قال : " ولقد همت به وهم بها ، قال : حل سراويله حتى بلغ ثُنْتَه، فمَثُل له يعقوب ، فضرب في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ". الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** ، (2123/7) . و (الثُنة) : العانة . الزبيدي ، **تاج العروس** (341/34) .

[2] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** ، (282/3) . وانظر : حمدون ، غسان ، **من نسمات القرآن كلمات وبيان** ، راجعه وقدم له : جميل غازي وآخرون ، دار السلام بدون بلد النشر ، (ط1407/2هـ) (ص145) .

[3] انظر : قطب ، **في ظلال القرآن** (711/12) .

[4] انظر : نوفل ، أحمد ، **سورة يوسف دراسة تحليلية** ، دار الفرقان عمان (ط1420/2هـ) (ص150 - 151) . الزمخشري ، **الكشاف** (430/2) .

الهرب فلحقت به ، وقدت قميصه من دبر[1].

ويعلق سيد قطب رحمه الله على هذا الرأي فيقول : " وتفسير الهم بأنه هم الضرب وردُّ الضرب ، مسألة لا دليل عليها في العبارة ، فهي مجرد رأي ؛ لمحاولة البعد بيوسف عن همِّ الفعل ، أو همِّ الميل إليه في تلك الواقعة . وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص "[2].

ويذكر سيد رحمه الله رأيه في موقف الإغراء الذي حدث مع يوسف عليه السلام فيقول : " هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم . وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة ... فذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله ، والاعتصام في نهايته ، مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ، ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعا ... وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية . وما كان يوسف سوى بشر . نعم إنه بشر مختار . ومن ثم لم يتجاوز همُّه الميل النفسي في لحظة من اللحظات . فلما أن رآى برهان ربه ، الذي نبض في ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبِّي "[3].

ولذلك قال الله تعالى عنه : (كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ) .

والسوء الذي صرف الله تعالى عنه يوسف عليه السلام هو : خيانة العزيز في عرضه[4]. ولولا أن يوسف عليه السلام نجح بجدارة في هذا الاختبار العظيم ، ما وصفه الله تعالى بقوله : (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ) . " فانحسم مادة احتمال صدور الهمِّ بالسوء منه عليه السلام بالكلية "[5].

---

[1] انظر : رضا ، محمد رشيد ، ت1354هـ ، **تفسير المنار** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (طبعة سنة 1972م) (229/12 - 230) .

[2] قطب **في ظلال القرآن** (711/12) .

[3] المرجع السابق ، (711/12 - 712) .

[4] انظر : أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** (267/4) .

[5] المرجع السابق ، (267/4) .

وهذا الهم من يوسف عليه السلام لا يطعن في عصمة الله له ، ولا يطعن في حفظ الله لـــه من الوقوع في الزلل بل إن في هذا التأبِّي على الرغم مما تهيأ له من ظـــروف ومغريـــات ، مدعاة للثناء والتكريم . فالله تعالى من كرَمِه وفضله ومنَّته على عباده ، لا يكتب السيئة لمن همَّ بها ، ولم يعملها ، كما جاء في الحديث القدسي ، الذي يرويه أبو هريرة عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، قال : " قال الله عز وجل : إذا هم عبدي بحسنةٍ ولم يَعملْها ، كتَبْتُها له حسنة . فإن عملها ، كتَبْتُها عشْرَ حسنات ، إلى سبعمِئة ضعف . وإذا هم بسيئة ولم يعملها ، لم أكتبُهـــا عليه . فإن عملها ، كتبْتُها سيئةً واحدة "[1].

وبعد أن رفض يوسف عليه السلام هذا العرض من هذه المرأة رفضا حاسما قاطعا أَتْبَـــع ذلك الرفض الكلامي بالفعل فلم يجد أمامه إلا الانسحاب من هذا الموقف برمته ، والهرب من ذلك المكان الشيطاني الذي هو فيه ، والخروج من خلف الأبواب المغلقة . ولكنها رغـــم ذلـــك تبعتْه ، ولحقت به . قال تعالى ، مصورا ذلك الحدث : (وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ) . " يخبر تعالى عن حالهما ، حين خرجـــا ، يســـتبقان إلـــى الباب ، يوسف هارب ، والمرأة تطلبه ؛ ليرجع إلى البيت . فلحقته في أثناء ذلـــك ، فأمســـكت بقميصه من ورائه ، فقدته قدا فظيعا . يقال إنه سقط عنه . واستمر يوسف هاربا ذاهبا ، وهـــي في إثْره . فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب . فعند ذلك خرجت مما هي فيـــه بمكرهـــا وكيدها ، وقالت ، متنصلة وقاذفة يوســـف بـــدائها : (مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا) : أي فاحشة ، (إِلَّآ أَن يُسْجَنَ) : أي يحبس . (أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) "[2]

وعند هذه المفاجأة ، غير المتوقعة ، " تتبدى المرأة المكتملة ، فتجد الجـــواب حاضـــرا علـــى السؤال الذي يهتف به المنظر المريب إنها تتّهم الفتى ... ولكنها امرأة تعشق ، فهـــي تخشـــى عليه ، فتشير بالعقاب المأمون (إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) "[3].

---

[1] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإيمان ، باب : إذا هم العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب ، حـــديث : 128 (117/1) .

[2] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (476/2) .

[3] قطب **في ظلال القرآن** (713/12) . وانظر: البغوي ، **معالم التنزيل** (421/2) .

فهي عندما رأت زوجها ، بادرت باتهام يوسف عليه السلام : " إنه راودني عن نفسي ، فدفعْتُه عن نفسي ، فشقَقْتُ قميصه "[1].

هذه المبادرة بإلقاء التهمة على الأبرياء ، هي دأب الخائنين ، ووسيلتهم في الخروج من دائـرة الاتهام . إنها خيانة فوق خيانة ، وجُرم فوق جرم . فهي هنا لم تكتف بفعلها الخيـاني لزوجهـا وعرضها ، بل أضافت إليه جرما آخر ، وخيانة أخرى ، باتهامها يوسـف العفيـف الشـريف النظيف البريء بمحاولة فعل الفاحشة بها . ولكن الله تعالى أشهر الحق ، وفضـح المسـتور ، وكشف المؤامرة . وذلك عن طريق أحد أقاربها .

قال تعالى : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ) . "وقد سمي قوله هذا شهادة ؛ لأنه لما سئل رأيه في الموقف والنزاع المعروض من الجانبين ولكل منهـا ومن يوسف قول سميت فتواه هذه شهادة ؛ لأنها تساعد على تحقيق النزاع والوصـول إلـى الحق فيه "[2]. فما معنى هذا الحكم من هذا الشاهد ؟ وما دلالة تقديم صدقها على صدقه ، وكذبه على كذبها ؟ يجيب عن ذلك سيد قطب رحمه الله موضحا :

" فإن كان قميصه قد من قبل ؛ فذلك إذن من أثر مدافعتها له ، وهو يريد الاعتداء عليها ، فهـي صادقة وهو كاذب . وإن كان قميصه قد من دبر ؛ فهو إذن من أثر تملصه منها ، وتعقبها هـي له حتى الباب ، وهي كاذبة وهو صادق . وقدم الفرض الأول ؛ لأنه إن صح يقتضـي صـدقها وكذبه ، فهي السيدة وهذا فتى ، فمن باب اللياقة أن يذكر الفرض الأول ، والأمر لا يخرج عن أن يكون قرينة "[3].

وعند إحضار القميص ، ورؤية زوجها له أنه قُدَّ من دبر ، إشارةً إلى هروبه منها ولحاقها هي به ، " عرف خيانة امرأته ، وبراءة يوسف عليه السلام "[4] . فماذا كانت ردة فعله يا ترى ؟ (فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ) . إنهـا ردة فعـل

[1] الطبري ، **جامع البيان** (192/12) .

[2] قطب **في ظلال القرآن** (713/12) .

[3] المرجع السابق ، (713/12) .

[4] البغوي ، **معالم التنزيل** (422/2) .

باردة ، لم تؤثر فيها هذه الحادثة ، على عظمها وخطورتها . وفي هذا المشهد الأخير من هـذا الحدث العظيم ، يصف لنا سيد قطب رحمه الله دلالة ردة الفعل هذه ، فيقول : " وهنا تبدو لنا صورة من الطبقة الراقية في الجاهلية قبل آلاف السنين ، وكأنما هي هي اليوم شاخصة . رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية ، وميل إلى كتمانها عن المجتمع ، وهذا هو المهم كله ... (إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ) . فهي اللباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق ، والتلطف في مواجهة السيدة ، بنسبة الأمر إلى الجنس كله ، فيما يشبه الثناء . فإنه لا يسوء المرأة أن يقال لها : إن كيدكن عظيم . فهو دلالة في حسها على أنها أنثى كاملة مستوفية ، لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم . والتفاتة إلى يوسف البريء : (يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا) ، فأَهْمِلْه ولا تُعِرْه اهتماما ولا تتحدث به . وهذا هو المهم . المحافظة على الظواهر . وعظَة إلى المرأة التي راودت فتاها عن نفسه ، وضُبِطت متلبسة بمساروته وتمزيق قميصه : (وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ) . إنها الطبقة الأرستقراطية ، من رجال الحاشية ، في كل جاهلية . قريب من قريب "[1].

وبعد هذه الأحداث الجسام ، تُختم القصة باعتراف امرأة العزيز بفعلتها ، وبيان خطورة الخيانة . قال تعالى : { قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ }[2].

(ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ) : أي " الآن تبين الحق وانكشف فظهر"[3].

وهكذا يعلن يوسف عليه السلام براءته على الملأ : (ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ) : " أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة ... فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (714/12) .

[2] سورة يوسف ، آية 51 - 52

[3] الطبري ، **جامع البيان** (236/12) .

وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها ... (لَا يَهۡدِى كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ) : أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه ... وفيه تعريض بامرأته في خيانتها أمانته ، وبه ، فـــي خيانتـــه أمانـــة الله تعالى ؛ حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلام . ويجوز أن يكون ذلـــك لتأكيد أمانته ، وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عاقبته "[1].

وبعد هذا الاستعراض لأحداث هذه الخيانة العظيمة ، والتي تمثل نموذجا لخيانة العـــرض ، يظهر بوضوح الأثر الخطير والبالغ لهذه الخيانة على الأسرة والمجتمع . وهو نموذج تأكّد مـــن خلاله انعدام الضوابط والقيم وانحطاط الخلق عند أهل الخيانة ، كما تأكد تحقق سنة الله تعـــالى في فضح الخائنين ، وفي هذا النموذج القرآني دروس وعبر لكل من يعتبـــر ، حتـــى لا يســـلك طريق الخيانة أحد .

[1] أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** (285/4) .

المبحث الثالث

خيانة إخوة يوسف (عليه السلام)

هذا نموذج آخر للخيانة   خيانة الأهل والعشيرة   خيانة أمانة الأخوَّة . وهو ما تمثله قصة يوسف عليه السلام أيضا ، ولكن هذه المرة مع إخوته الذين خانوه ، متناسين رابطة الأخوة التي تجمعهم به ، ضاربين بعرض الحائط ما أعطوه لوالدهم من المواثيق المغلظة على حفظ أخـيهم والمحافظة عليه ، بل متناسين لكل القيم الأخلاقية والإنسانية في تلك الفعلة الخيانية التي أقـدموا عليها . وسنلاحظ من خلال عرض أحداث هذه القصة ، مدى القسوة والغِلظة ، وانعدام القـيم ، واختلال الموازين ، وفقدان الرحمة التي يتصف بها أهل الخيانة والغدر .

قال تعـالى : { لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ
ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ
﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا
يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن
يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ
إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ
لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ

فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ }[1].

مما لا شك فيه أن الله تعالى قص علينا القصص في القرآن الكريم من أجل العبرة والاتعاظ والتأسِّي ، إضافة لما في ذلك من تسرية وتخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الدعاة إلى الله من بعده إلى يوم القيامة . ففي هذه القصة تعليم وتعريف بفعل من أفعال الخيانة والغدر ؛ من أجل أن نأخذ الدروس والعبر ؛ ولذلك جاء افتتاح هذه القصة بقوله تعالى : (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ) . "وهذا الافتتاح كفيل بتحريك الانتباه والاهتمام . لذلك نشبهه بحركة رفع الستار عما يدور وراءه من أحداث وحركات . فنحن نرى وراءه مباشرة مشهد إخوة يوسف يدبرون ليوسف ما يدبرون "[2].
هكذا تلفت الآيات الانتباه إلى ما سيأتي من أحداث ، وتهيئ النفس وتشوقها لاستقبال ما سيأتي من عظائم الأمور .

ثم تذكر الآية التالية ما أسر إخوة يوسف فيما بينهم من حديث ، يعلنون فيه حقدهم على أخيهم يوسف عليه السلام ، وحسدهم له . ترى ما هو هذا السبب الذي ملأ نفوسهم غيظا وحقدا على يوسف وأخيه ، لدرجة التآمر والتدبير لقتله ؟ (إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ) . إذا السبب في كل هذا الحقد الذي أوصلهم إلى التآمر للغدر بأخيهم ، هو إحساسهم أن أباهم يؤثر يوسف عليه السلام عليهم بالمحبة والرعاية له [3].

يصف سيد قطب رحمه الله الحالة النفسية التي وصل إليها إخوة يوسف ، من تأثير الحقد والبغض ، فيقول : " ثم يغلي الحقد ويدخل الشيطان ، فيختل تقديرهم للوقائع ، وتتضخم في

[1] سورة يوسف ، الآيات 7 - 20
[2] قطب **في ظلال القرآن** (698/12) .
[3] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (155/12) . الواحدي ، **الوجيز** (539/1) . البغوي ، **معالم التنزيل** (411/2)

حسهم أشياء صغيرة ، وتهون أحداث ضخام . تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح . روح غلام بريء لا يملك دفعا عن نفسه ، وهو لهم أخ . وهم أبناء نبي وإن لم يكونوا هم أنبياء يهون هذا ، وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب ، حتى تُوازي القتل ، أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله "[1].

ثم كان القرار : (ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا) "وهما قريب من قريب فطرحه في أرض نائية مقطوعة مفض في الغالب إلى الموت "[2]. والحقيقة أن الذي فعله إخوة يوسف عليه السلام ليس جريمة واحدة فحسب ، بل جرائم مركبة "منها : قطيعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الطريح ، الذي لا ذنب له ، والغدر بالأمانة ، وترك العهد بالحفظ ، والكذب الذي عزموا عليه مع أبيهم "[3]. هذا الكذب الذي لا بد له في كل جريمة خيانة ، كما ذُكر سابقا في صفات الخائنين وأفعالهم ؛ وذلك لضرورة إخفاء الجريمة .

والهدف من كل هذه الجرائم ، (يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ) : بمعنى تحظوا عند أبيكم بالمكانة التي تليق بكم ، فلا يعود ينشغل بيوسف عنكم ، ويفرغ قلبه لمحبتكم [4].

ثم دخل لهم الشيطان مدخلا عجيبا ، لتبرير أفعالهم ؛ من أجل أن تستسيغ نفوسهم فعل تلك الأفاعيل والجرائم الفظيعة ، فقالوا : (وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ) : " أي تتوبون إلى الله وتستغفرونه من بعد ذنبكم ، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم ؛ تسهيلا لفعله ، وإزالة لشناعته ، وتنشيطا من بعضهم لبعض "[5]. " هكذا ينزغ الشيطان ، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها ، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث . وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد ، برز الشيطان ليقول لهم : اقتلوا . والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات . وليست التوبة هكذا . إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلا جاهلا غير ذاكر ، حتى إذا تذكر ندم ، وجاشت نفسه بالتوبة . أما التوبة الجاهزة ، التوبة التي تُعَد سلفا قبل ارتكاب

---

1 قطب **في ظلال القرآن** (698/12 - 699) .
2 المرجع السابق ، (699/12) .
3 السمعاني ، **تفسير القرآن العزيز** (10/3) .
4 انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (276/3) . البغوي ، **معالم التنزيل** (412/2) . ابن الجوزي ، **زاد المسير** (184/4) .
5 السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص394) .

الجريمة ؛ لإزالة معالم الجريمة ، فليست بالتوبة ، إنما هي تبرير لارتكـــاب الجريمـــة يزينـــه الشيطان "[1].

وهذا لا يعني بالطبع أن التوبة من الجريمة التي بيت صاحبها النية فيها على التوبة منهـــا قبل اقترافها ، إنها لا تقبل ، فقد استدل أهل العلم من قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليـــه السلام : (وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ) ، على قبول التوبة من الكبائر ، بما في ذلـــك القتل ، حتى لو بيَّت العاصي النية على التوبة قبل اقتراف الذنب ، كما فعل إخوة يوسف عليـــه السلام ؛ وذلك أن الله تعالى ذكر كلامهم هذا ، ولم ينكره عليهم . وما ورد من أخبار أن القاتـــل لا توبة له إن صحت هذه الأخبار تؤول على عدم التوبة من هذا الذنب [2]. وليس أدل على ذلك من توبة الله تعالى على إخوة يوسف عليه السلام في آخر القصة . وكذلك ما ثبت عن النبي عليه السلام من قصة قاتل المائة نفس ، الذي تاب الله عليه لما أعلن توبته ، بالرغم من أنه مات بعد التوبة مباشرة ، وقبل أن يباشر أي عمل من أعمال الصلاح [3].

ثم بعد ذلك جاء اقتراح من أحد الإخوة المتآمرين ، ويبدو أن ضميره لـــم يتقبـــل الفعلـــة الشنعاء ، يقترح حلا يريحهم من يوسف عليه السلام دون قتله ، أو إلقائه في أرض مهجـــورة ، يغلب على الظن هلاكه فيها . فكان هذا الاقتراح إلقاؤه في الجب[4]على طريق القوافل ؛ لاحتمال مرور إحدى القوافل ، تأخذه معها .[5]

ثم تأتينا الآيات بعد ذلك بمشهد بدء تنفيذ المؤامرة ، من خلال الحوار الذي دار بـــين الأب يعقوب عليه السلام ، وأبنائه المتآمرين . فها هم أولاء يراودونه لاصـــطحاب أخـــيهم معهـــم ، يخادعون أباهم ، ويمكرون به وبيوسف عليهما السلام . يبدأ الحوار بكلمات مؤثرة منهم لأبيهم ،

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (699/12) .

[2] انظر : الجصّاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت370هـ ، **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد الصادق قمحـــاوي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (طبعة سنة 1405هـ) (381/4) . الثعلبي **الكشف والبيان** (365/3) .

[3] انظر : البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : حـــديث الغـــار ، حـــديث : 3283 (1280/3) . ومسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : التوبة ، باب : قبول توبـــة القاتـــل وإن كثـــر قتلـــه ، حـــديث : 2766 (2118/4) .

[4] الجب : البئر التي لم تطو ... لم تبن بالحجارة . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت 721هــــ ، **مختـــار الصحاح** ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، (طبعة سنة 1415هـ) (39/1) .

[5] انظر : قطب ، **في ظلال القرآن** (699/12) .

(يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ) ففي لفظ (يَٰٓأَبَانَا) تذكير له على ما بينه وبينهم من رابطة الأبوة ، التي توحي بالثقة والمحبة والوفاء . ثم سؤال فيه معنى العتاب : (مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ) وكيف لا نؤتمن على من كان أخاً لنا ، وابن أبينا ؟ وفي هذا استجاشة للوالد الذي لا يحب مفارقة ولده ؛ لخوفه عليه من عدم احتمال السفر إلى أرض المراعي ؛ لما يحتمله ذلك من أخطار . فهم يستجيشونه ليبادر بنفي حرصه على ولده أن يكون سببه عدم ائتمانهم عليه . ثم تستمر المراودة ، ورسائل التطمين منهم لأبيهم : (أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) . فالهدف من خروجه معنا ، هو النزهة ، واللعب ، والترويح عن النفس . ثم لقد تعهدوا له بحفظه ؛ زيادة في التطمين .

وبعد كل هذا التأكيد والتوثيق ، يبدأ يعقوب عليه السلام بالاستجابة لمطلبهم ، ولكن مع بعض التخوف والقلق الذي لا يزال في نفسه : (قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ) . ولربما كانت هذه الكلمات من الأب الحاني ، قد حركت ضغائنهم أكثر ، وزادت من حقدهم على أخيهم الصغير . ثم هم على ما يبدو التقطوا مخاوف أبيهم من الذئب ، ليدَّعوا لاحقا أن الذئب قد أكل يوسف عليه السلام .

وبعد ذلك يأتي تأكيد آخر من قبلهم ؛ لنفي ما بقي من المخاوف عند أبيهم على سلامة الفتى الصغير : (قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ) . وكيف يمكن للذئب أن يأكله ونحن بهذه الكثرة والغلبة والقوة ؟ كيف يمكن للذئب أن يقترب منه ، ونحن حوله نحميه ونحرسه ؟ إن حصل ذلك فعلا ، إنا إذن لخاسرون . خاسرون لكل شيء ، فلا خير فينا .

وبعد كل هذه المواثيق والعهود والتطمينات ، يستسلم الأب لرغبة الأبناء ؛ ليكتمل المشهد ؛ وليتم قدر الله تعالى ، ومشيئته التي أرادها ليوسف عليه السلام [1].

وقد أوردت كتب التفسير روايات كثيرة ، تذكر كيفية معاملتهم لأخيهم وهم يقتادونه لمصيره ، من شتم وضرب . ثم الطريق الوحشية في إلقائه في الجب [2]، وبغض النظر عن التفاصيل الواردة في هذا الشأن ، "فقد استقر أمرهم جميعا على أن يجعلوه في غيابة الجب ،

---

[1] انظر: أبا السعود ، **إرشاد العقل السليم** (257/4 - 258) . قطب **في ظلال القرآن** (700/12 - 701) .

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (160/12) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (141/9 - 142) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (277/3) .

حيث يغيب فيه عنهم . وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع ، والموت منه قريب ، ولا منقذ له ولا مغيث ، وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء ، وفي هذه اللحظة اليائسة يُلقي الله في روعه أنه ناج "[1].

إن الجهد الذي بذله الإخوة في تزوير الحقيقة ، والادعاء الكاذب بأكل الذئب أخاهم وتأليفهم هذه الحكاية ، وإحضارهم الدليل العيني الشاهد على ادعائهم ، (القميص الملطخ بالدم) ، وما قدموه من تأكيدات على صدقهم . وما بذلوه من دموع كاذبة ، بالرغم من كل ذلك ، إلا أن رائحة الكذب كانت تفوح من كلامهم ، ولم يحسنوا ترويج ادعائهم ، رغم كل المحاولات . وهذا حال الكاذبين الخائنين في كل زمان ومكان . فلا بد في النهاية من افتضاح أمرهم ، وانكشاف تآمرهم ، وبيان كذبهم وتزويرهم ، وهذه سنة من الله تعالى لا تتخلف أبدا ، ومن سَتَرَ الله خيانته في الدنيا ، فهو مفضوح لا شك ، أمام الخلائق يوم القيامة .

يقول سيد قطب رحمه الله في وصف كيدهم الضعيف ، وتآمرهم الواهي : " لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سَبْك الكذبة ، فلو كانوا أهدأ أعصابا ما فعلوها منذ المرة الأولى ، التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم . ولكنهم كانوا متعجلين لا يصبرون . يخشون ألا تُواتيهم الفرصة مرة أخرى . كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلا على التسرع ، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس ، وهم ينفونها ، ويكادون يتهكمون بها . فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس .
وبمثل هذا التسرع جاؤوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ، فكان ظاهر الكذب ، حتى ليوصف بأنه كذب . فعلوا هذا . (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ) . ويحسون أنها مكشوفة ، ويكاد المريب أن يقول خذوني ، فيقولون : (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ) . أي وما أنت بمطمئن لما نقوله ، ولو كان هو الصدق ، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقول "[2].

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (702/12) .

[2] المرجع السابق ، (702/12 - 703) .

ولما ظهر ليعقوب عليه السلام من دلائل تشير إلى كذبهم ، وغدرهم بأخيهم ، وخيانتهم للأمانة بحفظه ، والتي أعطوه عليها أعظم المواثيق والعهود ، اتهمهم فقال : (بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) . وسولت : أي سهلت . والمقصود : أن أنفسهم سهلت لهم قتل أخيهم . وهو أمر عظيم ، زينته لهم أنفسهم الخبيثة ، ففعلوه واستسهلوه ، وهان في أعينهم ، على عظمه [1]. ويلجأ يعقوب النبي عليه السلام إلى الله ، حيث لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه : (فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) . والصبر الجميل : هو الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى لعباد الله تعالى[2] ، بل الشكوى فيه والضراعة إلى الله ، مصداقا لقوله تعالى ، على لسان يعقوب عليه السلام : { قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ }[3]. هذا هو الصبر الجميل الذي واجه به يعقوب عليه السلام هذه الفاجعة ، والذي ينبغي أن يتحلى به كل مؤمن ، عند مواجهة الابتلاء وهو الصبر الذي تحصنت به السيدة عائشة رضي الله عنها في مواجهة ما أشاعه أهل الخيانة والإرجاف بحقها ، فيما سمي ، بحادثة الإفك . فقد ثبت في الصحيحين ، عن عائشة رضي الله عنها ، حين بلغها خبر ما أشاعه المنافقون بحقها قالت : " فوالله لا أجد لي ولكم مَثَلاً إلا أبا يوسف ، حين قال : (فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون) "[4].

والاستعانة بالله تعالى ، مع الثقة والاطمئنان ، والصبر الجميل ، لا شك أن نتيجتها تفريج الكربات ، واستجابة الدعوات ، وتهوين المصيبات . وهو الأمر الذي حدث مع يوسف عليه السلام ، حيث انتهى به الأمر إلى قافلة مرت بالمكان ، فأخذوه وباعوه ، واشتراه ملك مصر ، وانتهى به المقام عنده بأن أصبح وزيراً ، له الحظوة والمكانة ، والسيادة والحكم . وأقر الله تعالى عيون والديه به ، وأَسْجَدَ له إخوته ، بعد أن أقروا بذنبهم ، وفعلتهم ، وتحققت رؤياه التي

---

[1] انظر : الرازي **تفسير القرآن العظيم** (2111/7) . أبا السعود ، **إرشاد العقل السليم** (260/4) .

[2] انظر : الثوري ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق ، ت161هـ ، **تفسير سفيان الثوري** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1403/1هـ) (ص138) . مجاهد ، **تفسير مجاهد** (312/1) . الزمخشري ، **الكشاف** (426/2) .

[3] سورة يوسف ، آية 86

[4] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : المغازي ، باب : حديث الإفك ، حديث : 3910 ، (1521/4) . مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : التوبة ، باب : في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، حديث : 2770 (2135/4) . واللفظ للبخاري .

كان قد قصها على أبيه من قبل . وهكذا تكون عاقبة المتقين ، وهكذا يكـــون حفــظ الله تعـــالى لأوليائه وعباده المتقين ، وهكذا يكون مآل الخيانة والغدر : الذلة والصغار ، والندم والحســـرة ، والفضيحة والتشهير . { وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ }[1].

هذه القصة التي تقشعر منها الجلود ؛ من ألم وقعها في النفوس ، لتبين مـــدى الانحطـــاط والبلادة التي يصل إليها أهل الخيانة والمكر والكيد ، ولأبسط الأسباب وأتفهها يصل بهم الأمـــر إلى ارتكاب أبشع الجرائم وأفظعها . ثم لكأن الكذب والدس والاحتيال لا بد أن يكـــون ملازمـــا لفعل الخيانة ؛ ليحاول الخائنون بواسطته الظهور بمظهر البريء من الخيانة والجريمـــة . هـــذه القصة من قصص الخيانة في القرآن الكريم تكشف عن نفسيات أهل الخيانة ، ومـــدى خطـــورة أفعالهم ، وبشاعة جرائمهم ، فهم لا يعرفون الرحمة والشفقة والعطف ، وهم لا يحتاجون المبرر لارتكاب أفعالهم ، وقلوبهم مليئة بالغيظ والحقد والحسد . ثم في النهاية يحاولون تزوير الحقـــائق وقلب الأمور والظهور بمظهر البريء من كل جرم . ولكن الله تعالى يمكر للمؤمنين ويبطل كيد الخائنين ، ويحمي أولياءه من مكر الماكرين . { فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }[2].

---

[1] سورة إبراهيم ، آية 42

[2] سورة يوسف ، آية 64

المبحث الرابع

خيانة امرأتي نوح و لوط عليهما السلام

هنا نموذج آخر من نماذج الخيانة إنها خيانة الدين ، وذلك بمخالفة الأنبياء وتعاليم السماء التي جاؤوا بها وهذا ما كان من امرأتي النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام . وقد ذكر الله تعالى فعلتهما ، وسماها خيانة . وضربها مثلا فقال تعالى : { ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ }[1].

إنه مثل ضربه الله تعالى ؛ للعبرة والاتعاظ فهو نموذج للخيانة ، ولكن أي خيانة ؟ إنها خيانة صادرة من زوجتي نبيين من أنبياء الله تعالى (نوح ولوط) عليهما السلام ، وقد جاء اللفظ القرآني يعبر عن فعلة المرأتين بلفظ الخيانة (فَخَانَتَاهُمَا) .

ذكر أهل التأويل في معنى الخيانة التي وُصِفَت بها زوجتي نوح ولوط عليهما السلام أقوالاً عديدة منها : أن خيانتهما كانت بالكفر ، أي في مخالفتهما للنبيين الكريمين في الدين إذ كانتا مشركتين ، وقيل : كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه وقيل : كانت امرأة نوح عليه السلام تطلع الكفار على أسراره ، فإذا آمن مع نوح عليه السلام أحد أخبرت الجبابرة بذلك ، وقيل : كانتا منافقتين . وقيل : خيانتهما النميمة ، إذا أوحى الله إليهما شيئا أفشتاه إلى المشركين ، وقيل : كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخَّنت ؛ لتُعلم قومها أنه قد نزل به ضيف ؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال [2].

---

[1] سورة التحريم ، آية 10

[2] انظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** ، (3362/10) . الطبري ، **جامع البيان** ، (170/28) . الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، ت450هـ ، **النكت والعيون** ، **المعروف بتفسير الماوردي** ، راجعه وعلّق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (6/ 46 - 47) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (202/18) .

والإجماع قائم بين علماء التفسير[1] على أنه لا يُقصَد بخيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام خيانة العرض فلم تزن امرأة نبي قط ، وإنما هي خيانة الدين ؛ وذلك لأن تصور خيانتهما على أنها خيانة في العرض يُنَفِّر من صاحب الرسالة ، ويَنسب إليه النقص ، وهو ما يتعارض مع أداء الرسول وتبليغه رسالة ربه . وبغض النظر عن كيفية هذه الخيانة فهي خيانة في الدين ، فهما لم تؤمنا ، فكانت عاقبتهما الهلاك .

وقد صورت الآية الكريمة نتيجة هذه الخيانة ، (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ) . أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما لمَّا عصتا ، شيئا من عذاب الله ؛ تنبيها بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة . فالله تعالى ضرب لنا هذا المثل ؛ تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب ، إذا فرَّق بينهما الدين [2].

إذن كانت نتيجة هذه الخيانة ، ما وقع على بالمرأتين من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة فقد نجَّى الله تعالى النبيين ، وأهلك من كان كافرا من قومهما ، ولم يَسْلَم من ذلك العذاب والإهلاك امرأتاهما ، قال تعالى : { فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ }[3]. "ومعنى من الغابرين : من الهالكين "[4].

وقال عن نوح عليه السلام : { حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ }[5].

---

[1] انظر : الماوردي ، **النكت والعيون** ، (46/6) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (202/18) . أبا حيان ، **البحر المحيط** (289/8) . الشوكاني ، **فتح القدير** (255/5) . ابن العربي **أحكام القرآن** (208/1) .

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (202/18) .

[3] سورة الأعراف ، آية 83 - 84

[4] ابن عاشور ، محمد الطاهر ، ت1393هـ ، **التحرير والتنوير** ، الدار التونسية للنشر ، (طبعة سنة 1972م) (237/8) .

[5] سورة هود ، آية 40

والذي سبق عليه القول ، وشاء الله تعالى له الشقاوة والهلاك ، امــرأة نــوح وابنــه ، وكانــا كافرين [1].

ومن هنا يأتي الدرس البليغ والعبرة العظيمة من خيانة امرأتــي نــوح ولــوط عليهمــا السلام وذلك بأن الرابطة هي رابطة العقيدة والإيمان وأن كل الروابط مــا عــدا هــذه الرابطة لا قيمة لها من غير هذه الرابطة ، ولا تفيد صاحبها عند الله شيئا . فإذا اختلّت رابطــة العقيدة فلا رابطة ، وإذا حدثت الخيانة في الدين فيجب عندئذ البراءة من الخائنين مهمــا كانــت درجة الصلة والقرابة والرابطة . وهو ما نتعلمه أيضا وفي ذات السياق من قصة نــوح عليــه السلام مع ولده الكافر ، وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، وقصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه وقومه ، وكذلك فعل الصحابة الكرام . وهو ما سيأتي ذكــره فــي عــلاج ظاهرة الخيانة إن شاء الله تعالى .

---

[1] انظر : السمرقندي ، **بحر العلوم** (150/2). الواحدي ، **الوجيز** (520/1) . أبا السعود ، **إرشــاد العقــل الســليم** (208/4) .

المبحث الخامس

خيانة حاطب بن أبي بلتعة[1]

هذه المرة مع نموذج مختلف من الخيانة ، حيث يمثّل هذا النموذج خيانة الأمة وخيانة الوطن . إنه موقف عملي بطله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممن شهد بدرا . وتتلخص فعلته بقيامه بالتخابر مع قريش ، وإعلامهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحربهم ، يوم فتح مكة ، وقد كان النبي عليه السلام قد أخفى وجهته ؛ حتى لا تعلم قريش بخبر خروجه ؛ أملا في أن لا تراق الدماء . وبغض النظر عن ملابسات هذا الحادث وعن مسوغاته ، والأسباب التي دعت حاطباً لفعل ما فعل ، وخصوصية ومكانة الفاعل ، فإن العمل الذي قام به بحد ذاته يُعَد عملا خيانيا . وسيق هذا النموذج من أجل بيان الفعلة " التي هي خيانة " بغض النظر عن الفاعل الذي قام بالفعل .

قال الله تعالى في مفتتح سورة الممتحنة : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ ۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ }[2].

وفي كون هذه الآية نزلت في حاطب جاءت الروايات الكثيرة[3].

---

[1] هو : حاطب بن أبي بلتعة ويكنى أبا محمد ، وهو من لخم ، شهد بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات بالمدينة سنة 30هـ ، وهو ابن خمس وستين ، وصلى عليه عثمان رضي الله عنه . انظر : ابن سعد ، أبا عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ت230هـ **الطبقات الكبرى** ، دار صادر - بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (114/3) .

[2] سورة الممتحنة ، آية 1

[3] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (58/28) . السيوطي ، **لباب النقول** (210/1) .

ثبت في الصحيحين أن الذي كتب لقريش يخبرهم بخبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، هو حاطب بن أبي بلتعة . فقد أخرج البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري " عن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[1] ، فإن بها ظَعينَة[2] ومعها كتاب ، فخذوه منها . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة . فقلنا : أَخرجي الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب . فقلنا : لتُخْرِجِن الكتاب أو لنُلْقِيَن الثياب . فأخرجته من عُقاصها[3] . فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت امرأً مُلْصقا في قريش ، ولم أكن من أنفُسِها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة ، يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا ؛ يحمون بها قرابتي . وما فعلتُ كفرا ولا ارتداداً ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد صدقكم . قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . قال : إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، قد غفرت لكم ؟ "[4].

قال ابن حجر في كتابه (فتح الباري) في بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم : " وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف ، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غُفِرت بها ذنوبهم السالفة ، وتأهَّلوا أن يغفر لهم ما يُستأنف من الذنوب اللاحقة . ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه . وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا . ولو قُدِّر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ، ولازم الطريق المثلى . ويَعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيَرهم . ويُحتمل أن يكون المراد بقوله : فقد غفرت لكم : أي

---

[1] روضة خاخ : موضع بين الحرمين ، بقرب حمراء الأسد من المدينة . [ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، ت626هـ ، **معجم البلدان** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (335/2)].

[2] الظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن . الرازي ، **مختار الصحاح** (170/1) . والمقصود هنا المرأة ، وليس الهودج بذاته ، فإنه كان من عادة النساء عند السفر الركوب في الهودج .

[3] عقاصها : أي ضفائرها . ابن منظور ، **لسان العرب** (56/7) .

[4] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** كتاب : الجهاد والسير ، باب : الجاسوس ، حديث رقم 2845 (1095/3) . مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أهل بدر ... ، حديث : 2494 (1941/4) .

ذنوبكم تقع مغفورة . لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب . وقد شهد مسطح[1] بدرا ، ووقع في حق عائشة "[2] .

وفي تحقيق مسألة حاطب وفعلته قال ابن تيمية[3] رحمه الله : " فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله ، أوجب بغض أعداء الله ، كما قال تعالى : { وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ }[4]، وقال : { لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ }[5]. وقد تحصُل للرجل موادتهم ؛ لرحم أو حاجة ، فتكون ذنبا يَنقص به إيمانه ، ولا يكون به كافرا ، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ، وأنزل الله فيه : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ }[6]... ولهذه الشبهة سمى عمرُ حاطباً منافقاً فقال : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال : إنه شهد بدرا . فكان عمر متأولا في تسميته منافقا ؛ للشبهة التي فعلها[7] ... ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعا واحدا بل فيهم المنافق المحض ، وفيهم من فيه إيمان

---

[1] هو : مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، مهاجر بدري ، ذكر في خوضه في قصة الإفك ، كان فقيرا ينفق عليه أبو بكر ، ت 34هـ . [انظر : الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت748هـ ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط9/1413هـ) (187/1 - 188)] .

[2] ابن حجر ، **فتح الباري** (635/8) .

[3] هو : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، نزيل دمشق ، شيخ الإسلام ، وبحر العلوم ، مفسر ، وفقيه ، ومحدث ، وأصولي ، بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ، من أهم مصنفاته : درء تعارض العقل والنقل ، منهاج السنة النبوية ، توفي سنة 728هـ ، في سجن القلعة بدمشق . انظر : ابن قدامة ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ت744هـ ، **العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (ص2) .

[4] سورة المائدة ، آية 81

[5] سورة المجادلة ، آية 22

[6] سورة الممتحنة ، آية 1

[7] انظر : العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد ، ت855هـ ، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (256/14) .

ونفاق ، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق ... والنفاق كالكفر ، نفـاق دون نفـاق ؛ ولهذا ... يقال : كفر ينقل عن الملة ، وكفر لا ينقل . ونفاق أكبر ونفاق أصغر . كمـا يقـال : الشرك شركان ، أصغر وأكبر "[1]. وكذلك يقال عن الخيانة ؛ فليست جميع الخيانات في مسـتوىً واحد ؛ فخيانة الجوارح والنفس فيما يتعلق بالمعاصي والذنوب الصغيرة ؛ مثل استراق النظـر إلى الحرام ، ليست مثل خيانة الدين بالكفر ، أو خيانة الأمة بالتآمر مـع الأعـداء ، أو خيانـة العرض بالزنا . فمن الخيانة ما يُعَد كفراً بواحاً كالكفر والنفاق الأكبر ، والتآمر مع الأعـداء بقصد الإضرار بالمسلمين ، ومنها ما يُعَد من كبائر الذنوب كالزنا ، ومنها ما لا يُعَد من الذنوب الكبيرة كالنظرة المحرمة .

أما حكم من فعل مثل هذه الفعلة ، فقد لخص ابن القيم رحمه الله آراء الفقهاء فـي ذلـك ، وهي على قولين ، ثم ذكر وجه الاستدلال لكل منهما ، ورجح ، فقال عن فعلة حاطب : "وفيها جواز قتل الجاسوس ، وإن كان مسلما ، لأن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حاطب بن أبي بلتعة لما بعث يخبر أهل مكة بالخبر ، ولم يقل رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : لا يحل قتله إنه مسلم . بل قال : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقـال : اعملوا ما شئتم . فأجاب بأن فيه مانعا من قتله ، وهو شهوده بدرا . وفي الجواب بهذا كالتنبيـه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع ، وهذا مذهب مالك ، وأحد الوجهين في مذهب أحمد . وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا يقتل . وهو ظاهر مذهب أحمد . والفريقان يحتجون بقصة حاطب . والصحيح أن قتله راجع إلى رأي الإمام ؛ فإن رآى في قتله مصلحة للمسلمين قتلـه ، وإن كان إبقاؤه أصلح استبقاه "[2].

ووجه استدلال القائلين بالقتل كما هو ملاحظ هو ما طلبه عمر رضي الله عنه ، وما رد عليه به النبي صلى الله عليه وسلم ، " لأن عمر لما طلب قتله لم ينكر النبي صلى الله عليه وسـلم . أو يقال : لم يذكر أنه لم يوجد المُقْتَضِي لقتله ، بل ذكر المانع ، وهو شهود بدر ، فدل على وجود المقتضي ، وأنه لولا المُعارِضُ لعمِلَ به "[3]. ف " قوله إنه قد شهد بدرا ، ظاهر هذا أن العلة في

---

[1] ابن تيمية ، **(مجموع الفتاوى)** (522/7 - 524) .

[2] ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، ت751هـ ، **زاد المعاد في هدي خير العبـاد** تحقيـق : شـعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط14/1407هـ) (422/3 423) .

[3] المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن مفلح ، ت763هـ ، **الفروع وتصحيح الفروع** ، تحقيق : أبو الزهراء حازم القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1418هـ) (114/6) . وانظر : زين الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن شـهاب الدين البغدادي ، ت795هـ ، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، تحقيق : شعيب الأرنـؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط7/1417هـ) (ص129) .

ترك قتله كونُه ممن شهد بدرا ، ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ، ففيه متمسك لمن قال إنه يُقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين "[1]. وقد نقل القرطبي رحمه الله القول بقتله فقال : وقال عبد الملك : إذا كانت عادته تلك قُتِل ؛ لأنه جاسوس . وقد قال مالك بقتل الجاسوس ، وهو صحيح ؛ لإضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض "[2]. قال القرافي[3] : " قال ابن القاسم : يُجْتَهَد في الجاسوس ، وأرى أن تُضرَب عنقه ، ولا نعلم له توبة ... ، ويتخير الإمام بين قتله وصلبه ؛ لسعيه في الأرض بالفساد دون النفي والقطع ؛ لبقاء الفساد معهما ... قال المازري[4] : إذا كان الجاسوس مسلما ، فقيل : يقتل ، واختلف في قبول توبته . وقيل : إن ظُن به الجهل وكان منه المرة ، نُكل . وإن كان معتادا قُتل . وقيل : يُجلد جلدا منكلا ، ويُطال سجنه بمكان بعيد من المشركين "[5].

وفي المقابل هناك من يرى أن فعلة حاطب تدل على عدم جواز قتل الجاسوس المسلم ، بل يُكتفَى بتعزيزه[6] ، فقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله في بيان فعلة حاطب ، وحكمها أن حاطبا " من لخم ، وكان نازلا بمكة ، وليس من أهلها ، فهاجر ، وترك أهله هنالك ، فتقرب إلى القوم ليحفظوه في أهله ، بأن أطلعهم على بعض أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيدهم وقصد قتالهم ، وعلم أن ذلك لا يضر رسول الله ؛ لنصر الله عز وجل إياه . وهذا الذي فعله أمر يحتمل التأويل ؛ ولذلك استعمل رسول الله حسن الظن ، وقال في بعض الألفاظ : إنه قد صدقكم . وقد دل هذا الحديث على أن حكم المتأوِّل في استباحة المحظور خلاف حكم المتعمد

---

[1] الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، ت 1250هـ ، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار** دار الجيل بيروت ، (طبعة سنة 1973 م) (155/8) .

[2] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (53/18) . وانظر : ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت728هـ ، **الفتاوى الكبرى** ، قدّم له : حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) (4/ 603) .

[3] هو : أحمد بن إدريس المالكي العالم الشهير الأصولي الشيخ الإمام شهاب الدين القرافي الصنهاجي الأصل ، أصله من صعيد مصر ، كان إماما في أصول الدين وأصول الفقه ، عالما بمذهب مالك ، من مصنفاته : القواعد ، والذخيرة ، وغيرها ، توفي في جمادى الآخرة سنة 84هـ . الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي لبنان ، (ط1/ 1407هـ) (176/51 177) .

[4] هو : محمد بن علي بن عمر التميمي ، من أهل إفريقية ، ويعرف بالإمام ، أفقه فقهاء المالكية في زمانه ، توفي سنة 536هـ . ابن فرحون **الديباج المذهب** (279/1 - 281) .

[5] القرافي ، شهاب الدين أحمد بن إدريس ، ت682هـ ، **الذخيرة** ، تحقيق : محمد حجي ، دار الغرب بيروت ، (طبعة سنة 1994م) (400/3) .

[6] انظر : القاري ، علي بن سلطان محمد ، ت1014هـ ، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، تحقيق : جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1422هـ) (464/7) .

لاستحلاله من غير تأويل ، ودل على أن من أتى محظورا ، أو ادعى في ذلك ما يحتمل التأويل ، كان القول قوله في ذلك ، وإن كان غالب الظن بخلافه . وقول عمر : ... دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ وهذا لأنه رآى صورة النفاق . ولما احتمل قول عمر ، وكان لتأويله مساغ ، لم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد دل هذا الحديث على أن الجاسوس المسلم لا يقتل "[1].

والذي يترجح لي والله أعلم أن الأمر فيه تفصيل وضوابط تتعلق بطبيعة الفعل ، وطبيعة الفاعل ، وفيما إذا كان الجاسوس قام بفعل واحد ، أو أفعال كثيرة ، أو كان يأتمر بأمر الأعداء ، وينفذ لهم كل ما يأمرونه به ، وكذلك كون ما قام به الجاسوس قد تسبب في فتنة ، أو حرب ، أو قتلٍ لأبرياء ، أو فعل ما يوجب حدًّا ، أو كان نقله الأخبار للأعداء ألحق أضرارا بالغة بالمسلمين ، أو غير ذلك . وكذلك عزم هذا الجاسوس على التوبة ، أو عدم ذلك ، له علاقة بطبيعة العقوبة التي تقع عليه ، وعليه فإن طبيعة العقوبة التي تقع على الجاسوس يحددها الإمام .

وهو ما رجحه ابن القيم رحمه الله ، وما ذكره الإمام مالك رحمه الله عندما "سئل عن الجاسوس من المسلمين يُؤْخذ وقد كاتب الروم ، وأخبرهم خبر المسلمين ؛ فقال : ما سمعت فيه بشيء ، وأرى فيه اجتهاد الإمام "[2].

وختاما لهذا الفصل لا بد من الإشارة إلى أن هذه النماذج الخيانية التي ذكرها القرآن الكريم لا تزال ماثلة في أيامنا ، وهي موجودة في كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأهل الكتاب لا يزالون على خيانتهم التي وصفهم الله تعالى بها ، ولا يزال هناك من يمارس خيانة العرض التي وقعت فيها امرأة العزيز من قبل ، وما أكثر من يخون أمته ووطنه ويتخابر مع أعداء هذه الأمة كما فعل حاطب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة .

---

[1] ابن الجوزي ، **كشف المشكل** (141/1 142) .

[2] العبدري ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم ، ت897هـ ، **التاج والإكليل لمختصر خليل** ، دار الفكر بيروت ، (ط1398/2هـ) ، (357/3) . وانظر : الثعلبي ، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر ، ت422هـ ، **التلقين في الفقه المالكي** ، تحقيق : محمد ثالث سعيد الغاني ، المكتبة التجارية مكة المكرمة ، (ط1415/1هـ) (245/1) .

الفصل الرابع
الخيانة من خلال آيات النفاق

المبحث الأول : بيان صفات وأفعال الخائنين

المبحث الثاني : عاقبة الخيانة

المبحث الثالث : منهج القرآن الكريم في معالجة ظاهرة الخيانة

لا بد في بداية هذا الفصل من بيان العلاقة بين الخيانة والنفاق . وقد تمت الإشارة سابقا إلى هذه العلاقة في مبحث نظائر الخيانة في القرآن الكريم ولمزيد من التأكيد والبيان أقول : إن النفاق هو الاسم الإسلامي للخيانة ، وهو اسم لمن خان من المسلمين . فالخيانة أعم وأشمل من النفاق ، فهي لفظة معروفة قبل الإسلام وبعده ، بخلاف النفاق . والخيانة إذا أطلقت شملت النفاق ، فالنفاق من الخيانة . وكما أن النفاق درجات ومستويات ، فكذا الخيانة ليست كلها على درجة واحدة . فنفاق العقيدة (النفاق الأكبر) هو خيانة المسلم لدينه وهو (خيانة عظمى) وقد سبق الحديث عن خيانة الدين في فصل أنواع الخيانة في القرآن الكريم . ونفاق العمل أو النفاق الأصغر الذي ورد ذكره في حديث النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " أربعٌ مَنْ كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كانت فيه خُصلةٌ منهنّ كانت فيه خُصْلةٌ من النفاقِ حتى يَدَعَها : إذا أؤْتُمِنَ خان ، وإذا حدَّثَ كذبَ ، وإذا عاهدَ غَدَرَ وإذا خاصَمَ فَجَرَ "[1]، هذا الحديث يذكر أعمالا هي من أعمال المنافقين ، وهي كذلك من أعمال الخائنين ؛ فالتفريط بالأمانة من أعمال النفاق ، وهي كذلك من أعمال الخيانة ، وقد سمى النبي عليه الصلاة والسلام التفريط بالأمانة خيانة ، فقال : " إذا أؤتمن خان " ، وكذلك باقي الأعمال والصفات ، كالكذب في الحديث الذي يستلزمُهُ كلُّ عمل خياني ، والغدر في العهد ، والفجور في الخصومة ، وغير ذلك من الصفات ، فهي من صفات وأفعال الخائنين على مدى الدهر والزمان .

يقول الراغب مقارناً بين الخيانة والنفاق : " الخيانة والنفاق واحد ، إلا أن الخيانة تُقال اعتبارا بالعهد والأمانة ، والنفاق يُقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان ؛ فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ، ونقيض الخيانة : الأمانة "[2]. هذه المقارنة أخذت بالاعتبار أن الخيانة هي خيانة العهود والأمانات فقط ، مع أن الخيانة جاءت في القرآن الكريم على معانٍ متعددة [3].

وقد سمى الله تعالى النفاق خيانة ؛ فقال ينهى المسلمين عن النفاق (الخيانة) : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[4].

يقول الإمام الطبري رحمه الله : "وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة ، وهو يستسر الكفر والغش

---

[1] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث : 34 (21/1) .

[2] الراغب ، **المفردات** (ص163) .

[3] انظر : ص18 - 26

[4] سورة الأنفال ، آية 27

لهم في الباطن .. "[1]. وقد تقدم القول في أن هذه الآية نزلت أحد المنافقين [2]. كما أن قوله تعالى : {إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا }[3] فيه دلالة أخرى على أن النفاق خيانة ؛ وذلك أن الخائنين المذكورين هم المنافقون ، وقد اتضح ذلك من خلال سبب نزول الآية ، إذ نزلت في المنافق طعمة بن أبيرق . وقد سماه الله تعالى خائنا ، كما في قوله تعالى بعد ذلك بآيتين : {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا }[4]. فالخوان في الآية هو المنافق المذكور طعمة بن أبيرق[5]. فإذا كان الله تعالى قد سمى المنافق خائنا ، وكذا سماه النبي عليه الصلاة والسلام ، فلا حرج أن يتم التعامل مع المنافقين باسم الخائنين .

وقد خصّص القرآن الكريم مساحة واسعة للحديث عن ظاهرة النفاق (نفاق الكفر أو النفاق الأكبر) ، فذكر صفات المنافقين وأفعالهم ، وذكر مصيرهم ومآلهم في الدنيا والآخرة ، كما أرشد إلى كيفية التعامل معهم ، وقد ذَكَرْتُ في منهجية هذا البحث أهمية الاستفادة من الآيات الواردة بشأن النفاق في إثراء موضوع الخيانة ؛ لأن النفاق من الخيانة ، ولأن الحديث عن الخيانة في المجتمع الإسلامي هو أهم ما تهدف إليه هذه الدراسة . وسيكون الحديث عن ذلك في ثلاثة مباحث على النحو الآتي :

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (221/9) .

[2] انظر : ص19

[3] سورة النساء ، آية 105

[4] سورة النساء ، آية 107

[5] انظر : ص21

المبحث الأول

بيان صفات وأفعال الخائنين

ورد في القرآن الكريم الكثير من صفات الخائنين وأفعالهم ، وذلك في سياق الآيات التي تحدثت المنافقين وذلك حرصا على معرفتهم وتمييزهم وعدم الانخداع بهم ، وسيعرض هذا البحث لأهم هذه الصفات والأفعال وذلك في أربعة مطالب على النحو الآتي .

المطلب الأول : بيان صفات الخائنين

أولاً : الكيد والتآمر في الخفاء

يقول الله تعالى في وصف الخائنين : { يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا }[1]. وجاء هذا الوصف بعد التحذير منهم ، فقد جاء في الآية السابقة لها : { وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا }.[2]

"يعني جل ثناؤه بقوله : (يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ) : يستخفي هؤلاء الذين يختانون أنفسهم ما أتَوا من الخيانة وركبوا من العار والمعصية ، (مِنَ ٱلنَّاسِ) الذين لا يقدرون لهم على شيء إلا ذكرهم بقبيح ما أتَوا من فعلهم ، وشنيع ما ركبوا من جرمهم إذا اطلعوا عليه ، حياء منهم وحذرا من قبيح الأُحدوثة . (وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ) الذي هو مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وبيده العقاب والنكال وتعجيل العذاب ، وهو أحق أن يستحى منه من غيره وأولى أن يعظم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه . (وَهُوَ مَعَهُمْ) ، يعني : والله شاهدهم . (إِذْ يُبَيِّتُونَ [3]مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ) ، يقول : حين يسوون ليلا ما لا يرضى

---

[1] سورة النساء آية 108

[2] سورة النساء ، آية 107

[3] التبييت هو : كل كلام أو أمر أُصلِح بليل . الطبري ، **جامع البيان** (271/5) .

من القول ، فيغيرونه عن وجهه ، ويكذبون فيه "[1]. و " الضمير في { يَسۡتَخۡفُون } ، الظـــاهر أنه يعود على الذين يختانون[2] ، وفي ذلك توبيخ عظيم ، وتقريع ، حيـــث يرتكبـــون المعاصـــي مستترين بها عن الناس إن اطلعوا عليها ، ودخل معهم في ذلك من فعل مثل فعلهـــم ، وقيـــل : الضمير يعود على الصنف المرتكب للمعاصي ، ويندرج هؤلاء فـــيهم ، وهـــم أهـــل الخيانـــة المذكورة ، والمتناصرون لهم ، وقيل : يعود على (مَنْ) باعتبار المعنى ، وتكون الجملة نعتا . {وَهُوَ مَعَهُمۡ} : أي عالمٌ بهم ، مطلعٌ عليهم ، لا يخفى عنه تعالى شيء من أسرارهم "[3]. يقـــول الزمخشري رحمه الله : " وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم عليه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم - إن كانوا مؤمنين أنهم في حضـــرته ، لا ســـترة ، ولا غفلـــة ، ولا غيبة ، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح "[4].

" وجمهور العلماء أن المشار إليه بالاستخفاء والتبييت ، قوم طعمة "[5].

فهم إذن يخططون ويمكرون للإيقاعها بعباد الله تعالى ولا يجرؤون على المجاهرة بمكـــرهم هذا ، ولا يستطيعون إظهاره للعلن إنهم يحسنون الطعن من الخلف وهذا دأب الخائنين فـــي كل عصر وزمان .

" وهي صورة زرية داعية إلى الاحتقار والسخرية زرية بما فيها من ضعف والتواء ، وهم يبيتون ما يبيتون من الكيد والمؤامرة والخيانة ويستخفون بها عـــن النـــاس والنـــاس لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا بينما الذي يملك النفع والضر معهم وهم يبيتون ما يبيتون مطلـــع عليهم وهم يخفون نياتهم ويستخفون وهم يزوّرون من القول ما لا يرضاه . فأي موقف يـــدعو إلى الزراية والاستهزاء أكثر من هذا الموقف ؟ "[6].

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (271/5) .
[2] انظر : الآلوسي ، **روح المعاني** (141/5) .
[3] أبو حيان ، **البحر المحيط** (360/3) .
[4] الزمخشري ، **الكشاف** (596/1) .
[5] ابن الجوزي ، **زاد المسير** (193/2) .
[6] قطب **في ظلال القرآن** (516/5 - 517) .

وهذا التبييت والتزوير والتآمر هو ما وصف الله تعالى به الخائنين ، قال سبحانه وتعالى : { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً }[1].

فالله تعالى يخبر عن هؤلاء الخائنين "بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة ... والمعنى في هذا التهديد أنه تعالى يخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم ، وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيانه وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة وسيجزيهم على ذلك "[2].

وهذا التآمر ، وهذه الخيانة ، وهذا التدبير في الخفاء ، هو ما تبرأ منه يوسف عليه السلام كما ذكر الله تعالى على لسانه : { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ }[3]. وهذا القول قاله يوسف عليه السلام كما قال جمهور المفسرين[4] . أي : ذلك التثبت والتأكيد ؛ ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب[5]. وسواء كان القول قول يوسف عليه السلام ، أو قول امرأة العزيز ، ما يهمنا هنا الشاهد في الآية : (الخيانة بالغيب) والاستتار عند فعلها ، وهو ما يلجأ إليه أهل الخيانة في كل عصر وزمان .

وهم كذلك يخافون افتضاح أمرهم ويحرصون على التستر والظهور بغير مظهرهم الحقيقي لئلا ينكشف حالهم للمؤمنين وهو ما وصف الله تعالى به حال الخائنين في قوله : { يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ

---

[1] سورة النساء ، آية 81

[2] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (530/1) .

[3] سورة يوسف ، آية 52

[4] للمفسرين قولين في الذي قال {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى } ، فذهب فريق إلى أنه يوسف عليه السلام ، وهو ما عليه جمهور المفسرين ، وذهب فريق إلى أنه قول امرأة العزيز . انظر : الطبري ، **جامع البيان** (238/12) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (209/9) . الشوكاني ، **فتح القدير** (34/3) .

[5] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (294/3) .

ٱللَّهَ مُخۡرِجٌ مَّا تَحۡذَرُونَ }[1]. ولـــــذلك تجـــــدهم : { يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ } [2] و {يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَ }[3].

ويبالغون في ذلك الاستتار بالحلف الكاذب قال تعـالى فـيهم : { ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ }[4] و (جنة) يعني : وقاية يحفظون بها أموالهم ودماءهم ويحققون من خلالها مآربهم وأهدافهم [5].

والحلف الكاذب من بضاعتهم قال تعالى فيهم : { وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ }[6].

ولا شك في أن الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السـماء لا تخفـى عليه خيانةٌ مهما دقت قال تعالى : { يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ }[7]. فالله تعالى مطلع على حالهم ، لا يخفى عليه شيء من أمرهم ، وهو لا شك فاضحهم ، وكاشـف السـتار عنهم ، في الدنيا وفي الآخرة ، يوم يقفون أمام الله تعالى ، لا تخفى منهم خافية .

ثانياً : استبدال الهدى بالضلال

من طبيعة حال الخائنين استبدال الهدى وطريق الحق بالضـلال والانحـراف واتبـاع سـبيل الشيطان . فهم قد باعوا دينهم بثمن بخس واستبدلوا الآخرة بدنيا زائلة . بل إن بعضـهم بـاع آخرته بدنيا غيره . وحالهم هذه قد وصفها الله تعالى لنا في كتابه العزيـز ، بقولـه تعـالى :

---

[1] سورة التوبة ، آية 64

[2] سورة التوبة ، آية 8

[3] سورة آل عمران ، آية 154

[4] سورة المنافقون ، آية 2

[5] انظر : الواحدي ، **الوجيز** (1078/2) . النسفي ، **مدارك التنزيل** (227/4) .

[6] سورة التوبة ، آية 42

[7] سورة غافر ، آية 19

{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ }[1].

وكيف تربح تجارة من اشترى الضلال ودفع ثمنه من دينه ومبادئه ؟ فهم قد استحبوا وفضلوا ظلام الضلال على نور الهدى والإيمان كما قال تعالى : { فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ }[2].

وقد جاء وصفهم بالضلال لاختيارهم طريق الخيانة والانحراف في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : { فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا }[3] والاستفهام في الآية "للتقريع والتوبيخ ، وفيه دليل على أن من أضله الله لا تنجع فيه هداية البشر "[4].

فهم قد استبدلوا بطهر الإيمان دنس الطغيان ، وبرضى الله رضى الناس ، وبسلامة الصدور وساوس الشيطان ، وبالانتماء لدينهم وأمتهم الانتماء لشياطينهم ولأعداء أمتهم . بل قد استبدلوا بالآخرة الدنيا ، وبالنعيم الأبدي العذاب الأليم . أعاذنا الله منهم ومن أفعالهم .

ثالثاً : الاغترار بالنفس

بين الله تعالى حال الخائنين وما هم عليه من الفسق والفجور ، ونسيان الله تعالى كما قال تعالى فيهم : { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ }[5]. ولكن الخطورة في الأمر أن هذه الحال التي هم عليها إنما هي بقناعة منهم فهم مغترون بأنفسهم ، يحسبون أنفسهم على الحق ويظنون بالله ظن السوء ويأمنون مكر الله تعالى . والخطورة تكمن في أن ما يمارسونه من أعمال الخيانة والغدر إنما هو في اعتقادهم

---

[1] سورة البقرة ، آية 16

[2] سورة فصلت ، آية 17

[3] سورة النساء ، آية 88

[4] الشوكاني ، **فتح القدير** (495/1) .

[5] سورة التوبة ، آية 67

عمل جيد فهو يتوافق مع خبث اعتقاداتهم وسوء طويتهم . فإن ترافــق ذلــك مــع تخفــيهم واستتارهم فإن شرهم مستطير وخطرهم لا شك عظيم .

فهم من اغترارهم بأنفسهم لا يحسنون الظن بالله تعالى قال تعالى عــنهم : { وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ }[1]. " أي يظنون بالله غير الظــن الحق الذي يحق أن يظن به . وظن الجاهلية : .. وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها "[2]. ويقول تعالى أيضــا فــي وصــف المنــافقين والمشــركين معــا : { وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ }[3] فهم يظنــون أن الله لن ينصر دينه ، وأن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق [4].

وقد ذكر الله تعالى قولهم عن المؤمنين الصادقين الثابتين في مواجهة أعدائهم على الــرغم من قلــة العــدد والعتــاد : { إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[5] فحســـاباتهم دنيويـــة يعتقدون أن الغلبة لا تكون إلا بكثرة العدد والعتاد ؛ وذلك لضعف إيمانهم وثقتهم بالله تعــالى . ويظنون أنفسهم على الحق ، وأن ما يعتقدونه هو الصواب كما قال الله تعالى عن الكــافرين : { بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ }[6] أي " تمويههم فتخيلوا أباطيل ثــم خالوها حقا "[7]. فهم من غيهم وطغيانهم وتغرير الشيطان بهم ، يأمنون مكر الله . ولا يأمن مكر

---

[1] سورة آل عمران ، آية 154
[2] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (105/2) .
[3] سورة الفتح ، آية 6
[4] انظر : السعدي **تيسير الكريم الرحمن** (ص791) .
[5] سورة الأنفال ، آية 49
[6] سورة الرعد ، آية 33
[7] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (332/3) .

الله إلا القوم الخاسرون . كما قـال تعـالى : { أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ }[1].

وقد وصفهم الله تعالى بالتردد والتشكك ، فليس عندهم يقين بالله تعالى ، وفي نفوسهم شـك بنبوة محمد عليه السلام . قال تعالى : { يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ }[2].

وقد جاء في معنى (وارتبتم) أي : " شككتم في نبوته ، وفيما أوعدكم به "[3].

ويظهر هذا التردد والشك عندهم جليا في المواقف التي تتطلب الشجاعة والتضحية يقـول تعالى: { إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ }[4]. يستأذنونك : أي في التخلف عن القتال ، وذكـر أوصـافهم (لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابت قلوبهم) أي : شكوا في دينهم ، فهم في ريبهم يترددون ، أي : في شكهم يتمادون [5].

وهم كذلك يائسون قانطون من رحمة الله قال تعالى : { وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا }[6] .

نزلت يوم الأحزاب في المنافقين الذين قالوا : يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس ، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله ، هذا والله الغرور[7].

---

[1] سورة الأعراف ، آية 99

[2] سورة الحديد ، آية 14

[3] البغوي ، **معالم التنزيل** (296/4) .

[4] سورة التوبة ، آية 45

[5] انظر الواحدي ، **الوجيز** (466/1) .

[6] سورة الأحزاب ، آية 12

[7] انظر : ابن هشام ، **السيرة النبوية** (56/3 - 57) . البغوي ، **معالم التنزيل** (516/3) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (366/4) .

رابعاً : الحقد على المؤمنين

يقول الله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }[1].

في هذه الآيات فضحٌ لما تكنّهُ نفوس الخائنين للمؤمنين في كل زمان وتحذير شديد من الاغترار بهم وبظاهر حالهم فهم يرضون المؤمنين بأفواههم وتأبى قلوبهم هذه القلوب التي ملئت حقدا وكرها وبغضا ، حتى جعلتهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، ويتمنون وقوع الشر بهم . قال تعالى : { ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً }[2] .

وهذه الأحقاد التي تملأ قلوبهم ، لا بد ستنكشف ، ويظهرها الله تعالى ، مهما حاولوا عدم إظهارها . يقول تعالى فيهم : { أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ }[3]. أي " أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم

---

[1] سورة آل عمران ، الآيات 118 - 120

[2] سورة النساء ، آية 141

[3] سورة محمد ، آية 29 -30

وضعف في يقينهم ، فهم حيارى في معرفة الحق ، أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين ؛ فيبديه لهم ويظهره ؛ حتى يعرفوا نفاقهم ، وحيرتهم في دينهم "[1]

حتى طريقتهم في الكلام لا تخفى على أهل الفراسة والكياسة والفطنة من المؤمنين ، الذين لا يغرهم ظاهر ما يرونه من حال هؤلاء .

خامساً : اتصافهم بالمزيد من الصفات الخبيثة والسيئة

وصف الله تعالى هذه الفئة الخائنة بأوصاف عديدة ؛ حتى يميط اللثام عنها ويعريها ، فلا يبقى على أصحابها شيء يسترهم ، وتتكشف سوءاتهم ، فلا تعود دسائسهم وحيلهم ومكائدهم تنطوي على أحد . ومن هذه الأوصاف : الجبن والبخل والجهل والكذب وغيرها .

فقد ذكر الله تعالى **جبنهم وخوفهم** ، فقال تعالى : { يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ }[2]. " أي كلما صاح صائح ظنوا أن ذلك لأمر عليهم . ويقال : إن كل من خاطب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يخافون ويظنون أنه مخاطب يخاطبه في أمرهم وكشف نفاقهم "[3].

وليس هناك أبلغ من الوصف الذي وصف الله تعالى به حالتهم النفسية عند الأمر بمواجهة الكفار قال تعالى : { وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ }[4]. " أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء "[5].

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (60/26) .

[2] سورة المنافقون ، آية 4

[3] السمرقندي **بحر العلوم** (429/3) .

[4] سورة محمد ، آية 20

[5] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (179/4) .

وهم بجبنهم وتخلفهم عن القتال فرحون وبقعودهم مع الخالفين راضون . قال تعالى يصف حالهم : { فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ }[1].

" إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة ، وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب ، وينفرون من الجهد ، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز . وهم يتساقطون إعياءً خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات . ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان ، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال "[2].

وقال تعالى في جبنهم أيضا : { لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ }[3]. " إنهم جبناء . والتعبير القرآني يرسم لهذا الجبن مشهدا ويجسمه في حركة . حركة النفس والقلب ، يبرزها في حركة جسد وعيان : { لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ } . فهم متطلعون أبدا إلى مخبأ يحتمون به ، ويأمنون فيه حصنا أو مغارة أو نفقا إنهم مذعورون مطاردون يطاردهم الفزع الداخلي والجبن الروحي "[4].

والبخل من صفاتهم أيضا قال تعالى فيهم : { وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ

---

[1] سورة التوبة ، آية 81

[2] قطب ، **في ظلال القرآن** (264/10) .

[3] سورة التوبة ، آية 57

[4] قطب ، **في ظلال القرآن** (239/10) .

وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ }[1].

" من المنافقين من عاهد الله لئن أنعم عليه ورزقه ، ليبذلن الصدقة ، وليصلحن العمل . ولكن هذا العهد إنما كان في وقت فقره وعسرته في وقت الرجاء والطمع فلما استجاب الله له ورزقه من فضله نسي عهده ، وتنكر لوعده ، وأدركه الشح والبخل فقبض يده ، وتولى معرضا عن الوفاء بما عاهد فكان هذا النكث بالعهد مع الكذب على الله فيه سببا في التمكين للنفاق في قلبه ، والموت مع هذا النفاق ، ولقاء الله به "[2].

وإذا كان إخلاف العهد من شيمهم وصفاتهم وعاداتهم ، فإنهم يُخْلِفونه مع الله تعالى كما يخلفونه مع الناس ، وهم يخلفون عهدهم في كل أمر مهما دق ، خاصة إذا كان في الوفاء بهذا العهد والوعد تكاليف تترتب عليهم ، أو بذل يبذلونه ، كما في الوفاء بعهد الإنفاق في سبيل الله .

والذي هذه صفاته لا بد أن يكون قد عشعش النفاق في قلبه قال عليه الصلاة والسلام : (آيةُ المنافقِ ثلاثٌ : إذا حدثَ كذبَ ، وإذا وعدَ أخلفَ ، وإذا اؤتمنَ خانَ)[3].

وقد قال الله تعالى في بخلهم : { وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ }[4].

" فهم لا ينفقون أموالهم إلا وهم كارهون ، ولا ينفقونها طوعا ؛ لأنهم يعُدّون إنفاقها وضعا لها في مضْيَعة ؛ لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله "[5].

وقد عقبت بعض الآيات التي ذكرت صفات هذه الفئة وأعمالها ، بذكر **جهلهم** الذي هو أيضا سبب من أسباب صدور هذه الأعمال والأقوال منهم قال تعالى : { هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

---

[1] سورة التوبة ، الآيات 75 - 77

[2] قطب **في ظلال القرآن** (258/10) .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الأدب ، باب : قول الله تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ } ، حديث رقم 5744 . (2262/5) . ومسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق ، حديث رقم 59 (78/1) .

[4] سورة التوبة ، آية 54

[5] الشوكاني ، **فتح القدير** ، (369/2) . وانظر : جوهري ، طنطاوي ، ت1358هـ ، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم** ، المكتبة الإسلامية بدون بلد النشر ، (ط3/1974م) (136/5) .

لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ }[1]. " هؤلاء المنافقون كانوا يقولون للأنصار : لا تنفقوا على من عند رسول الله من المهاجرين الفقراء حتى يتفرقوا عنه ، ولكن ما أشد جهلهم ! ألا يعرفون أن خزائن السماوات والأرض بيد الله ، يعطيها من يشاء ؟ ولكن المنافقين لا يفهمون هذه الحقائق "[2]. وقال تعالى في الآية التالية : { يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[3]. لا يعلمون " من فرط جهلهم وغرورهم "[4].

وقد ورد قول الله تعالى فيهم بصيغة الاستفهام الإنكاري والتوبيخي على جهلهم هذا فقال تعالى : { فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا }[5]. " أي لا يفهمون حديثا بالكلية ولا يقربون من فهمه ، أو لا يفهمون منه إلا فهما ضعيفا ، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم وفقههم عن الله وعن رسوله ، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم "[6].

والكذب أيضا من صفاتهم والله تعالى يشهد على ذلك بنفسه قال تعالى : { إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ

---

[1] سورة المنافقون ، آية 7

[2] طبّارة ، عفيف عبد الفتاح ، **روح القرآن الكريم تفسير جزء قد سمع** ، دار العلم للملايين ، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) (ص94 - 95) .

[3] سورة المنافقون ، آية 8

[4] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (343/5) .

[5] سورة النساء ، آية 78

[6] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص189) .

ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ }[1] مع أن ظاهر كلامهم الإيمان والإسلام والصلاح ، إلا أن الله تعالى كذبهم بما قالوا ؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [2].

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بصفاتهم والتي منها الكذب أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانتْ فيه خُصلةٌ منهن كانتْ فيه خصلةٌ من النفاقِ حتى يدعَها : إذا أؤْتُمنَ خانَ وإذا حدثَ كذبَ ، وإذا عاهدَ غدرَ ، وإذا خاصمَ فجرَ "[3].

وكيف يمكن أن يتصفوا بالصدق وهم الأحوج إلى الكذب لإخفاء مكرهم وكيدهم وتآمرهم على الإسلام والمسلمين ؟

والغفلة والكسل من صفاتهم أيضا فهم لا يؤدون العبادة إلا رئاء الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلا . قال تعالى : { إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا }[4].

" هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها ، وهي الصلاة . إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ... (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) : هذه صفة ظواهرهم ، كما قال : { وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ }[5] . ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة ، فقال : (يراؤون الناس) ، أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة . ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبا ، كصلاة العشاء وقت العتمة ، وصلاة الصبح في وقت الغلس "[6]. كما ثبت في

---

[1] سورة المنافقون ، آية 1

[2] انظر : الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي ت741هـ **التسهيل لعلوم التنزيل** ، دار الكتاب العربي لبنان (ط1403/4هـ) (121/4) .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر**، كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق ، حديث : 34 (21/1) .

[4] سورة النساء ، آية 142

[5] سورة التوبة ، آية 54

[6] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (569/1) .

الصحيحين - واللفظ للبخاري - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليسَ صـــلاةٌ أثقـــلُ على المنافقينَ من الفجرِ والعشاءِ . ولو يعلموا ما فيهما لأَتَوهُما ولو حَبْوا)[1].

فهم " إنما يُصلُّونَ تَستَرُّاً وتَكَلُّفاً ، وينبغي للمؤمن أن يَتَحَـــرَّز مـــن هـــذه الخصـــلة ، التـــي ذُمَّ المنافقون ، وأن يُقْبِ إلى صلاته بنشاط ، وفراغِ قلبٍ ، وتَمَهُّ في فعلها ، ولا يتقاعس عنهـــا ، فعلَ المنافق الذي يصلي على كُرْهٍ ، لا عن طِيبِ نَفْسٍ ورغبة . وما زال في كل عصر منافقون يتستَّرون بالإسلام ، ويَحْضُرُون الصلوات "[2].

وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه صفة صلاة المنافقين ، من تـــأخير الصـــلاة ، وعـــدم الخشوع فيها . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلك صلاةُ المنافق ، يجلسُ يرْقُب الشمسَ حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطان[3] ، قام فنقَرَها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا "[4].

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم **بوجهين مذبذبين** فهم مترددين لا يستقرون على شيء . فهم ليسوا مسلمين على الحقيقة ، وهم كذلك ليسوا كفارا في الظاهر . قال تعالى : { مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا }[5].

"يعني المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر ، فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنـــا ، ولا مـــع الكافرين ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكـــافرين ومـــنهم مـــن يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء ، وتارة يميل إلى أولئك "[6].

---

[1] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الأذان ، باب : فضل العشاء في جماعة ، حـــديث : 622 (234/1) . مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنهـــا ، حديث : 651 (451/1) .

[2] أبو حيان **البحر المحيط** (393/3) .

[3] "قوله صلى الله عليه وسلم : بين قرني الشيطان ، اختلفوا فيه . فقيل : هو على حقيقته وظاهر لفظه . والمراد : أنـــه يحاذيها بقرنيه عند غروبها ، وكذا عند طلوعها ؛ لأن الكفار يسجدون لها حينئذ ، فيقارنها ؛ ليكون الســـاجدون لهـــا فـــي صورة الساجدين له ، ويخيل لنفسه ولأعوانه أنهم إنما يسجدون له . وقيل : هو على المجاز ، والمراد بقرنـــه وقرنيـــه : علوه وارتفاعه وسلطانه وتسلطه وغلبته وأعوانه . قال الخطابي : هو تمثيل ، ومعناه : أن تأخيرها بتـــزيين الشـــيطان ، ومدافعته لهم عن تعجيلها كمدافعة ذوات القرون لما تدفعه . والصحيح الأول ". النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بـــن مري ، ت676هـــ ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط1392/2هـــ) (124/5) .

[4] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : اســـتحباب التبكيـــر بالعصـــر ، حـــديث : 622 (434/1) .

[5] سورة النساء ، آية 143

[6] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (569/1) .

وقد ضربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ، يبين فيه حالهم هذه ، ففي الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مثَلُ المنافقِ كمثلِ الشاةِ العائرةِ بين الغنَمين ، تَعيرُ إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً "[1].

فهم أمام المؤمنين يظهرون بحال غير الحال التي يكونون عليها مع شياطينهم من الإنس والجن . قال تعالى : { وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ }[2].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الصنف سيكون شر الناس يوم القيامة أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " تجدُ منْ شرارِ الناسِ يوم القيامةِ عندَ اللهِ ذا الوجهينِ الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ "[3].

وصفات الخائنين لا تنتهي عند هذا الحد ، فهي كثيرة ، يصعب إحصاؤها في بحث مختصر كهذا . ويمكن القول : إن جميع الصفات الخبيثة والسيئة يمكن أن تنسب إليهم ، ولا يُستغرَب أن يتصفوا بها ؛ فإن الذي فسدت طويته ، وخبثت نفسه ، بالنفاق والخيانة ، لا يمكن أن تتوقع منه الاتصاف بحميد الصفات ، ومكارم الأخلاق ، ونبيل السجايا ، إلا ما كان منه من باب التصنع ، والرياء . وكما قيل : كل إناء بما فيه ينضح .

المطلب الثاني : بيان أفعال الخائنين

الفعل قد يطلق على الصفة والعكس كذلك فتقول مثلا : يخدع الناس ، فهو مخادع . فخداعه الناس عمل يظهر بصور متعددة ، وهو في الوقت ذاته من صفات صاحبه . وليس المهم التصنيف إلى أفعال وصفات بقدر ما يهدف إليه هذا المبحث من فضح هذه الفئة من الناس ببيان صفاتهم وأفعالهم حتى يعرفوا فلا يبقى لأحد عذر في الاغترار والانخداع بهم . ويأتي تفصيل هذا المبحث في خمس نقاط ليس الهدف منها حصر جميع أفعالهم ، بل ذكر ما أبرزه القرآن الكريم منها .

[1] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث : 2784 (2146/4) .

[2] سورة البقرة ، آية 14

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب الأدب ، باب : ما قيل في ذي الوجهين ، حديث : 5711 (2251/5).

أولاً : الصد عن سبيل الله والدعوة إلى المنكر

هذا الفعل من أفعالهم ترجمة عملية لسوء اعتقادهم فهم لا يكتفون بكفرهم وضلالهم ، بل يسعون كذلك ليكون غيرهم معهم ، وذلك من خلال العمل على صد الناس عن سبيل الله تعالى وتزيين المنكر لهم حتى يقعوا فيه ، والدعوة إلى الفجور والمعصية ، وإغراء الناس بها وتيسير سبلها لهم . في الوقت الذي يحاربون فيه الحق وأهله ويصدون عن طريق الخير والرشاد . بل ويحاولون قلب الحقائق ، بوسائل إعلامهم المختلفة ، بتسمية الحق باطلا ، والباطل حقا . قال تعالى : { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ }[1].

" { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ} لأنهم اشتركوا في النفاق فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا . وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم . ثم ذكر وصف المنافقين العام ، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير ، فقال : (يأمرون بالمنكر) ... (وينهون عن المعروف)... (ويقبضون أيديهم) ... (نسوا الله) ... وإن المؤمنين قد ابتلوا بهم إذ كانوا بين أظهرهم . والاحتراز منهم شديد "[2]. ففعلهم الموصوف في الآية الكريمة هو أمرهم الناس بالمنكر ، ونهيهم عن المعروف ، وبخلهم الشديد ، وعدم ذكرهم لله ، حيث إنهم نسوا الله . وبهذا يتبين أن الدعوة إلى المنكر والفسوق والفجور ، وتسهيله وتزيينه للناس وترويجه بينهم ، هي جزء مهم من دعوتهم ، والجزء الآخر لهذه الدعوة ، والذي لا تتم دعوتهم إلا به ، هو النهي عن كل خير ، وتخويف الناس من كل فضيلة ، وتحذيرهم من فعل المعروف وبهذا يتم لهم ما أرادوا من صرف الناس عن دينهم ، وإيقاعهم في وحل الرذيلة والسقوط والخيانة .

فهم معاندون للحق ، رافضون سبيله يصدون الناس عن طريقه . قال تعالى :{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا }[3].

---

[1] سورة التوبة ، آية 67

[2] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص343) .

[3] سورة النساء ، آية 61

وقوله تعالى عنهم : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ }[1] " أي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الإيمان "[2].

فهم بذلك قد اشتركوا مع المشركين في أهم أعمالهم وهو الصد عن سبيل الله قال تعالى في وصف المشركين : { ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[3]. وقال عن إعراضهم عن الإيمان : { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ }[4]. فهم بهذا والمشركون سواء .

ثانياً : الخوض والاستهزاء بآيات الله

يتقن الخائنون والمنافقون الهمز واللمز والطعن والاستهزاء فهذا جزء من صناعتهم ، وهو أمر مترتب على سوء اعتقادهم وكفرهم بآيات الله تعالى . كما وأنهم يريدون بهذا الفعل الإساءة لأهل الإيمان لشدة ما تحمله قلوبهم من الغيظ والحقد والكراهية للمسلمين ودينهم . قال تعالى عنهم : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ }[5]. ورد في سبب نزول هذه الآية ، عدّة أقوال لا حاجة لذكرها هنا . وقد ذكر أهل العلم أن معناها عام في كل من استهزأ بالله تعالى ، أو القرآن ، أو الرسول صلى الله عليه وسلم [6].

لقد كانت نتيجة استهزائهم هذا برسول الله عليه الصلاة السلام وبالمؤمنين أن حكم الله تعالى عليهم من فوق سابع سماء بالكفر وعدم قبول اعتذارهم . فيا ليت خائني ومنافقي هذا الزمان

---

[1] سورة المنافقون ، آية 5

[2] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (127/18) .

[3] سورة التوبة ، آية 9

[4] سورة الأنفال ، آية 31

[5] سورة التوبة ، آية 65

[6] انظر : ابن عبد الوهاب ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ت1206هـ ، **الفتاوى** تحقيق : صالح بن عبد الرحمن الأطرم وغيره ، مطابع الرياض الرياض ، (ط1/ بدون سنة نشر) (61/1) .

الذين دأبهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين ، وبما هم عليه من الحق ، ليتهم يتدبرون آيـــات الله ويعونها لعلهم يتعظون وعن غيهم ينتهون ، قبل أن تتقلب الأحوال ويُستهزأ بهم يوم الموقف العظيم وهم في شر حال ، وأسوأ مآل ، كما أخبر الله تعالى عن حال المستهزئين مـــن الكفـــار بالمؤمنين يـــوم القيامـــة : { إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }[1] .

وهكذا تخبر الآيات أن الاستهزاء بالمؤمنين من أفعال الكفار أيضا ، وليس من أفعال الخـــائنين فقط . والناظر في حال الخائنين وما نسب إليهم من قبيح الأعمال والصـــفات ، ســـيجد الكثيـــر الكثير من القواسم المشتركة بينهم وبين الكفار ، في صفاتهم وأفعالهم . كيف لا وهم في الكفـــر سواء ؟

ثالثاً : موالاة الكفار وفعل أفعالهم

بعد وصف الخائنين والمنافقين بالضلال ، وبعد ما وصلت إليه اعتقاداتهم بالله تعالى ، أوصـــلهم ذلك إلى الكفر والعياذ بالله . وهذه النتيجة نتيجة طبيعية لمسلكهم الشيطاني . فموالاة الشيطان تقود صاحبها إلى سبيل الكفر . وقد بين الله تعالى أن أعمالهم تقودهم للكفـــر . قـــال تعـــالى : { وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ }[2] .

فما الذي جعلهم للكفر أقرب منهم للإيمان ؟ ولماذا حكم الله عليهم بـــالكفر ، مـــع أن ظـــاهرهم الإيمان ؟ لقد "كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك ، وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم . فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا ، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم ، واقتربوا

[1] سورة المطففين ، الآيات 29 - 36

[2] سورة آل عمران ، آية 167

من الكفر . وهم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان ؛ لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين "[1].

وفي معرض الحديث عن استهزائهم وخوضهم بآيات الله تعالى ، ذكر لنا الله تعالى أن عملهم هذا أوصلهم للكفر أيضا . قال تعالى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ }[2].

فهم وإن اعتذروا ، وأنكروا حدوث الفعل منهم ، بل وإن أقسموا أنهم ما فعلوا وما قالوا ، فإن اعتذارهم لا يقبل . وعالم السرائر وخبايا النفوس سبحانه وتعالى قد ألبسهم لباس الكفر وحكم عليهم به . قال تعالى حاكيا عنهم : { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ }[3].

تدل هذه الآية على أن المنافقين كفار وعلى أن الكفر يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة[4].

وقد حكم الله تعالى عليهم بالردة ؛ بسبب خيانتهم . قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ }[5]. وقد أورد أهل التفسير[6] في المقصود بالمرتدين أقوالاً ، منها أنهم من أهل الكتاب ، أو أنهم أهل الخيانة والنفاق ، وهو ما تميل إليه النفس ، وقد رجحه الطبري

---

[1] النسفي ، **مدارك التنزيل** (190/1) .

[2] سورة التوبة ، آية 65 - 66

[3] سورة التوبة ، آية 74

[4] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (207/8) .

[5] سورة محمد ، آية 25 - 26

[6] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (249/16) . أبا السعود **إرشاد العقل السليم** (99/8) .

بقوله : " وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا أشبه منها بصفة أهل الكتاب وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت بقيلهم للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر . ولو كانت من صفة أهل الكتاب لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا "[1].

وسبب ردة هؤلاء الخائنين أنهم " قالوا لليهود : سنطيعكم في بعض الأمر : أي عداوة محمد والقعود عن نصرته "[2]. فإذا كانت طاعة اليهود في بعض الأمر توصل للردة عن الدين ، فكيف بطاعتهم في كل أمر ؟! بل وكيف بالتعاون معهم ونصرتهم على المسلمين ؟!

ومن انطبق عليه وصف الكفر من هؤلاء الخائنين فإنه سيكون حتما من أولياء الكفار ومن أنصارهم فهو ما دام يعتقد ما يعتقدون ويفعل ما يفعلون ، فقد توافقت أهواؤه ومواقفه ومصالحه ومعتقداته مع أهوائهم ومواقفهم ومصالحهم ومعتقداتهم ، فهم سواء في كل شيء ولذلك تجدهم قد تطابقت أهدافهم مع أهداف الكفار المعادين ، وارتبطت مصالحهم وأغراضهم ، بل ومصائرهم معا . قال تعالى : { بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا }[3]. " هذه الآية من صفة المنافقين وكانوا يوالون اليهود مخالفة للمسلمين يتوهمون أن لهم القوة والمنعة . وهو معنى قوله : (أيبتغون عندهم العزة) أي : القوة بالظهور على محمد صلى الله عليه وسلم . (فإن العزة) : أي الغلبة والقوة لله جميعا "[4].

ومَنْ هؤلاء الكافرين ، الذين كان المنافقون يوالونهم ، ويبتغون عندهم العزة يا ترى ؟

" الكافرون المذكورون هنا هم على الأرجح اليهود الذين كان المنافقون يأوون إليهم ويتخنسون عندهم ، ويُبَيِّتون معهم للجماعة المسلمة شتى المكائد "[5].

ثم ما هو السبب الذي من أجله يسعى هؤلاء الخائنون ، لولاية اليهود وأعداء الأمة ؟ أهو طلب العزة والمنعة والقوة منهم ؟ إن الخائنين تختل عندهم الموازين ، وتنحرف أفهامهم ، لدرجة أنهم ، يتناسون أن القوة والمنعة والعزة هي من الله تعالى وحده . ولا يعطيها سبحانه إلا

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (58/26) .

[2] النسفي ، **مدارك التنزيل** (149/4) .

[3] سورة النساء ، آية 138 - 139

[4] الواحدي ، **الوجيز** (296/1) .

[5] قطب ، **في ظلال القرآن** (556/5) .

لأوليائه ، الذين لا يلجأون إلا إليه . "وهكذا تكشف اللمسة الأولى عن طبيعة المنافقين ، وصفتهم الأولى ، وهي : ولاية الكافرين دون المؤمنين ، كما تكشف عن سوء تصورهم لحقيقة القوى وعن تجرد الكافرين من العزة والقوة التي يطلبها عندهم أولئك المنافقون "[1].

"وما أحوج ناسا ممن يدعون الإسلام ويتسمون بأسماء المسلمين ، وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض ، أن يتدبروا هذا القرآن ، إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين . وإلا فإن الله غني عن العالمين "[2].

وقد عد الله تعالى الخائنين لكثرة التصاقهم بالكافرين وحبهم لهم عدهم إخوانا لهم ، قال تعالى : { أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ }[3]. وقد "جعل المنافقين إخوانهم في الدين ؛ لأنهم كفار مثلهم "[4].

ولا يكتفِي هؤلاء المجرمون بكفرهم وبموالاتهم للكافرين ، بل ويتمنون الكفر والردة والخيانة للمسلمين ، فهم يريدون أن يلحق بهم الآخرون في طريق كفرهم ونفاقهم وانحرافهم ، قال تعالى في وصف نفسياتهم الخبيثة : { وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا }[5].

" وهذا كشف من الله لخبث معتقدهم ، وتحذير للمؤمنين منهم ، والمعنى : تمنوا كفركم وهي غاية المصائب بكم وهذا الود منهم يحتمل أن يكون عن حسد منهم لهم على ما يرون للمؤمنين

---

[1] قطب ، **في ظلال القرآن** (556/5) .

[2] المرجع السابق ، (557/5) .

[3] سورة الحشر ، آية 11

[4] البغوي ، **معالم التنزيل** (321/4) .

[5] سورة النساء ، آية 89

من ظهور في الدنيا "[1]. فقد " أخبر الله عز وجل المؤمنين بما في ضمائر تلك الطائفة ؛ لئلا يحسنوا الظن بهم ولا يجادلوا عنهم وليعتقدوا عداوتهم "[2].

وهذا حال الخائنين في كل زمن ، فهم يمقتون كل تقي نقي ، ويودون لو انغمس الجميع في هذه الخيانة ؛ حتى لا يُعَيَّروا بها .

رابعاً : رفض التحاكم إلى شرع الله تعالى

وهذا العمل مترتب أيضا على سوء اعتقادهم بالله تعالى وضعف إيمانهم ، وعلى الشك والريب في آيات الله ، الذي يلازمهم ، وعلى ميلهم القلبي لكل ما هو باطل ، ورفضهم للحق . وعليه فكيف يمكن بعد ذلك أن يقبلوا حكم الله وحكم رسوله ، أو أن يتحاكموا إلى القرآن ويقبلوه حكما ، وفَيْصَلاً في ما اختلفوا فيه أو أن يرضوه شريعة تحكم جميع شؤون حياتهم

بل إنهم استبدلوا بحكم الله حكم الطاغوت ، ورضوا أن يتحاكموا إلى قوانين وضعها البشر تتوافق مع أهوائهم وتحقق رغباتهم ، بدل حكم الله الذي فيه حياتهم وصلاحهم ، وقد قال تعالى يدعونا للاستجابة لحكمه : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ }[3]. "قال قتادة : هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة "[4].

وإن رفْض التحاكم لشرع الله ، وعدم قبول حكم الله ، وتفضيل شرائع البشر على شريعة القرآن ، يعد من نواقض الإيمان ويخرج صاحبه ولا شك من ملة الإسلام ، وهو كفر بواح [5] . والله تعالى يقول : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا }[6].

---

[1] ابن عطية **المحرر الوجيز** (89/2) .

[2] ابن الجوزي ، **زاد المسير** (155/2) .

[3] سورة الأنفال ، آية 24

[4] الرازي **تفسير القرآن العظيم** (1680/5) .

[5] انظر : ياسين **الإيمان** (ص219) .

[6] سورة النساء ، آية 65

فليس الإيمان مجرد زعم باللسان ، بل لا بد من الخضوع لشرع الله ، وتحكيمه في كافة شؤون الحياة .

وهنا "نجدنا أمام شرط الإيمان وحد الإسلام . يقرره الله سبحانه بنفسه . ويقسم عليه بذاته . فلا يبقى بعد ذلك قول لقائل في تحديد شرط الإيمان وحد الإسلام ولا تأويل لمؤول اللهم إلا مماحكة لا تستحق الاحترام ... فهذه حقيقة كلية من حقائق الإسلام . جاءت في صورة قسم مؤكد . مطلقة من كل قيد . وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تحكيم شخصه . إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه . وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ... وإن كان يكفي لإثبات الإسلام أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله . فإنه لا يكفي في الإيمان هذا ، ما لم يصحبه الرضى النفسي ، والقبول القلبي ، وإسلام القلب والجنان ، في اطمئنان . هذا هو الإسلام . وهذا هو الإيمان . فلتنظر نفس أين هي من الإسلام وأين هي من الإيمان ، قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان "[1].

روى البخاري في سبب نزول هذه الآية عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : " أنَّ رجلاً من الأنصارِ خاصَمَ الزبيرَ عند النبي صلى الله عليه وسلم في شِراجِ الحَرَّة[2] التي يَسْقون بها النخل ، فقال الأنصاريُّ : سَرِّح الماءَ يَمُرّ[3] فأَبَى عليه ، فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : اسقِ يا زبيرُ ثم أَرْسل الماء إلى جارك . فغضب الأنصاريُّ ، فقال : أَنْ كان ابنَ عمَّتِك فتلوَّن وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسقِ يا زبيرُ ثم احْبِس الماء حتى يَرْجع إلى الجُدُر[4] . فقال الزبير : والله إنِّي لأَحسبُ هذه الآية نزلت في ذلك "[5].

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (426/5) .

[2] الشراج : مجاري الماء من الحرار إلى السهل . ابن منظور ، **لسان العرب** ، (307/2) . والحَرَّة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار . الرازي ، **مختار الصحاح** (55/1) .

[3] سرح الماء : أي أرسله . النووي ، **صحيح مسلم بشرح النووي** (107/15) .

[4] الجدر : جمع جدار وهو الحائط . انظر : الرازي ، **مختار الصحاح** ، (ص41) . مصطفى إبراهيم ، **المعجم الوسيط** (110/1) .

[5] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب المساقاة ، باب : سكر الأنهار ، حديث 2231 (832/2) .

فما أقرب هؤلاء الذين لا يريدون حكم الله ورسوله ممن قال الله تعالى فيهم : { أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }[1]. وقد سماهم الله تعالى بالكفار . قال تعالى :{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ }[2] .

لقد بين الله تعالى لنا رفض هذه الفئة الخائنة لحكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم إذا ما دعوا إليه ، فقال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا }[3].

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أقوال ، منها أنها في جماعة من المنافقين ، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية ، والآية أعم من ذلك كله ، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هنا [4].

فإذا كانت هذه الآية نزلت في حادثة حدثت في عهد النبوة ، كما ذكر في سبب النزول حيث رفض بعض المنافقين حكم الله تعالى ، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكيف فيمن لا يتحاكمون اليوم في سائر أمورهم إلا إلى الكفار ويرفضون حكم الله ورسوله ، وهم يزعمون أنهم آمنوا بالله وبما أنزل إلى الرسول ؟

إن نفوس هؤلاء تأبى عليهم الخضوع لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم إلا إذا كان الحق لهم ، فإنهم عند ذلك يقبلون حكم الله تعالى ، ويذعنون له ، قال تعالى فيهم : { وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم

[1] سورة المائدة ، آية 50

[2] سورة المائدة ، آية 44

[3] سورة النساء ، آية 60-61

[4] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (520/1) .

مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ }[1].

" ذكر سبحانه أن إعراضهم إنما هو إذا كان الحق عليهم ، وأما إذا كان لهم فـإنهم يـذعنون ؛ لعلمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحكم إلا بالحق "[2].

وحالهم هذه بخلاف حال المؤمنين ، الذين قال الله تعالى فيهم في الآيـة التاليـة : { إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ }[3].

ومعنى ذلك : " إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكـم الله وإلـى حكـم رسوله ، ليحكم بينهم وبين خصومهم ، أن يقولوا : سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانـا إلـى ذلك "[4] . وفي هذا تربية للمسلمين بأن لا يتحاكموا لغير شرع الله تعالى ولو كان شرعة للأمم كلها .

خامساً : الإفساد في الأرض

الإفساد كلمة عامة ، تشمل كل ما يعد إفسادا ، من تعطيل حكم الله تعـالى ، ونشـر الرذيلـة وقبول الرشوة ، وإلحاق الأذى بالمؤمنين ، واتباع الفتن وبث الأراجيف ، وغيـر ذلـك مـن الأمور التي تندرج تحت هذا المفهوم . كل هذه الأمور من أعمال هذه الفئة الخائنة . والخطيـر في الأمر أن هذه الأعمال تصدر منهم عن استحسان لها ، واعتقاد بأنهـا أعمـال إصـلاح لا إفساد . وهذا من انقلاب الموازين ، الذي انتهجه من قبلهم فرعون مع موسى عليـه السـلام وانتهجه زعماء الكفر مع لوط عليه السلام . قـال تعـالى : { وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ }[5].

---

[1] سورة النور ، الآيات 47 - 50

[2] الشوكاني ، **فتح القدير** (44/4 - 45) .

[3] سورة النور ، آية 51

[4] الطبري ، **جامع البيان** (157/18) .

[5] سورة غافر ، آية 26

ووصف فرعونُ السحرةَ لما آمنوا ، بالمكر والتآمر . قال تعـالى : { قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ }[1]. " أي إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء "[2] . فهو يزعم أن السحرة قد تآمروا مع موسى عليه السلام قبل موعد المباراة ولهذا أعلنوا إيمانهم . وهكذا هم الخائنون الذين يعتادون التآمر والكيد ، يظنـون أن جميـع النـاس مثلهم في التآمر والخيانة .

وقال تعالى على لسان الكفار من قوم لوط عليه السلام : { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ }[3]. هذا هـو منطـق قلـب الحقائق واختلال الموازين ، وهو منطق آخر الزمان ، الذي أخبر عنه النبـي عليـه الصـلاة والسلام في قوله : " سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدَقُ فيها الكـاذب ويُكَـذَبُ فيهـا الصادق ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائن ويُخَوَنُ فيها الأمين ، ويَنْطِـقَ فيهـا الرُوَيْبِضَـة . قيـل ومـا الرويبضة ؟ قال : الرجل التَافِهُ يتكلم في أمر العامة "[4].

وهو نفسه منطق أهل الخيانة ، الذين يعدون الإفساد إصلاحا ، والإصلاح إفسـادا ، قـال تعالى فيهم : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ }[5] .

---

[1] سورة الأعراف ، آية 123

[2] النسفي ، **مدارك التنزيل** (30/2) .

[3] سورة الأعراف ، آية 82

[4] ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، ت273هـ ، **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد البـاقي ، دار الفكـر بيروت (بدون طبعة ولا سنة نشر) ، باب : شدة الزمان ، (1339/2) . وانظر : الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت405هـ ، **المستدرك على الصحيحين مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطـا ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1411هـ) ، (557/4) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في التلخيص : صحيح .

[5] سورة البقرة ، آية 11 - 12

قال الإمام الطبري رحمه الله : " نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة "[1].

والذي عليه أهل العلم ، أن آيات القرآن الكريم إنما هي لكل زمان ومكان . وما كان في وصف خائني ذلك الزمان لا شك ينطبق على خائني هذا الزمان ، وكل زمان إلى يوم القيامة . فالآية الكريمة لا تخص أولئك الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب وإنما تعم كل من هو على شاكلتهم إلى يوم القيامة .

واعتقاد هؤلاء بأنهم المصلحون يستلزم ولا شك اعتقادهم بأن غيرهم هم المفسدون . وهو ما ذكره الله تعالى فعلا على ألسنتهم ، حيث قال تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ }[2].

" وهذا القول من المنافقين إنما كانوا يقولونه في خفاء واستهزاء فأطلع الله نبيه والمؤمنين على ذلك ، وقرر أن السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر إنما هي في حيزهم وصفة لهم ، وأخبر أنهم هم المفسدون ولكن لا يعلمون ؛ للرّين الذي على قلوبهم "[3].

وقد وصف الله تعالى إفساد الفاسقين (والمنافقون منهم) بما يتضمن من نقض العهود ، وتقطيع الأواصر والصلات ، فقال تعالى : { ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ }[4]. " وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه ، والذي بينهم وبين عباده ، الذي أكده عليهم بالمواثيق الثقيلة ، والإلزامات ، فلا يبالون بتلك المواثيق ، بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق ، (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) : وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة ، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته . وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه . وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب وسائر الخلق ، بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن

---

[1] انظر ، الطبري ، **جامع البيان** (125/1) .

[2] سورة البقرة ، آية 13

[3] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (205/1) .

[4] سورة البقرة ، آية 27

نصلها . فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق ، وقاموا بها أتم القيام . وأما الفاسقون فقطعوها ونبذوها وراء ظهورهم معتاضين عنها بالفسق والقطيعة والعمل بالمعاصي : وهو الإفساد في الأرض "[1].

"ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش ؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين . ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين ؛ لأن الفساد من أفعالهم "[2].

وعلى جميع الأحوال فإن الإفساد بجميع أشكاله عمل من أعمال هؤلاء الخائنين وسلوك أصيل من مسلكياتهم لا ينفك عنهم أبدا .

ومن الإفساد في الأرض : اتباع الفتن ونشر الرذيلة والفجور ، وبث الإشاعات والترويج للأكاذيب ، وهو ما يحسنه أهل الخيانة والنفاق . وقد سماهم الله تعالى : المرجفون . قال تعالى : { لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا }[3]. "والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم ، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم قد قتلوا أو هزموا ، وإن العدو قد أتاكم . قاله قتادة وغيره . وقيل كانوا يقولون : أصحاب الصفة قوم عُزاب ، فهم الذين يتعرضون للنساء . وقيل : هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبا للفتنة . وقد كان في أصحاب الإفك مسلمون ، ولكنهم خاضوا حبا للفتنة . وقال ابن عباس : الإرجاف : التماس الفتنة ، والإرجاف : إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به . وقيل : تحريك القلوب . يقال : رجفت الأرض ، أي تحركت وتزلزلت .. فالإرجاف حرام ؛ لأن فيه إذاية . فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف "[4].

ومهما كان نوع الأكاذيب والأراجيف التي يبثها الخائنون فإن هدفها واحد ، هو زعزعة استقرار المجتمع المسلم ، وضرب معنويات المسلمين ، وإيقاع الفتنة بينهم .

---

[1] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص47-48) .

[2] الكلبي ، **التسهيل لعلوم التنزيل** (43/1) .

[3] سورة الأحزاب ، آية 60

[4] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (245/14 246) .

وحادثة الإفك المشهورة ، من فعالهم ومن أراجيفهم . حيث أشاع المنافقون ومن تبعهم على السيدة عائشة رضي الله عنها ما أشاعوا ، وخاضوا في عرض أشرف الناس : أم المؤمنين وزوج رسول الله ، وابنة الصديق . كل هذا سطره لنا الله تعالى في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ؛ وذلك ليبقى درسا للعبرة والاتعاظ ، وليبقى علَما أحمر مرفوعا ، يشير إلى خطر هؤلاء الخائنين الداهم على المجتمع المسلم ونورا كاشفا لمخططاتهم وتآمرهم . وآيات سورة النور تكشف عن خبث أفعالهم .

وكان من أهداف هذه الفعلة الخبيثة ، إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم . والله تعالى توعد مشيعي الفاحشة ، فقال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }[1]. فهم إنما يهدفون إلى "زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة ، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها . بذلك تشيع الفاحشة في النفوس ، لتشيع بعد ذلك في الواقع . من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة"[2].

والخائنون في كل زمان هذا دأبهم . يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ليسقط الناس في الوحل الذي سقطوا فيه وليكونون بعد ذلك في السقوط والخيانة سواء . وإذا كان هذا حالهم في خير القرون ، فكيف بمن بعدهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون "[3].

وفي ختام هذا المطلب ، لا بد من الإشارة إلى أن جميع ما ذكر من أفعال الخائنين وصفاتهم ، يمكن إدراجه تحت باب : علامات سوء الخلق . وهو الذي فعله الإمام الغزالي[4]

---

[1] سورة النور ، آية 19

[2] قطب **في ظلال القرآن** (82/18) .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، حديث : 2508 (938/2) .

[4] هو : محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الغزالي ، ولد بطوس سنة 450 هـ ، صنف الكثير من المصنفات ، منها : البسيط ، الوجيز والخلاصة ، الفتاوى ، تحصين المآخذ ، المستصفى ، تهافت الفلاسفة ، والإحياء ، وغير ذلك ، توفي في جمادى الآخرة سنة 505هـ . انظر : ابن قاضي شهبة ، أبا بكر بن أحمد بن

رحمه الله حيث ربط بين حسن الخلق والإيمان ، وبين سوء الخلق والنفاق . فقال : فإن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق . واستشهد على ذلك بنصوص عديدة مـن القـرآن والسنة ، يتضح فيها الربط بين الخلق الحسن والإيمان ، وبين الخلق السيء والنفاق .[1]

ولا شك أن ما يتصف به أهل الخيانة والنفاق ، هو من الأخلاق السـيئة ، ولـو أجهـدوا أنفسهم في إظهار غير ذلك ، ووضعوا على وجوههم الأصباغ الزائفة ؛ ليخدعوا النـاس عـن حقيقتهم ، فإن الله تعالى كاشف سوءاتهم ، وفاضح أمرهم . فإذا كان الخلُق الحسن ، ينبع مـن معين الإيمان ، فإنه لا شك أن الخلُق السيء ، ينبت في مستنقع الخيانة .

المطلب الثالث : الخيانة من أفعال الكفار وصفاتهم

وصف الله تعالى الكفار بالمكر والخديعة والخيانة والتآمر على الإسلام وأهله . وبـين أن الظلم والإجرام والاعتداء والإفساد ونقض العهود وغير ذلك من أعمالهم . وحذر المؤمنين مـن أن يسلكوا طريقهم ، ويعملوا أعمالهم . إلا أن الفئة الخائنة من بين المسلمين تـأبى إلا اللحـاق بهم ، والانقياد لهم في قبيح أعمالهم . وقد أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال : "لتَتَبِعُن سَنَنَ مَن قَبْلَكم ، شِبرا بشبرٍ ، وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو سَلكوا جُحْرَ ضَبٍ لسـلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهودَ والنصارى ؟ قال : فمن ؟"[2].

ومن هنا فلا بد من بيان ما وصف الله تعالى به الكفار من الخيانة والمكـر والكيـد ؛ لتتضـح خطورة العلاقة بينهم وبين الخائنين من هذه الأمة . وقد سبق بيان وصف الله تعالى للخائنين من أمة الإسلام بالكفر والضلال ، وتمنيهم الكفر لغيرهم ؛ ليكونوا سواءً . ولن تجد فرقاً واحداً بين هؤلاء وهؤلاء فهم في الخيانة والكفر والعداء للمسلمين سواء كما أنهم في المصير والمـآل سواء .

محمد بن عمر ، ت851هـ ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق : الحافظ عبد العليم خـان ، دار عـالم الكتـب بيـروت ، (ط1407/1هـ) (293/1 294) .

[1] انظر ، الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ت 505 هـ ، **إحياء علوم الدين** ، خرج أحاديثه : زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، مكتبة مصر مصر ، (طبعة سنة 1998م) (86/2 - 87) .

[2] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسـرائيل ، حـديث رقـم : 3269 (1274/3) .

وقد جاء في سورة التوبة بعد "بيان طبيعة النفاق والمنافقين ، الربط بينهم وبين الكفار الذين خلوا من قبل ، فأهلكهم الله بعد ما استمتعوا بنصيبهم إلى أجل معلوم ؛ ذلك ليكشف عن الفوارق بين طبيعتهم هذه وطبيعة المؤمنين الصادقين ، الذين يخلصون العقيدة ولا ينافقون "[1] قال تعالى : { أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[2].

ذكر الله تعالى موقف الكفار المعادي للمسلمين ، وبيّن اتصافهم بالظلم والإجرام والاعتداء والإفساد والأذى للمؤمنين بدافع الحقد والحسد والبغضاء خاصة إذا ما كانت لهم قوة وغلبة وكل ما ورد عنهم من هذه الصفات والأفعال ، جاء مقرونا بألفاظ المكر والخيانة والكيد والخداع . فكأن كل ما هو قبيح من الأعمال لا بد لتنفيذه من كيد ومكر في الخفاء ، ولا بد من المخادعة والخيانة في أداء أعمال الإجرام . وكأنه كذلك لا بد لصاحب هذه الأعمال من أن يتصف بالخيانة والمكر والمخادعة ليحقق أهدافه ويصل إلى مبتغاه .

قال تعالى مبينا موقف المشركين من أهل الإيمان : { كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }[3]. والملاحظ أن أسلوبهم هو ذاته أسلوب المنافقين في المخادعة ، { يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ } . " أي يقولون بألسنتهم كلاما حلوا طيبا ، والذي في قلوبهم بخلاف ذلك ، فإنهم لا يضمرون إلا الشر والإيذاء إن قدروا عليه "[4] . وقال تعالى مؤكدا ذلك : { لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ }[5]. فهم بأفعالهم هذه معتدون . وأي اعتداء أعظم

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (240/10) .

[2] سورة التوبة ، آية 70

[3] سورة التوبة ، آية 8

[4] الرازي ، **التفسير الكبير** (184/15) .

[5] سورة التوبة ، آية 10

من إيقاع الأذى غدرا عند الاقتدار رغم المواثيق والعهود ، وبدون مراعـاة لعلاقـات الـرحم والقربى ؟

وفي وصف مكر المجرمين من كبراء أهل الكفر قال تعـالى : { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ }[1]. "يعني كما أن فساق مكة أكابرها ، كذلك جعلنا فساق كل قريـة أكابرهـا : يعنـي رؤسـاءها ومترفيها ، { لِيَمْكُرُواْ فِيهَا} : بصد الناس عن الإيمان ، { وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ } لأن وبال مكرهم يعود عليهم ، (وما يشعرون) : أنهم يمكرون بها "[2].

وهذا المكر الذي اتصف به الكفار هو المكر الذي وصفه الله تعالى بالمكر السيئ ، والذي لا يحيق إلا بأهلـه قـال تعـالى : { ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا }[3]. "ومكر السيئ : هو الخداع الذي يرومونه برسول الله صـلى الله عليه وسلم والكيد له "[4].

وقد جاء في قول الله تعالى في عاقبة مكر الكافرين يوم القيامة ، عندما يُلقَـى بهـم هـم وأتباعهم في نار جهنم ، حين يقع الندم والتلاوم حيث لا ينفع ندم ولا تلاوم : { وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ

[1] سورة الأنعام ، آية 123 - 124

[2] الواحدي ، **الوجيز** (374/1) .

[3] سورة فاطر ، آية 43

[4] الآلوسي ، **روح المعاني** (205/22) .

أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ }[1].

ولأن أفعال الخائنين مثل أفعال الكافرين ، فالمكر والكيد والخيانة ، التي يحسنها المنافقون والخائنون من هذه الأمة ، هي كذلك من أفعال الكافرين . فإن الله تعالى سمى أفعال الكافرين بالمؤمنين كيدا ومكرا فقال تعالى : { وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ }[2] ، وقال سبحانه : { إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا }[3].

حتى السحر الذي لا يتعامل به إلا أهل المكر والكيد والخبث والدسائس وأهل الشر والضغينة ، سماه الله تعالى كيدا . فقال تعالى عن فرعون وسحرته : { فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ }[4] وقال أيضا :{ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ }[5].

وفي ختام هذا المطلب لا بد من التأكيد على أن ملة الكفر واحدة ، فأفعال الخائنين هي نفسها أفعال أهل الكفر ، والعكس صحيح ، وما ورد من الأمثلة القرآنية لأفعال الكافرين في هذا المطلب لهي خير شاهد على التطابق والانسجام بين هذه الأفعال وأفعال أهل الخيانة التي ذُكرت في المطلب السابق . ولا عجب من ذلك فإن من يتسمى باسم الإسلام ، ويُبَيِّت الغدر والخيانة للمسلمين ، ليس منهم بالتأكيد ، بل هو من أعدائهم . فهو ومن يعلن العداء لهذه الأمة من الكفار سواء ، بل هو أشد خطرا ، وأعظم بلية على المسلمين ، ممن يجاهر في عدائها .

---

[1] سورة سبأ ، آية 33

[2] سورة الأنفال ، آية 30

[3] سورة الطارق ، الآيات 15 - 17

[4] سورة طه ، آية 60

[5] سورة طه ، آية 69

المطلب الرابع : التنفير من الخائنين ومن سلوك طريقهم

بعد ما سبق من بيان صفات الخائنين وأفعالهم ، وارتباط هذه الصفات والأفعال بصفات الكفار ، لا شك أن ما سبق يدعو للتنفير والتخويف منهم ومن سلوك طريقهم ، وحتى يشتد النفور من مثل هؤلاء ، بين الله تعالى خطورة أفعالهم ، وحذرنا منهم ، ثم لعنهم واستهزأ بهم ، ثم ضربهم مثلا تقشعر منه الجلود ، وذلك من خلال أفعال أهل الكيد والمكر والإجرام التي تحلّى بها من سبق ممن كان قبلنا ضد أنبيائهم ، وضد المؤمنين ، وفي ذكرهم وبيان خطورة وعاقبة أفعالهم عبرة لنا ولمن بعدنا إلى يوم القيامة ، وكشف لحقيقة وعاقبة أهل المكر والكيد والخيانة في زماننا ، وتفصيل ذلك في نقاطٍ ثلاثة :

أولاً : بيان خطورة الخيانة

وصف الله تعالى أثر الكيد والمكر العظيم ، والذي هو من أفعال أهل الخيانة ، فقال تعالى : { وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ }[1].

" أي ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل ، بالحق وبمن جاء به ، من عظمه ، لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها "[2].

وقال تعالى عن عظم المكر : { وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا }[3]. " أي مكرا كبيرا بليغا في معاندة الحق "[4].

ووصف الله تعالى كيد النسوة في قصة خيانة امرأة العزيز فقال : { إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ }[5].

" وهذا الخطاب عام للنساء مطلقا ، وكونه لامرأة العزيز ولجواريها كما قيل ليس بالقوي وتعميم الخطاب للتنبيه على أن الكيد خلق لهن عريق . وفي بيت أبي تمام التالي تأكيد لهذا المعنى :

---

[1] سورة إبراهيم ، آية 46

[2] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص428) . وانظر : الكلبي ، **التسهيل** (142/2) .

[3] سورة نوح ، آية 22

[4] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص889) .

[5] سورة يوسف ، آية 28

فلا تحسباً هندا لها الغدر وحدها   سجية نفس كل غانية هند[1] "[2].

" فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب ، واشد تأثيرا في النفس "[3].

" وعن بعض العلماء : إني أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان ، فإنه تعالى يقول : { إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا }[4] ، وقال للنساء : { إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٌ }[5] ؛ ولأن الشيطان يوسوس مسارقة ، وهن يواجهن به الرجال "[6].

ولا شك أن الخيانة بما تعنيه من غدر ، ونقض للعهود ، وتدبير في الخفاء ، وإتيان من المأمن وطعن من الخلف ، أعظم بلية وأشد خطرا وأكبر تأثيرا من المواجهة والإعلان بالشر والأذى ولذلك كشف الله تعالى لنا هذه الفئة وبين لنا صفاتها وأفعالها حتى لا يغتر أحد بها ، ولا يقع أحد في شراكها . قال تعالى : { وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ }[7]. "يقول الله تعالى ذكره : وليعلمن الله أولياء الله وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم ، وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار "[8].

فالخائن مكشوف الستر بائن الفعل ظاهر الصفة لا يخفى ولو تَخَفّى فهم وإن حرصوا على إخفاء حقيقة حالهم للناس ، فلا بد أن يُظهر الله تعالى ما في نفوسهم على أعمالهم وجوارحهم قال تعالى : { يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي

---

[1] البيت لأبي تمام . انظر : أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، ت 231هـ ، **ديوان أبي تمام** (لا دار نشر ولا طبعة ولا سنة نشر) (ص351) .

[2] انظر : الآلوسي ، **روح المعاني** (224/12) .

[3] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (284/3) .

[4] سورة النساء ، آية 76

[5] سورة يوسف ، آية 28

[6] أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** (270/4) .

[7] سورة العنكبوت ، آية 11

[8] الطبري ، **جامع البيان** (133/20) .

قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ }[1]. إن الله " مظهر ما كنتم تحذرونه : أي تحذرون إظهاره من نفاقكم . وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله ، حتى قال بعضهم : وددتُ أني قُدِّمْتُ فجُلِدْتُ مائة ، وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا "[2].

وهو ما ورد تأكيده في قوله تعالى : { أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ }[3]. فالله تعالى مظهر وفاضح أحقادهم التي تغلي في قلوبهم على المؤمنين ، ومطلع نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليها [4]. وقد حكم الله تعالى عليهم بالفضيحة والخزي في الدنيا والآخرة . ف "يا سبحان الله ، إن النفاق يأبى إلا أن يكشف نفسه ، ويأبى إلا أن يناقض بديهيات المنطق الفطري ، وإلا ما كان نفاقا "[5].

ثانياً : حكم الله تعالى في الخائنين

جاء في النقطة السابقة أن الله تعالى فضح أمر هذه الفئة من الخائنين ؛ لخطورة أفعالهم وأثرهم في الأمة . وهو الأمر الذي يبعد الناس عن سلوك مسلكهم ، وانتهاج نهجهم الخبيث ، وينفر منهم . وقد أبان لنا الله سبحانه وتعالى حكمه عليهم بالخزي والعار والفضيحة في الدنيا ، وبيّن عقابهم الأليم يوم القيامة .

ومن أجل التنفير منهم ومن سلوكهم ، بين لنا الله كذلك أن كيدهم مردود في نحورهم وأن تدميرهم في تدبيرهم قال تعالى : { إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ }[6].

" أي هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ، ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة "[7].

---

[1] سورة التوبة ، آية 64

[2] النسفي ، **مدارك التنزيل** (96/2) . وانظر : الزمخشري **الكشاف** (272/2) .

[3] سورة محمد ، آية 29

[4] انظر : الزمخشري ، **الكشاف** (329/4) . السمرقندي ، **بحر العلوم** (289/3) .

[5] قطب **في ظلال القرآن** (422/5) .

[6] سورة النساء ، آية 142

[7] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (569/1) .

ولمزيدٍ من التنفير منهم ، **لعنهم الله تعالى** ، فقال : { مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلاً }[1]. أي " ملعونين مطرودين من باب الله وبابك . وإذا خرجوا لا ينفكون عن المذلة ولا يجدون ملجأ ، بل أينما يكونون يُطلبون ويُؤخذون ويُقتلون "[2].

كما أن الله تعالى **استهزأ بهم** ؛ لينفر منهم فقال تعالى : { ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ }[3]. فالله تعالى " سمى جزاء الاستهزاء باسمه . كما سمي جزاء السيئة سيئة ؛ إما لمقابلة اللفظ باللفظ ، أو لكونه مماثلا له في القدر ، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم ، فيكون كالمستَهْزَئ بهم ، أو يُنْزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء ، أو الغرض منه ، أو يعاملهم معاملة المستهزئ ، أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم ، واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان ، وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابا إلى الجنة ، فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب ، وذلك قوله تعالى: { فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ }[4] "[5].

ثم إن الله تعالى أمرنا أن نحذرهم وأن نتخذهم أعداءً ، **وسماهم الأعداء** ؛ للتنفير منهم والحذر من ألاعيبهم. فهم لا يريدون إلا الشر بالمؤمنين. قال تعالى: { هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ }[6]. " أي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها ، فإن أعدى الأعادي ، العدو المكاشر[7]... (فَٱحۡذَرۡهُمۡ) ؛ لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء "[8].

---

[1] سورة الأحزاب ، آية 61

[2] الرازي ، **التفسير الكبير** (199/25) .

[3] سورة البقرة ، آية 15

[4] سورة المطففين ، آية 34

[5] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (178/1 - 179) .

[6] سورة المنافقون ، آية 4

[7] الكشر : بدو الأسنان عند التبسم . ابن منظور ، **لسان العرب** (142/5) .

[8] أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** (252/8) .

هذا هو حكم الله تعالى فيهم . فهل بعد هذا البيان يمكن أن يسلك طريقهم أحد ؟ إلا من ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فلم يعد يهتدي السبيل ، فهو مكب علـــى وجهـــه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

ثالثاً : ضرب المثل بالخائنين

ومن أجل المبالغة في التنفير من الخونة ومن سلوك مسالكهم ، ضـــربهم الله تعـــالى مـــثلا فقــــال : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ }[1].

لما ذكر الله تعالى حقيقة حال المنافقين ، " عقبها بضرب المثل ؛ زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع في القلب ، وأقمع للخصم الألد ؛ لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ، ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء "[2].

والمعنى المراد بالآية : ضَرَبُ مثلٍ للمنافقين وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان ، الذي تثبـــت لهم به أحكام المسلمين : من المناكح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بمثابة من أوقد نارا في ليلة مظلمة ، فاستضاء بها ورأى ما ينبغي أن يتقيه وأمن منـــه ، فـــإذا طفئت عنه أو ذهبت ، وصل إليه الأذى وبقي متحيرا ، فكذلك المنافقون لما آمنـــوا ، اغتـــروا بكلمة الإسلام ، ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم .

فإن كان الله تعالى قد كتب لمن تستر منهم بالإسلام ، النجاة في الدنيا ، فلم يقتلوا ، ولم تســـبى نساؤهم ، ولم تسلب منهم أموالهم ؛ وذلك بسبب ما أظهروه خداعا وكذبا من الإيمان ، فإن ذلك لا ينفعهم يوم القيامة ، يوم تبلى السرائر ، وتكشف الستائر . وسيعاينون يومئذ من أمر الله تعالى ، ما يوقنون به أنهم كانوا يخدعون أنفسهم [3].

وفي تأويل قوله تعالى : {صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} المذكور تعقيبا على المثل الـــذي ضربه الله تعالى عن المنافقين ، يقول الطبري رحمه الله : " وهذا خبر من الله جل ثنـــاؤه عـــن المنافقين إنهم باشترائهم الضلالة بالهدى ، لم يكونوا للهدى والحق مهتدين ، بل صم عنهما فلا يسمعونهما ؛ لغلبة خذلان الله عليهم ، بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما ، والبُكم : الخرس ، وهو جمع أبكم ، عمي عن أن يبصروهما فيعقلوهما ؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فـــلا

---

[1] سورة البقرة ، آية 17 - 18

[2] البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (186/1) .

[3] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (144/1) .

يهتدون ... قال أبو جعفر : وقوله : { فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } : إخبار من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى ، وصممهم عن سماع الخير والحق ، وبكمهم عن القيل بهما ، وعماهم عن إبصارهما ، أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ، ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم . فآيس المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشدا ، ويقولوا حقا ، أو يسمعوا داعيا إلى الهدى ، أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم "[1].

وحواسهم ليست معطلة على وجه الحقيقة ، بل هي قد تعطلت عن الحق والهدى . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : " { صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ } : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه "[2]. فهم كالدواب ، بل أضل منها ، كما قال الله تعالى : { أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَ ۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ ۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا }[3].

وسيأتي بيان مزيدٍ من التنفير من هؤلاء عند بيان عاقبتهم ومآلهم بإذن الله تعالى .

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (1/145 - 147) .

[2] الرازي **تفسير القرآن العظيم** (1/52) .

[3] سورة الفرقان ، آية 44

المبحث الثاني
عاقبة الخيانة

سيتم تقسيم هذا المبحث إلى خمسة مطالب ، وذلك من خلال ما ورد في آيات القرآن الكريم من مصير أهل الكيد والمكر في كل زمان ، ليكون لنا في بيان أفعالهم ، ومآلهم العبرة والعظة فالمكر والخديعة والكيد من صفات وأفعال الخائنين في كل عصر وحين ، ولذلك ستتم الإفادة من الآيات التي ذكرت كيد الكائدين ومكر الماكرين فيمن مضى قبلنا ، وهذه المطالب هي : (حرمان الخائنين من هداية الله تعالى ، إبطال كيد الخائنين ورده في نحورهم ، إلباس الخائنين لباس الذل والصغار ، تدمير الخائنين وإهلاكهم في الدنيا مصير الخائنين يوم القيامة) .

المطلب الأول : حرمان الخائنين من هداية الله تعالى

يُحرم الخائنون في الدنيا من توفيق الله تعالى ، ومن هدايته . يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام ، تعقيبا منه على براءته من الخيانة مع امرأة العزيز : { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ }[1]. أي " لا يرشد من خان أمانته ، أي إنه يُفْتَضَح في العاقبة بحرمان الهداية من الله عز وجل "[2]. وفي كلام يوسف عليه السلام تأكيد لأمانته ، فهو لو كان خائنا لما هدى الله تعالى أمره ، ولما أحسن عاقبته ، ولما خلصه من تلك الورطة ، ولما برأه مما نسب إليه من الخيانة ، فالله لا يهدي كيد الخائنين [3].

فالله لا يوفق ولا يسدد عمل الخائنين ، بل إن الله تعالى مخزيهم وفاضح أمرهم . فهم الذين لم يؤمنوا بآيات الله حق الإيمان ، وهم الذي صدوا عن سبيل الله ، وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فكيف يهديهم الله ؟ قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[4]. " يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره ، وتغافل عما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله ، فهذا

---

1 سورة يوسف ، آية 52

2 الواحدي ، **الوجيز** (550/1) .

3 انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (123/18) . أبا السعود ، **إرشاد العقل السليم** (285/4) .

4 سورة النحل ، آية 104

الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا ، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة "[1]. والخائنون لا شك من هذا الصنف ويتصفون بهذه الصفات .

ومن اختار الضلال ، فأنى له الهداية من الله ؟ قال تعالى : { مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ }[2]. " أي يتحيرون ويترددون فلا يخرجون من طغيانهم ولا يهتدون إلى حق "[3]. وقال تعالى : { كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ }[4]. "فمن ارتد عن دين الإسلام لم يكن إلا ضالا ، لا يحصل له الهدى إلى أي دين .. والمقصود : أن هؤلاء لا يهديهم الله ولا يغفر لهم إلا أن يتوبوا "[5].

وعليه فإن الله تعالى لا يعطي هدايته وتوفيقه للخائنين بل هم محرومون هداية الله تعالى وتوفيقه في الدنيا والآخرة ؛ وذلك لما اقترفته أيديهم من أفاعيل ، فهم تأبى قلوبهم الإيمان ، وترفض جوارحهم الانقياد لشرع الله ، وهم يعملون جاهدين للصد عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا ، ويمكرون بالمؤمنين ليل نهار ، ويفسدون في الأرض ، وهم ضالون مضلون ، وهل من يتصف بهذه الصفات ويعمل هذه الأعمال ، يستحق من الله تعالى الهداية والتوفيق ؟

المطلب الثاني : إبطال كيد الخائنين ورده في نحورهم

إن سنة الله تعالى في مكر الماكرين وخيانة الخائنين أن يفضحهم ويبطل كيدهم ومكرهم ، ويرده إلى نحورهم ، ويجعل تدميرهم في تدبيرهم . وهذه السنة من الله تعالى لا تتخلف أبدا . يقول تعالى : { وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ }[6]. وخص الله تعالى الأكابر هنا ، وهم

---

[1] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (588/2) .

[2] سورة الأعراف ، آية 186

[3] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص310) . وانظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (334/7) .

[4] سورة آل عمران ، آية 86

[5] ابن تيمية **الفتاوى** (28/16) .

[6] سورة الأنعام ، آية 123

القادة والزعماء ؛ لأنهم أقدر على الفساد والمكر والحيلة ، والناس تبع لهم . ومعنى {وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ} أي : أن وبال مكرهم راجع إليهم ، وهو من الله تعالى مجازاتهم على مكرهم . { وَمَا يَشۡعُرُونَ} : أي وما يدرون لفرط جهلهم أن وبال مكرهم عائد عليهم ، فهم في غيهم وعتوهم يتمادون متناسين ما قد أعده الله لهم من شديد عذابه[1].

فهذه سنة الله تعالى التي لا تتخلف ، ليس فقط بشأن المجرمين الماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب ، بل في الخائنين الماكرين في كل زمان ومكان . فالله تعالى يخبر عمن خان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : " كما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله ، وإلى مخالفتك وعداوتك ، كذلك كانت الرسل من قبلك يُبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة ، كما قال تعالى : { وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ }[2] الآية ، وقال تعالى : { وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ }[3] الآية ، ... والمراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال . كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح عليه السلام : { وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا }[4] "[5]. فكل من خان الرسل نال جزاء فعلته ، ورد الله كيده في نحره .

وقد ضرب الله تعالى أمثلة في القرآن الكريم لإبطال كيد المتآمرين ورده في نحورهم ، ومن ذلك قصة أبرهة الأشرم ، وكيده بالكعبة المشرفة . قال تعالى : { أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ }[6]. فقد سعوا ومكروا من أجل

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (24/8) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (79/7) .

[2] سورة الفرقان ، آية 31

[3] سورة الإسراء ، آية 16

[4] سورة نوح ، آية 22

[5] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (173/2) .

[6] سورة الفيل ، الآيات 1 - 5

تخريب الكعبة فجعل الله تعالى كيدهم في تضليل عما أرادوا ، فضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة وإلى ما أرادوه بكيدهم. والكيد : هو إرادة المضرة بالغير . فهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ، ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم فلم يفلحوا ، ورد الله تعالى كيدهم في نحورهم ، وأهلكهم[1].

وقال تعالى في إبطال كيد الماكرين أيضا : { وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ }[2]. هذه السيئات "يريد صاحبها الرفعة بها ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه ، ولا يزداد إلا هوانا ونزولا ؛ ولهذا قال : {وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ} : يهانون فيه غاية الإهانة ، {وَمَكۡرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ} : أي يهلك ويضمحل ولا يفيدهم شيئا ؛ لأنه مكر بالباطل لأجل الباطل"[3].

سنة الله تعالى تقتضي أن يحيق المكر السيئ بأهله قال تعالى : { ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا }[4]. يعني عقوبة المكر والتآمر والخيانة ترجع إليهم في الدنيا والآخرة[5]. والتعبير ب (يحيق) فيه دلالة أبلغ من (يلحق) ؛ وذلك لما فيه من معنى الإحاطة ، فعاقبة المكر تحيط وتلتف حول صاحبها وتطوقه ، وفي ذلك زيادة تحذير من المكر السيئ[6].

"وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الأقسام ، أنهم كذَبة في ذلك ومزورون ، فاستبان خزيهم وظهرت فضيحتهم وتبين قصدهم السيء ، فعاد مكرهم في نحورهم ورد الله كيدهم في صدورهم ، فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب الذي هو سنة الله في الأولين

---

[1] انظر : البغوي ، **معالم التنزيل** (528/4) . الشوكاني ، **فتح القدير** (495/5) .

[2] سورة فاطر ، آية 10

[3] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص685) .

[4] سورة فاطر ، آية 43

[5] انظر : السمرقندي ، **بحر العلوم** (107/3) .

[6] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (31/26) .

التي لا تبدل ولا تغير أن كل من سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد أن تحل به نقمته وتسلب عنه نعمته ، فليرتقب هؤلاء ما فعل بأولئك "[1].

المطلب الثالث : إلباس الخائنين لباس الذل والصغار

إن من عاقبة المكر والخيانة ، أن يصيب الماكرين الخائنين الذل والصغار في الدنيا قبل الآخرة ، مصداقا لقوله تعالى : { سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ }[2]. فجزاء مكرهم " إهانة وذل . كما تكبروا على الحق أذلهم الله "[3]. وقدم ذكر الصغار والذل ، على ذكر العذاب والضرر ؛ وذلك لأن القوم أرادوا بمكرهم وخيانتهم وإجرامهم وتمردهم على النبي عليه السلام ، العزة والكرامة ، فقابلهم الله تعالى بضد مطلوبهم ، فكان عقابهم الأول إلباسهم الذل والصغار ، فأراد الله تعالى لهم المذلة من حيث أرادوا لأنفسهم العزة [4].

والخائن المنافق صاحب الكيد والمكر والخديعة لا شك يرضى بالذل والهوان ، بل هو يعيش فيه فعلا ، وتعودت نفسه على قبوله ، فلم يعد يذوق له طعما مرا وعلقما ، بل قد استساغته نفسُه وتمرنت عليه . وأي صغار هو : إنه المهانة والمذلة من عند الله تعالى . فمعنى (صغار عند الله) أي : " سيصيبهم صغار من عند الله "[5]. وفي الآية وعيد شديد من الله وتهديد أكيد لمن خان الأمانة ومكر بعباد الله المؤمنين .

وقد سبق بيان الحالة التي يعيشها الخائنون والمنافقون في المجتمع المسلم من الاضطراب والقلق والخوف والحذر:(يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ [6] يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ [7] يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ

---

[1] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص691) .
[2] سورة الأنعام ، آية 124
[3] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص272) .
[4] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (144/13) .
[5] الطبري ، **جامع البيان** (26/8) .
[6] سورة التوبة ، آية 64
[7] سورة التوبة ، آية 94

عَلَيْهِمْ [1]) . وهذه الحالة هي نتاج طبيعي لأعمالهم الخبيثة ، كيف لا وكل عمل من أعمالهم هو خبيث بامتياز حتى ما كان ظاهره خير ؛ لأن خلف ذلك الخير الرياء والكذب والاحتيال .

وإضافة إلى ذلك الذل والصغار أراد الله تعالى فضح شأنهم ، وبيان أمرهم ورد كيدهم في نحورهم ، وتمكين المسلمين من رقابهم ؛ وذلك ليبقى الذل والصغار ملازماً لهم . هذا هو مصير الخيانة في الدنيا . ومن الأمثلة على تمكين المسلمين من رقاب أعدائهم ، ما حدث في أسرى بدر قال تعالى : { وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[2].

في الآية تهديد ووعيد لكل الخائنين في كل زمان ومكان ، فإن أعادوا الخيانة فسيمكن الله المؤمنين منهم ، ويحل بهم ما حل بمن قبلهم [3]. " فليذكروا عاقبة خيانتهم الأولى التي أوقعتهم في الأسر ، ومكنت منهم رسول الله وأولياءه "[4]. فمن عاد إلى الخيانة ، أسقاه الله تعالى كأس المذلة والصغار ، في الدنيا بتمكين المسلمين منه ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم .
فهذا بعض الذل والصغار ، الذي يصيب هؤلاء في الدنيا ذل الحذر والخوف والفضيحة والأسر . ولهم في الآخرة ذلٌ أبديٌ يلازمهم ؛ بخيانتهم التي كانوا عليها في الدنيا .

المطلب الرابع : تدمير الخائنين وإهلاكهم في الدنيا

وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تبين مصير الخائنين في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فبالتدمير والإهلاك والخسف والعذاب والتمكين منهم ، وفضح أمرهم ، والخسران المبين . كل ذلك جعله الله تعالى لهم جزاء مكرهم وخيانتهم ما استؤمنوا عليه . وقد تقدم الحديث في آخر المطلب السابق ، كيف أن الله تعالى ألبسهم لباس الذل والمهانة ، ومن ذلك تمكين

---

[1] سورة المنافقون ، آية 4

[2] سورة الأنفال ، آية 71

[3] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (123/3) . البغوي ، **معالم التنزيل** (263/2) .

[4] قطب **في ظلال القرآن** (65/10) .

المسلمين من رقابهم بالأسر ، بقوله تعالى : { وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[1].

إذن فالله سبحانه وتعالى قد سن فيهم الخزي والعذاب والإهلاك في هذه الدنيا طال الزمن أو قصر . طال أذاهم وكيدهم ومكرهم أو قصر فهذا هو المصير المحتوم المكتوب عليهم في الدنيا قبل الآخرة . قال تعالى : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ }[2]. وفي تأويل قوله تعالى : (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) قال أهل التأويل جملةً من الأقوال منها : بالأمراض في الدنيا ، وعذاب الآخرة ؛ فمرض المؤمن كفارة ، ومرض الكافر عقوبة . وقيل : العذاب الأول الفضيحة ، بإطلاع النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ، والثاني عذاب القبر وقيل : الأول بالمصائب في أموالهم وأولادهم والثاني عذاب القبر . وقيل : الجوع والقتل وقيل : السباء والقتل . وقيل : الأول أخذ الزكاة من أموالهم وإجراء الحدود عليهم والثاني عذاب القبر ، وقيل : غير ذلك[3]. وقيل في معنى العذاب المقيم الوارد في قوله تعالى : { وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }[4] ، إنه : "ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن ؛ خوفا من المسلمين ، وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطُّلِعَ على أسرارهم "[5].

وبصرف النظر عن نوع العذاب المراد ، فهو عذاب ملازم لهم ، قدَّره الله تعالى عليهم ، وليس بمنزوع عنهم إلا أن يتوبوا ، ويرجعوا إلى الله وشرعه وأحكامه ، ويكفوا عن خيانتهم ومكرهم وكيدهم بالإسلام وأهله .

---

[1] سورة الأنفال ، آية 71

[2] سورة التوبة ، آية 101

[3] انظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** (1870/6 1871) . الطبري ، **جامع البيان** (10/11 12) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (240/8 - 241) .

[4] سورة التوبة ، آية 68

[5] النسفي ، **مدارك التنزيل** (97/2 - 98) .

وقد ضرب الله تعالى المثل في عاقبة أهل المكر في الدنيا ؛ ليتعظ بها أهل الخيانة والغدر ، فقال : { وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[1]. أورد القرطبي في تأويل هذه الآيات أنها في التسعة رهط المفسدين في مدينة صالح ، وهم من ورد ذكرهم في الآيات السابقة ، قال : " مكرهم ما روي أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة ، وقد أخبرهم صالح بمجيء العذاب ، اتفقوا وتحالفوا أن يأتوا دار صالح ليلا ويقتلوه وأهله المختصين به "[2]. وفي كيفية تدمير الله لهم جزاء مكرهم بنبي الله صالح عليه السلام أقوال ، فقيل : قتلتهم الملائكة رضخا بالحجارة ، فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها . وقيل : سلط الله عليهم صخرة فقتلهم . وقيل : نزلوا على جرف من الأرض فانهار بهم فأهلكهم الله تحته . وقيل : اختفوا في غار قريب من دار صالح فانحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا . هذا ما كان من مكرهم ، وكان مكر الله بهم بمجازاتهم على ذلك [3].

ومكر الله بهم معناه : " أخذه من أخذه منهم على غرة ، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة "[4].
وفي مثل هذه القصة عبرة وعظة لكل الخائنين إلى يوم القيامة ، فالله تعالى يخاطب نبيه عليه السلام ، من خلال هذه الآيات ، يقول : " إن في فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة "[5]. وهي عظة وعبرة مستمرة أبد الدهر .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز مصير الخائنين في الدنيا من الإهلاك والتدمير ؛ من أجل الاعتبار والاتعاظ بمصائرهم . قال تعالى في إهلاك فرعون وآله : { فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ

---

[1] سورة النمل ، الآيات 50 - 52

[2] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (217/13) . وانظر : الطبري ، **جامع البيان** (173/19) .

[3] انظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** ، (2902/9) . الطبري ، **جامع البيان** (174/19) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (217/13) .

[4] الطبري ، **جامع البيان** (173/19) .

[5] الطبري ، **جامع البيان** (174/19 - 175) .

مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ }[1]. فوقاه : الكلام هنا عن القبطي المـؤمن ، الذي نجاه الله مع بني إسرائيل ، فالهاء على هذا لمؤمن آل فرعون [2] وقاه الله تعالى مكـرهم ، وهمهم إلحاق الأذى والعذاب به [3]. ثم كانت عاقبة الماكرين سوء العذاب ، فأغرقهم الله تعـالى وجعلهم عبرة ، بل إنه تعالى نجّى فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية على مصـائر الغـادرين الماكرين . فخسر وخاب فرعون وأهل الكيد أمثاله .

قال تعالى في وصف كيده وعاقبة هذا الكيـد : { وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ }[4]. أي في خسران وضلال وهلاك[5]. وهو ما وصف الله تعالى به كيد الكافرين أمثال فرعون ، وكـل الكائدين { وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ }[6] " أي يذهب كيدهم باطلا ، ويحيق بهم مـا يريده الله عز وجل "[7].

وقد أخبرنا الله تعالى عن إبطال كيد الكافرين كما حدث في بدر . قـال تعـالى : { ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ }[8].

أي : مضعف كيدهم ومكرهم [9]. فعاقبة مكرهم تعود دائما عليهم ، قال تعـالى : { أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ }[10]. فهم الذين يحيق بهم ما كادوا ، ويعود عليهم وبـال كيدهم وتآمرهم [11].

---

[1] سورة غافر ، آية 45

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (318/15) . الصنعاني ، **تفسير القرآن** (182/3) .

[3] انظر : أبا السعود ، **إرشاد العقل السليم** (278/7) .

[4] سورة غافر ، آية 37

[5] انظر : مجاهد ، **تفسير مجاهد** (565/2) .

[6] سورة غافر ، آية 25

[7] البغوي ، **معالم التنزيل** (95/4) .

[8] سورة الأنفال ، آية 18

[9] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (206/9) .

[10] سورة الطور ، آية 42

[11] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (35/27) . السمعاني **تفسير القرآن العزيـز** (280/5) . البيضـاوي ، **أنـوار التنزيل** (250/5) .

وقد ذكر جل شأنه عن إهلاك السابقين بسبب مكرهم ، فقال تعالى : { قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }[1]. و " هذا تمثيل ، يعني أنهم سوُّوا منصوبات[2] ليمكروا بها رسل الله ، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات ، كحال قوم بنوا بنيانا وعمَّدوه بالأساطين[3] بأن ضُعضِعت ، فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا . والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان ، حين بنى الصرح ببابل ، طوله خمسة آلاف ذراع ، وقيل : فرسخان[4] . فأهَّبَّ الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا "[5].

فالإهلاك والتدمير والخسف والأخذ والعذاب ، هي سنة الله في الماكرين على مدار التاريخ في الأولين وفي الآخرين . قال تعالى : { أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[6]. والذين مكروا السيئات ، هم الذين احتالوا لهلاك الأنبياء ، أو الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدَّ أصحابه عن الإيمان ويخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون ، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط ، أو يأخذهم وهم في مسايرهم ومتاجرهم ، أو يأتيهم العذاب وهم متخوفون مترقبون وقوعه [7].

---

[1] سورة النحل ، آية 26

[2] النصب : إقامة الشيء ورفعه ، والمنصوبات : ما يقام من البناء . انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (760/1) . مصطفى ، إبراهيم ، **المعجم الوسيط** (925/2) .

[3] الأساطين : السارية ، والغالب عليها أنها تكون من بناء ، بخلاف العمود فإنه من حجر واحد . الزبيدي ، **تاج العروس** (186/35) .

[4] الفرسخ : ثلاثة أميال ، أو ستة . ابن منظور ، **لسان العرب** (44/3) .

[5] النسفي **مدارك التنزيل** (254/2) .

[6] سورة النحل ، الآيات 45 - 47

[7] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (400/3) .

فكيف يأمن بعد هذا خائن وماكر على نفسه من مكر الله وعذابه وتدميره ؟ قال تعالى : { أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ }[1]. والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ وفيه إنكار عليهم ؛ لما هم عليه من أمان ما لا يؤمن من مكر الله بهم وعقوبته لهم ، ويبين لنا حال من أمن مكر الله تعالى بأنهم الخاسرون ، المفرطون في الخسران ؛ لوقوعهم في وعيد الله تعالى ، ومكر الله هنا هو : استدراجه بالنعمة والصحة ، وقيل : هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون ، والأَولى حمله على ما هو أعم من ذلك[2].

فليحذر الذين يسيرون في طريق الخيانة ، فإن مكر الله بهم ، بمجازاتهم على ما يمكرون ويخونون قادم وقريب لا محالة فهو يأتي من حيث لا يشعرون ولا يترقبون .

المطلب الخامس : مصير الخائنين يوم القيامة

بين الله تعالى في كتابه العزيز عاقبة أهل الخيانة والمكر في الآخرة من خلال عرض مشاهد مؤثرة تقشعر منها الجلود والأبدان ، وتتعظ بها القلوب التي فيها بقية من إيمان . وسيَعرِض هذا المطلب لثلاثة من تلك المشاهد المؤلمة .

أولاً : مشهد العذاب الأليم في جهنم

جاء وصف العذاب الأليم المهين المقيم ، الذي يلقاه أهل الخيانة في الآخرة بنصوص قرآنية كثيرة . قال تعالى : { وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ }[3]. أي "لهم عذاب بالغ الغاية في الشدة"[4]. في ذلك اليوم الرهيب لا يفيدهم كيدهم ولا يفلحون بل سيكون كيدهم وما فعلوه وبالا عليهم ، فليرتقبوا ذلك اليوم . قال تعالى : { فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِى

---

[1] سورة الأعراف ، آية 99

[2] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (397/7) . الشوكاني ، **فتح القدير** (228/2) .

[3] سورة فاطر ، آية 10

[4] الشوكاني ، **فتح القدير** (341/4) .

فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ }[1]. ويومهم المقصود هو يوم القيامة الذي أعد الله لهم فيه من العذاب ما لا يقادر قدره ولا يوصف أمره . في ذلــك اليوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ، وإن كان في الدنيا قد ينفعهم كيدهم ونفاقهم الذي يستترون بـــه زمنا قليلا ولكن يوم القيامة يضمحل كيدهم وتبطل مساعيهم ولا ينتصرون من عــذاب الله تعالى[2].

فلا نصير لهم يومئذ كما لا شفيع يشفع لهم [3]. ومن ذا الذي ينصرهم من الله ، وقد أعد لهم مـــن أصناف العذاب ما لا راد له

قال تعالى متهكما على أهل الخيانة : { بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }[4]. فهـــو الوعد الحق من الله تعالى لهم بالعذاب الأليم ، "والبشارة : كل خبر يتغير به بشـــرة الوجـــه سارا كان أو غير سار "[5]. "ووضع فيه بشِّر موضع أنذِر ؛ تهكما بهم ففي الكـــلام اســـتعارة تهكمية "[6].

ثم ترى أين موقع هؤلاء في نار جهنم ؟ وأي نوع من العذاب أعده الله لهم ؟ قال تعالى : { إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا }[7]. فموقعهم في جهـــنم ، في أسفلها ، حيث العذاب الأشد ، فجهنم دركات ، أو طبقات ، وهم قد تبوءوا الطبق الأسفل من أطباق جهنم . وقد نقل الإمام الطبري في تأويل الدرك الأسفل ، ومنزلة هؤلاء فيه ، أنهم فـــي توابيت من نار تطبق عليهم [8]. وفي ذلك دليل على أن الخائنين شر من الكفار وأخبث ، فهم قـــد

---

[1] سورة الطور ، آية 45 - 46

[2] انظر : السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص818) .

[3] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (235/28) .

[4] سورة النساء ، آية 138

[5] البغوي ، **معالم التنزيل** (490/1) .

[6] الآلوسي ، **روح المعاني** (171/5) .

[7] سورة النساء ، آية 145

[8] انظر : الرازي ، **تفسير القرآن العظيم** ، (1098/4) . الطبري ، **جامع البيان** ، (338/5) . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ، ت911هـــ ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة ســـنة 1993م) (721/2 - 722) .

ضمُّوا إلى الكفر استهزاءً بالإسلام ، وخداعا للمسلمين [1]. ويُذكر أن " النار دركات سبع ، فالمنافق في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية ؛ لغلظ كفره وكثرة غوائله[2] . وأعلى الدركات جهنم ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . وقد تسمى جميعها باسم الطبقة العليا أعاذنا الله من عذابها "[3].

فهم في النار خالدين أذلاء ملعونين في عذاب مقيم قال تعالى : { وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ }[4]. وقوله تعالى عن جهنم : {هِيَ حَسۡبُهُمۡ} : " أي كافيتهم وكافية جرمهم وكفرهم نكالا وجزاءً ، فلو تمنى لهم أحد عذابا ، لكان ذلك عنده حسبا لهم "[5]. وهذه المنزلة لهم في جهنم على قدر أفعالهم الخبيثة وكيدهم بالمسلمين .

ويقف الله تعالى منهم يومئذ موقف الخصم أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " قال الله : ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حُرًّا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يُعْطِ أجره "[6]. وكل الأفعال المذكورة في الحديث من الخيانة والغدر .

خلاصة هذا المشهد بيان أن مصير الخائنين يوم القيامة عذاب الله تعالى لا يستثنى منهم أحد ، ذكرا كان أوأنثى . والمقصود بهذه الخيانة التي توصل صاحبها إلى هذا المصير ، الخيانة العظمى ، مثل خيانة الدين وخيانة الأمة ، قال تعالى في المنافقين نفاق العقيدة والدين : { وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ }[7]. وقال تعالى:{ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ

---

[1] انظر : الكلبي ، **التسهيل** (162/1) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (271/2) .

[2] الغوائل : الدواهي ، والغِيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال . ابن منظور ، **لسان العرب** (512/11) .

[3] الشوكاني ، **فتح القدير** (529/1) . وانظر : الآلوسي ، **روح المعاني** (177/5) .

[4] سورة التوبة ، آية 68

[5] ابن عطية ، **المحرر الوجيز** (56/3) .

[6] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : البيوع ، باب : إثم من باع حرا ، حديث : 2114 (776/2) .

[7] سورة الفتح ، آية 6

وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ}[1]. نقل السمعاني قول ابن قتيبة في تأويل الآية ، قال : " معناه ليُظْهر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويعذبهم على الخيانة في الأمانات "[2]. وسيلقون في جهنم ألوانا من العذاب ، قد أعدها الله تعالى خصِّيصا لهم ، وعذابهم في جهنم أشد من عذاب الكفار المعادين ، والعياذ بالله .

ثانياً : مشهد الفصل بين الخائنين والمؤمنين

قال تعالى : { يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ }[3].

هذا المشهد يعبر عن تلك الحال ، وذلك المآل ، للخائنين يوم القيامة ، حيث يحاولون الاقتباس من نور المؤمنين ، فيحرمون من ذلك ، ويفصل بينهم وبين المؤمنين بسور . يقول سيد قطب رحمه الله في وصف حال الخائنين من خلال هذا المشهد القرآني : فهم " في حيرة وضلال ، وفي مهانة وإهمال . وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ... ولكن أنى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام ؟ إن صوتا مجهولا يناديهم : (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) . ويبدو أنه صوتٌ للتهكم ، والتذكير بما كان منهم في الدنيا ، من نفاق ودس في الظلام . ارجعوا وراءكم إلى الدنيا . إلى ما كنتم تعملون . ارجعوا فالنور يلتمس من هناك . من العمل في الدنيا . ارجعوا فليس اليوم يُلْتَمس النور "[4] .

---

[1] سورة الأحزاب ، آية 73

[2] السمعاني ، **تفسير القرآن** (314/4) .

[3] سورة الحديد ، الآيات 13 - 15

[4] قطب **في ظلال القرآن** (727/27) .

وعندئذ يفصل بين المؤمنين والخائنين ، فهذا يوم الفصل ، هذا يوم التمايز ، بعد ما كانوا في الدنيا مختلطين . يضربُ بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ويبدوا أنه سور يمنع الرؤية ، ولكنه لا يمنع الصوت . ثم يبدأ أهل الخيانة ينادون المؤمنين من خلف هذا السور : ألم نكن معكم ؟ فما بالنا نفترق عنكم ؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد نصلي معا ، ونصوم معا ، ونتناكح ونتوارث ؟ ألم نكن نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معا سائر الواجبات ؟ قالوا : بلى كان الأمر كذلك. ولكنكم فتنتم أنفسكم ، أي استعملتموها في الفتنة ، وأهلكتموها بالنفاق ، وتربصتم بالحق وأهله الدوائر ، وارتبتم : أي شككتم في الله تعالى ، وغرتكم الأماني : أي خدعتكم أماني نفوسكم ، فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم . وغركم بالله الغرور : أي خدعكم بالله الشيطان ، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته ، والسلامة من عذابه . بهذا استحقوا ما نالوا ؛ ولهذا فصل الله تعالى بينهم وبين المؤمنين [1].

"وننظر من ناحية التناسق الفني في عرض المشهد ، فنجد لاختيار مشهد النور في هذا الموضع بالذات حكمة خاصة . إن الحديث هنا عن المنافقين والمنافقات والمنافقون والمنافقات يخفون باطنهم ويتظاهرون بغير ما في الضمير المكنون ، ويعيشون في ظلام من النفاق والدس والوقيعة . والنور يكشف المخبوء ويفضح المستور . كما أنه الصفحة المقابلة الوضيئة لصفحة النفاق المظلمة المطموسة . فهو أليَق شيء بأن تطلق أشعته على المشهد الكبير . وبأن ينير بين أيدي المؤمنين والمؤمنات وبأيمانهم ، بينما المنافقون في الظلام الذي يناسب ظلمات الضمير وظلمات الخفاء المستور "[2].

وقد نقل القرطبي أقوال أهل التأويل في قوله تعالى : {قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا} قال : "قال ابن عباس وأبو أمامة : يغشى الناس يوم القيامة ظلمة . قال الماوردي : أظنها بعد فصل القضاء . ثم يعطون نورا يمشون فيه . قال المفسرون : يُعطي الله المؤمنين نورا يوم القيامة على قدر أعمالهم ، يمشون به على الصراط . ويُعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم ، دليله قوله تعالى : { وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ }[3] . وقيل : إنما يعطون النور ؛ لأن جميعهم

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، (226/27 - 227) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (246/17) . ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (310/4) . قطب ، **في ظلال القرآن** (728/27) .

[2] قطب **في ظلال القرآن** (728/27) .

[3] سورة النساء ، آية 142

أهل دعوة دون الكافر . ثم يُسلب المنافق نوره لنفاقه ، قاله ابن عباس . وقال أبو أمامة : يُعطى المؤمن النور ، ويُترك الكافر والمنافق بلا نور . وقال الكلبي : بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ، ولا يعطون النور ، فبينما هم يمشون ، إذ بعث الله فيهم ريحا وظُلمة ، فأطفأ بذلك نور المنافقين ، فذلك قوله تعالى : { رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا }[1] يقوله المؤمنون خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون "[2].

ثم يختتم المشهد العظيم بالمصير المحتوم ، (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار ، هي مولاكم ، وبئس المصير) فلا نجاة يومئذ ، ولا شفيع يشفع لهم . ولو جاء أحدهم بملء الأرض ذهبا ، وأكثر من ذلك ؛ ليفتدي به من ذلك العذاب ، لا يقبل منه ، وفي هذا العبرة البالغة فإن للباقي بالماضي معتبرا ، وللآخر بالأول مزدجرا ، والسعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من اتعظ بنفسه [3].

ثالثاً : مشهد الندامة والفضيحة

في ذلك اليوم الرهيب ينكشف المستور ويظهر المخبوء وتُنشر صحائف الأعمال ، وتظهر علامات الندم والخزي على الوجوه البائسة . قال تعالى : { يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ }[4]. " والسرائر جمع سريرة وهي : ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات ، وما أخفى من الأعمال . وبلاؤها : هو تعرُّفها والاطلاع عليها "[5]. فعندها يتميز ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال ، وما خبث منها وعندها يَظهر سرُّ كل إنسان ويبدو أثره على وجهه ، فتبيض بعض الوجوه وتسود أخرى[6] .

---

[1] سورة التحريم ، آية 8

[2] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (245/17 - 246) . وانظر : الطبري ، **جامع البيان** (224/27 227) .

[3] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (247/17) . ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (311/4) .

[4] سورة الطارق ، آية 9

[5] الكلبي ، **التسهيل** (192/4) .

[6] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (477/5) . السمعاني ، **تفسير القرآن العزيز** (204/6) .

وقال الله تعالى عن جهنم : { ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ }[1]. و "سبب تخصيص الأفئدة بذلك : هو أنها مواطن الكفر والعقائد الخبيثة والنيات الفاسدة"[2]. فسينكشف المخبوء في هذه القلوب ، وسيحرق الله تعالى قلوبهم في نار جهنم ، بعد أن تحترق ندما وحسرة .

يومئذ يأتي كل خائن بخيانته ، يُعرف بها ويُفضح بسببها قال تعالى : { وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ }[3]. " أي يأتي به حاملا له على ظهره ورقبته ، معذبا بحمله وثقله ومرعوبا بصوته ، وموبخا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد على ما يأتي ، وهذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغالّ نظير الفضيحة التي توقَع بالغادر في أن ينصب له لواء عند إسْتِه بقدر غدرته "[4].

أخرج الإمام مسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء . فقيل هذه غَدْرة فلان بن فلان "[5].

وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم على أن الذي يخون في أموال المسلمين يأتي يحملها يوم القيامة على عنقه فعن أبي حُمَيدٍ الساعدي رضي الله عنه قال : " استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً مِنْ بني أَسْد يُقال له ابن الأُتَبية على صدقة ، فلما قَدِمَ قال : هذا لكم ، وهذا أُهديَ لي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ... فحمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ما بالُ العامل نبعثُه فيأتي فيقول : هذا لك ، وهذا لي ؟ فهلّا جلس في بيت أبيه وأمه فينظرُ أيُهْدَى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاء به يوم القيامة يحملُه على رقبته إن كان بعيراً له رُغاء أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تيْعر[6] ، ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتي[7] إبطيه : ألا هل بلّغت ؟ ثلاثاً "[8].

---

[1] سورة الهمزة ، آية 7

[2] الرازي ، **التفسير الكبير** (89/32) .

[3] سورة آل عمران ، آية 161

[4] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، (256/4) . وانظر : الصابوني ، محمد علي ، **صفوة التفاسير** دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1420هـ) (220/1) .

[5] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تحريم الغدر ، حديث رقم : 1735 (1359/3) .

[6] تيعر : أي تصيح ، وهو صوت الشاة الشديد . انظر : ابن منظور ، **لسان العرب** (301/5) .

[7] العُفْرة : البياض . الأزهري ، **تهذيب اللغة** (211/2) .

[8] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الأحكام ، باب : هدايا العمال ، حديث : 6753 (2624/6) . وانظر : مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإمارة ، باب : تحريم هدايا العمال ، حديث : 1832 (1463/3) .

وعند رؤية العذاب يظهر الندم ، حيث لا ينفع الندم ، ويَعَضُّ الظالم على يديه ، ويبدو التأسُّف البالغ على ما قدمت الأيدي الخائنة ، ويحدث الخصام والتلاوم بين الخائنين ، فيلوم الخائن الصغير المرؤوس من أغواه وأضله من الخونة الكبار . لكن لكل منهم نصيبه من النار مضاعفا . هو العذاب الذي لا مفر منه ولا مهرب ، ولا شفيع ولا نصير . هي النار والأغلال . قال تعالى : { وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ }[1].

" أي بل الذي دهانا منكم ووصل إلينا من إضلالكم ما دبرتموه من المكر في الليل والنهار إذ تُحَسِّنون لنا الكفر وتدعوننا إليه ، وتقولون إنه الحق ، وتقدحون في الحق وتهجنونه وتزعمون أنه الباطل . فما زال مكركم بنا وكيدكم إيانا حتى أغويتمونا وفتنتمونا . فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا براءة بعضهم من بعض ، والندامة العظيمة . ولهذا قال : (وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ) : أي زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم لينجوا من العذاب ، وعلم أنه ظالم مستحق له ، فندم كل منهم غاية الندم ، وتمنى أن لو كان على الحق وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب ، سرا في أنفسهم ؛ لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم . وفي بعض مواقف القيامة وعند دخولهم النار يظهرون ذلك الندم جهرا : { وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ... }[2] الآيات { وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ }[3] . (وجعنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) : يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه "[4].

هذا جزاء المكر والخيانة يوم القيامة ، خزي وندامة وعذاب أليم ، نعوذ بالله من خزي وندامة وعذاب ذلك اليوم .

---

[1] سورة سبأ ، آية 33

[2] سورة الفرقان ، آية 27

[3] سورة الملك ، آية 10

[4] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص681) .

وبعد هذه المشاهد المؤلمة لعاقبة الخيانة ، من عذاب أليم في جهنم ، وفصل مهين ومـــذل بينهم وبين المؤمنين بالسور ، ومشاهد الحسرة والندامة والأسى الذي يكابدونه يومئذ ، بعد كـــل ذلك لا بد لكل من سلك طريق الخيانة من أن يبادر إلى مراجعة نفســـه ، وتصـــحيح مســـاره ، والتوبة من إجرامه ، من قبل أن تأتيه منيَّته ، ويلقى ربه ، ومصيره المذكور .

المبحث الثالث

منهج القرآن الكريم في معالجة ظاهرة الخيانة

في هذا المبحث سيتم الحديث عن منهج القرآن الكريم في معالجة ظاهرة الخيانة ، وذلك من خلال مطلبين : المطلب الأول : الوقاية من الخيانة بالتربية والتحصين ، والمطلب الثاني : بيان طريقة التعامل مع الخائنين ، وهذا البيان :

المطلب الأول : الوقاية من الخيانة بالتربية والتحصين

الأساس الأول في الوقاية من أخطار الخيانة ومن الوقوع في مثل الرذائل المنسوبة لأهل الخيانة هو التربية والتحصين ، وإنشاء أجيال تطعَّمت وتشرَّبت أخلاق الإسلام ومبادئه ، وتربَّت على أداء الأمانة بكل معانيها . فإذا أخرجنا للمجتمع أجيالا محصنة ضد الوقوع في الخيانة بأشكالها ، فقد حققنا الشطر الأول من المعادلة وزيادة . ويبقى بعد ذلك معالجة مظاهر الخيانة الموجودة في مجتمع المسلمين وكلا الأمرين وضع له الإسلام القواعد والأسس والتوجيهات لتتحقق الغاية وهي : الوقاية والعلاج .

ومن سبل التربية القرآنية للوقاية من الخيانة : (استشعار رقابة الله تعالى) في كل فعل أو قول ، وحتى يصبح هذا المبدأ هو المنطلق في الأفعال والأقوال لا بد من غرسه في نفوس النشء ، ليكون صمام الأمان الذي يعصم صاحبه من الانزلاق في وحل الخيانة . إنه استشعار معيَّة الله تعالى ورقابته ، هذه الرقابة الداخلية التي تفوق كل ما عداها من أنواع الرقابة التي يضعها العباد . فالله مطلع على كل صغيرة وكبيرة ، والعبد إذا استخفى عن الناس بفعله فالله مطلع عليه ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . "فالله جل وعلا هو القائم على كل نفس بما كسبت ، والرقيب على كل جارحة بما اجترحت ، والمطلع على ضمائر القلوب بما هجست "[1].

[1] الشرباصي ، أحمد ، ت1400هـ ، **يسألونك في الدين والحياة** ، دار الجيل بيروت ، (ط1/1977م) (4/330-331) .

وإن الخائن الذي يفعل ما يفعل وهو مستتر متخف ، يظن أن الله لا يطلع على ما يبيت ويفعل ويخطط في الظلام ، يخبره الله تعالى أنه يعلم أدق الخيانات . قال تعالى : { يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ }[1].

فإذا تربى المسلم على الامتناع عن صغائر الخيانات فإنه لا يقع في الكبير منها كخيانة الدين والوطن والعرض وإذا كانت الرقابة الداخلية عنده فاعلة لدرجة تمنعه عن مثل هذه الخيانة فإن هذه الرقابة لا شك تمنعه عن غيرها من الخيانات .

ومن التربية الوقائية ما ربى الإسلام عليه أبناءه من الامتناع عن فعل ما قد يوصل إلى الخيانة ، ومن ذلك النهي عن التجسس ولو كان بالتقاط كلمة من شخصين يتناجيان قال تعالى : { وَلَا تَجَسَّسُواْ }[2]. "والمراد : النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه"[3]. "والذي عليه الجمهور أن المراد ... النهي عن تتبع العورات مطلقا ، وعدّوه من الكبائر"[4]. وقد أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا "[5]. يقول القرطبي رحمه الله : " وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع ؛ لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك "[6] . فإذا كان قد نهى عن التجسس بقصد إثبات التهمة ، فما بالنا بمن طبْعه تتبع المسلمين ، وملاحقتهم من أجل الإيقاع بهم ، من خلال التنصت على مكالماتهم ، وتتبع خطواتهم وذهابهم وإيابهم ، والتقاط ما يقولون ويتحدثون إلى الناس ، بل وأحيانا نقل ذلك عنهم بالكذب والتلفيق

---

[1] سورة غافر ، آية 19 . وقد سبق إيراد المراد بالآية ، انظر : ص37- 38

[2] سورة الحجرات ، آية 12

[3] الزمخشري ، **الكشاف** (375/4) . وانظر : الطبري ، **جامع البيان** (135/26) .

[4] الآلوسي ، **روح المعاني** (157/26) .

[5] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** كتاب : الأدب ، باب : ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، حديث : 5717 (2253/5) . مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظن والتجسس ... ، حديث : 2563 (1985/4) .

[6] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (331/16) .

ومن التربية الوقائية ما وصف به النبي عليه الصلاة والسلام حال المسلم اتجاه أخيه ومن ذلك عدم جواز خيانته ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : " المسلم أخو المسلم ، لا يخونه ، ولا يكذبه ولا يخذله "[1]. فالمسلم لا يخون أخاه المسلم ، خاصة إذا وثق به وأمَّنه على شيء من ماله أو عرضه أو غير ذلك . وأشد ذلك خيانة أعراض المجاهدين قال صلى الله عليه وسلم : " حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وُقِفَ له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء ، فما ظنكم ؟ "[2].

ولقد كان من نتاج هذه التربية الوقائية أن خرج جيل من المؤمنين كانوا مشاعل هداية ورشاد لمن أتى بعدهم ، في الولاء لهذا الدين ولهذه الأمة . جيل منْتَمٍ لأمته في كل الظروف والأحوال ، لا يفرط في هذا الولاء وهذا الانتماء مهما حدث ثابت في ذلك لا يتغير في الشدة والرخاء وفي العسر واليسر وفي الرضا والغضب . لا يقبل مساومة على هذا المبدأ فهو جزء من دينه وعقيدته .

ومن نماذج هذا الجيل ما كان من كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة تبوك دون عذر مقبول ، هو وصاحبيه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية . فكان أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بهجرانهم ، ومقاطعتهم حتى من نسائهم . واستمر ذلك خمسين يوما . وقد نزل فيهم قول الله تعالى يصف حالهم ، ويقرر توبة الله عليهم : { وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }[3].

---

[1] الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي ، ت279هـ ، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) ، كتاب : البر والصلة عن رسول الله ، باب : ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ، حديث : 1927 ، (325/4) . قال الترمذي : حسن غريب . وقال الألباني : صحيح . الألباني ، محمد ناصر الدين ، ت1420هـ ، **صحيح الجامع الصغير وزيادته** ، المكتب الإسلامي بيروت ، (ط1406/2هـ) ، حديث : 6706 (1136/2) .

[2] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإمارة ، باب : حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن ، حديث : 1897 (1508/3) .

[3] سورة التوبة ، آية 118

وقد حدَّث كعب رضي الله عنه بحديث طويل فصَّل فيه تلك الأحداث . الشاهد فيه موقفه من عرْض الخيانة عليه من ملك غسان ، الذي حاول استغلال الحالة النفسية التي كان عليها كعب من أجل جرِّه إلى خيانة أهل دينه الذين فرضوا عليه عقوبة الهجران والمقاطعة . وهو الأسلوب الذي لا يغفل عنه أعداء هذه الأمة في كل زمان . استغلال الفرص لدس سمهم ووساوسهم وإغراء الضعفاء لينزلقوا في وحل الخيانة ، محاولة منهم للصيد في الماء العكر . إلَّا أن ذلك الجيل العظيم أمثال كعب رضي الله عنه يعلمنا الدرس تلو الدرس في الثبات على الدين والمبدأ ، في أصعب الظروف والأحوال . ولنستمع إليه يحدث عن تلك الحادثة يقول : " فبيْنا أنا أمشي بسوق المدينة ، إذا نَبَطيٌّ من أنباط أهل الشأْم ، ممن قدِم بالطعام يبيعُه بالمدينة ، يقول : من يدلُ على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفَع إليَّ كتاباً من ملك غسَّان . فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبَك قد جفاك . ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيْعة فالْحق بنا نُواسِك . فقلت لما قرأتُها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيمَّمْتُ بها التَّنُّور[1] فسَجرْتُه[2] بها "[3].

ومن التربية الوقائية ما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن أصناف من أهل النار محذرا من الخيانة حتى في أدق الأمور ، ومحذرا من عواقبها : " وأهل النار خمسة ... والخائن الذي لا يَخْفَى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك "[4]. ويقول أيضا مربيا أصحابه والمسلمين من بعدهم على عدم الخيانة والغدر في الغنائم : " اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا "[5]. ولو كان الأمر في أيسر الأشياء ، وأدقّها في أعين الناس . قال عليه الصلاة السلام : " من استعملناه منكم على عمل فكَتَمَنا مِخْيَطا فما فوقه ، كان غُلولا يأتي به يوم القيامة "[6].

---

[1] التنور : الذي يخبز فيه . الرازي ، **مختار الصحاح** (33/1) .

[2] السجر : إيقادك في التنور . ابن منظور ، **لسان العرب** (346/4) .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : المغازي ، باب : حديث كعب بن مالك ، حديث : 4156 (4/ 1606) . وانظر : مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : التوبة ، باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، حديث : 2769 (2125/4) .

[4] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، حديث : 2865 (2197/4) .

[5] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته ، حديث : 1731 (1357) .

[6] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإمارة ، باب : تحريم هدايا العمال ، حديث : 1833 (1465/3) .

هذه هي التربية الوقائية في القرآن والسنة ، وهذا هو التحصين الذي لا بد من تحقيقه في أبناء المسلمين يجب أن نعلِّم أبناءنا أداء الأمانة يجب أن نعلمهم أن الدِّين أمانة ، ومن قصر في فرائض الله أو عصى الله تعالى ، أو خالف هدي نبيه صلى الله عليه وسلم فقد خان أمانة الدين . يجب أن نعلمهم أن الجوارح أمانة ، ومن استخدمها بخلاف ما جعلها الله تعالى له ، فقد خان هذه الجوارح ، وستشهد عليه يوم القيامة قال تعالى : { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[1]. يجب أن نعلمهم أن نِعَم الله تعالى علينا كلها أمانة ، وأن من لا يؤدي حق الله فيها خائن للنعمة كافر بها . يجب أن نعلمهم أن أعراض المسلمين والمسلمات أمانة ، وأن من يخوض فيها ويهتك سترها خائن لأمانة العرض . يجب أن نعلمهم أن أرض المسلمين ومقدساتهم أمانة ، وأن المفرط فيها والساكت عن تدنيسها ، والذي يوالي ويصالح مدنسيها والمعتدين عليها ، خائن لأمانة الوطن والمقدسات . يجب أن نلقِّن أطفالنا ونرضعهم ونطعمهم ونسقيهم ونلبسهم الوفاء بالأمانات ، وأدائها على أكمل وجه ، وبُغْض ومحاربة الخائنين . بهذا يتحقق التحصين ، وبهذا تتحقق الوقاية من الوقوع في وحل الخيانة .

المطلب الثاني : بيان طريقة التعامل مع الخائنين

في هذا المطلب سيتم تتبُّع الإرشادات القرآنية في محاربة ظاهرة الخيانة وكيفية التعامل مع الخائنين ، خاصة خائني الدين والوطن أو (الخيانة العظمى) ، وتصنيف هذه الإرشادات إلى نقاط حسب ورودها في كتاب الله تعالى .

أولاً : تقديم الدعوة والنصح إليهم

قال تعالى : { أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاَۢ بَلِيغًا } . إن تقديم النصح ، والإرشاد ، والتوجيه ، والموعظة ، والتذكير لأهل الخيانة لا بدّ منه ، فهو الطريقة التي يجب أن تكون الأولى في معالجة ظاهرة الخيانة . فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل لهذه الغاية النبيلة ، أرسلهم لدعوة جميع الناس : المؤمن والكافر والمعاند والمنافق والخائن ، وحتى المعادي . فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يقاتل قوما قبل أن يدعوهم ؛ روى الإمام مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما ،

---

[1] سورة النور ، آية 24

قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية ، أوصـــاه فـــي خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحوُّل من دارهم إلـــى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهـــاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ؛ يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المســـلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بـــالله وقاتلهم "[1].

وهكذا يجب تقديم الدعوة لكل أحد ، فالله تعالى وجَّه موسى وهارون عليهمـــا الســـلام لـــدعوة فرعون المُتَألِّه الجبار ونُصْحه وتـــذكيره ، قـــال تعـــالى :{ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ }[2] .

ومن هنا يبين القرآن الكريم المنهج السليم في التعامل مع هؤلاء وأمثالهم ، المـــنهج الـــذي يقوم على خطة مدروسة ، وليس على ردات الفعل غير المحسوبة . فالمســـألة تتعلـــق بعـــلاج ظاهرة خطيرة ، بالغة الأثر المدمر على المجتمع ؛ ولذا ينبغي أن يتم التعامل معها من خـــلال خطة مدروسة وممنهجة . ومن البدهي أن يتقدم النصح والإرشاد والدعوة على غير ذلـــك مـــن الوسائل . وهذا الذي يعلمنا إياه القرآن الكريم ، قال تعالى في باب دعوة الخائنين ونصـــحهم : { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا }[3]. سياق الآيات يبين أن المقصود بالذين في قلوبهم مـــرض هـــم أهـــل الخيانـــة والنفاق ، والله تعالى يعلمنا من خلال مخاطبة النبي عليه الصلاة والسلام ، كيفية التعامل معهم ،

[1] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغـــزو وغيرها ، حديث : 1731 (1357/3) .

[2] سورة طه ، آية 43 - 44

[3] سورة النساء ، آية 63

فيقول : (فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ) ، " عظهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم ، وعقوبته أن تنزل بدارهم ، وحذّرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله "[1].

إذاً تعلمنا الآيات أن نستخدم أسلوب الوعظ والإرشاد ، والإنذار والترهيب والترغيب ، في معالجة ظاهرة النفاق ، والتعامل مع أهل الخيانة ، الذين تمتلئ قلوبهم بالخيانة والشر والفساد والنفاق .

وفي معنى قوله تعالى : (وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغًا) يقول أبو السعود : " وقل لهم في أنفسهم : في حق أنفسهم الخبيثة ، وقلوبهم المنطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى . أو في أنفسهم خاليا بهم ، ليس معهم غيرهم ، مسارًّا بالنصيحة ؛ لأنها في السر أنجع ، قولا بليغا : مؤثرا ، واصلا إلى كنه المراد ، مطابقا لما سيق له من المقصود ... أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم ، يغتنمون به اغتناما ، ويستشعرون منه الخوف استشعارا : وهو التوعد بالقتل والاستئصال ، والإيذان بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خافٍ على الله تعالى ، وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات ، وإنما هذه المكافأة والتأخير ؛ لإظهارهم الإيمان والطاعة ، وإضمارهم الكفر ، ولئن أظهروا الشقاق ، وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ، إن الله شديد العقاب "[2].

إذاً باب التوبة مفتوح ، فمن أراد من هؤلاء العودة إلى دين الله ، وإلى جادة الصواب ، فإن الله تعالى يقبل منه ، ويقبل منه المؤمنون ، ولكن إذا أصر على عصيان الله تعالى ، وإيقاع الأذى بالمؤمنين ، بالمكر والخديعة والخيانة ، فإن العقاب الأليم في انتظاره في الدنيا والآخرة ، وإن المؤمنين لن يألوا جهدا في إلزام هؤلاء طاعة الله تعالى والاستقامة على نهجه . " والتعبير العجيب : (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) ، تعبير مصور ، كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس ، ويستقر مباشرة في القلوب ، وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله ، بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت ، ومن الصدود عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين يدعوهم إلى التحاكم إلى الله والرسول .

فالتوبة بابها مفتوح ، والعودة إلى الله لم يفت أوانها بعد ، واستغفار الله من الذنب ، واستغفار الرسول لهم ، فيه القبول ... وأمام الذين ظلموا أنفسهم بميلهم عن هذا المنهج ، الفرصة التي

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** (156/5) .

[2] أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** (196/2) .

دعا الله المنافقين إليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورغّبهم فيها . { وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا }[1]. والله تواب في كل وقت على من يتوب ، والله رحيم في كل وقت على من يؤوب ، وهو سبحانه يصف نفسه بصفته ، ويعد العائدين إليه ، المستغفرين من الذنب ، قبول التوبة وإفاضة الرحمة . والذين يتناولهم هذا النص ابتداء ، كان لديهم فرصة استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد انقضت فرصتها ، وبقي باب الله مفتوحا لا يغلق ، ووعده قائما لا ينقض ، فمن أراد فليقدم ، ومن عزم فليتقدم "[2].

وقد أخبر الله تعالى أن التائب منهم ، يتحول مباشرة بتوبته إلى صف المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، بل سماهم الله تعالى إخوانا للمؤمنين في الدين بعد أن يتوبوا ، فقال الله تعالى :{ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ }[3]. " فالذين تابوا من النفاق ، وأصلحوا ما فسد من أحوالهم ، وتمسكوا بشرع الله ووثقوا بوعده ، وأخلصوا العمل بترك الرياء والنفاق وطاعة غير الله ، فهم مع المؤمنين في أحكام الدنيا والآخرة "[4] . قال تعالى : { إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا }[5].

ثانياً : بغض الخائنين والبراءة منهم

من البدَهِي عند التعامل مع جريمة الخيانة أن يتخذ المسلم من أهل الخيانة موقفا معاديا ، يبدأ **ببغضهم وكراهيتهم** وذلك أضعف الإيمان . وكيف يمكن للمسلم أن يحب أهل الخيانة والغدر والله تعالى سطر بغضه لهم في كتابه العزيز قال تعالى :{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ}[6]. " أي إن الله لا يحب كل خوان يخون الله ، فيخالف أمره ونهيه ، ويعصيه ، ويطيع

[1] سورة النساء ، آية 64

[2] قطب **في ظلال القرآن** (424/5 - 425) .

[3] سورة التوبة ، آية 11

[4] الزحيلي ، وهبة ، **التفسير الوجيز** ، دار الفكر دمشق ، (ط1416/2هـ) (ص102) .

[5] سورة النساء ، آية 146

[6] سورة الحج ، آية 38

الشيطان "[1]. وقال أيضا : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ }[2]. "والمراد من نفـي الحـب إثبـات البغض "[3].

ومن مقتضيات هذا البغض وهذا الحاجز النفسي بين أهل الإيمان وأهل الخيانـة ، **الإعـراض عنهم** قال تعـالى : { أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ }[4]. وقـال تعـالى : { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً }[5]. فـالأمر بالإعراض عنهم ، يعني تركهم ، والتميز عنهم ، وعدم المبالاة بهم[6].

وقال تعالى فيهم : { فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ }[7]. فأعرضـوا عـنهم واحتقـروهم ؛ لأن بواطنهم واعتقاداتهم قد نجست بسبب خيانتهم[8]. فهنا "يوجهُهُ ربُه إلى الإعراض عنهم فعـلا ، لكن لا بمعنى العفو والصفح وإنما بمعنى الإهمال والاجتناب . معللا ذلك بأنهم دنَسٌ يُتَجنـب ويُتَوقى . { فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ } : وهو التجسيم الحسِّي للدَّنَس المعنوي . فهم ليسوا رجسا أي دنسا بأجسادهم وذواتهم إنما هم رجْسٌ بأرواحهم وأعمالهم . ولكنها الصـورة المجسَّمة أشد بشاعة وأَبْيَنُ قذارةً ، وأَدْعى إلى التقزُّز والاشـمئزاز ، وإلـى الاحتقـار كـذلك والازدراء "[9].

---

[1] الطبري ، **جامع البيان** ، (171/17) . وانظر : أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم** ، (108/6) . الصابوني ، **صفوة التفاسير** (267/2) .

[2] سورة الأنفال ، آية 58

[3] الآلوسي ، **روح المعاني** (23/10) . وانظر : السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص324) .

[4] سورة النساء ، آية 63

[5] سورة النساء ، آية 81

[6] انظر : السمرقندي ، **بحر العلوم** ، (346/1) . ابن عطية ، **المحرر الوجيز** ، (73/2) . السـعدي ، **تيسـير الكـريم الرحمن** (ص184) .

[7] سورة التوبة ، آية 95

[8] ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (383/2) .

[9] قطب **في ظلال القرآن** (283/11) .

ومن مظاهر البراءة منهم **عدم موالاتهم** قال تعالى عنهم : { وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا }[1]. أي تمنوا أن تكونوا أنتم وهم في الكفر والنفاق سواء فأمر الله تعالى بالبراءة منهم ، فقال : (فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ) ، كما قال تعالى:{ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ }[2]. والهجرة المقصودة هنا هي هجرة المسلم ما حرم الله عليه ، وذلك بالتوبة والإنابة إلى الله . كما قال صلى الله عليه وسلم : (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[3]. وكذلك هجرة أهل المعاصي حتى يرجعوا تأديبا لهم ، فيقاطعون ويهجرون حتى يتوبوا ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع كعب وصاحبيه[4]. بهذا تتحقق البراءة من أهل الخيانة [5].

وبناء على ما سبق فلا يجوز اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين لا يجوز مناصرتهم ، ولا الاستنصار بهم ، وهو معنى قوله تعالى : (وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا) ، فقد "دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشتهرين بالزندقة[6] والإلحاد ، وهذا متأكد بعموم قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ)[7] والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين ؛ لأن ذلك هو الأمر الذي به يُتقرب إلى الله تعالى ، ويُتوسل به إلى طلب السعادة في الآخرة . وإذا كان كذلك كانت العداوة

---

[1] سورة النساء ، آية 89

[2] سورة الأنفال ، آية 72

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، حديث : 10 (13/1) .

[4] في قصة تخلفهم عن غزوة تبوك . حيث قاطعهم المسلمون شهرا كاملا مع أنهم لم يكونوا من المنافقين . انظر : ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، (213/5) . البوطي ، محمد سعيد رمضان ، **فقه السيرة** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة1410 هـ) (ص403) .

[5] انظر : القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (308/5) .

[6] الزنديق عند أهل الكلام والعامة هو : الجاحد ، المعطل ، وعند الفقهاء هو : المنافق . انظر : ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** (471/7) .

[7] سورة الممتحنة ، آية 1

الحاصلة بسببه أعظم أنواع العداوة وإذا كان كذلك امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات العداوة حاصلا فيه ، والله أعلم "[1].

وفي الإشارة إلى عدم موالاتهم يقول تعالى في وصف المنافقين : { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ }[2]. " المنافقون والمنافقات من طينة واحدة ، وطبيعة واحدة . المنافقون في كل زمان وفي كل مكان تختلف أفعالهم وأقوالهم ، ولكنها ترجع إلى طبع واحد ، وتنبع من معين واحد : سوء الطوية ، ولؤم السريرة ، والغمز والدس ، والضعف عن المواجهة ، والجبن عن المصارحة . تلك سماتهم الأصيلة "[3]. فهم قد جمع بينهم النفاق والبعد عن الإيمان والخيانة ، فتشابههم كتشابه أجزاء الشيء الواحد . ولاشتراكهم في كل ذلك اشتركوا في تولي بعضهم بعضا ، وفي ذلك قطع للمؤمنين من ولايتهم [4].

ومن مظاهر البراءة من أهل الخيانة **عدم طاعتهم والركون إليهم** ، ولو كان ذلك في أيسر الأمور ؛ وذلك لأنهم مخادعون ، ولا يبغون إلا الشر والسوء بالمؤمنين قال تعالى محذرا نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين من بعده ، من طاعتهم : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }[5]. أي فلا تطع كل منافق وخائن ، فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة . فطاعتهم في بعض الأمور تنقض التقوى وتناقضها واتِّباع أهوائهم فيه الضلال عن الصواب وعليه فلا تطعهم ولا تسمع منهم ولا تستشرهم[6]. إذن جاء في الآية الكريمة النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين ، واتباع أمرهم ونهيهم ، والاستماع إلى تحريضهم ، والاستجابة والخضوع لضغوطهم ، وتنفيذ رغباتهم . " ثم يبقى ذلك النهي قائما في كل بيئة وكل زمان ، يحذِّر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقا ، وفي أمر العقيدة ، وأمر التشريع ، وأمر التنظيم الاجتماعي بصفة خاصة . ليبقى منهجهم خالصا لله ، غير مَشوبٍ بتوجيه من سواه . ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين

---

[1] الرازي ، **التفسير الكبير** (176/10) .

[2] سورة التوبة ، آية 67

[3] قطب **في ظلال القرآن** (249/10) .

[4] انظر : البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (156/3) . السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص343) . الصابوني ، **صفوة التفاسير** (508/2) .

[5] سورة الأحزاب ، آية 1

[6] انظر : ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (466/3) . السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص657) .

من ظاهر العلم والتجربة والخبرة كما يسوِّغ بعض المسلمين لأنفسهم في فترات الضعف والانحراف فإن الله هو العليم الحكيم وهو الذي اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته "[1].

ومن البراءة منهم **ترك الدفاع عنهم وتوفير الغطاء لهم** قال تعالى : { إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا }[2]. " إننا نحس في التعبير صرامة ، يفوح منها الغضب للحق ، والغيرة على العدل وتشيع في جو الآيات وتفيض منها . وأول ما يبدو هذا في تذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله . وإتْباع هذا التذكير بالنهي عن أن يكون خصيما للخائنين ، يدافع عنهم ويجادل . وتوجيهه لاستغفار الله سبحانه عن هذه المجادلة ... ثم تكرار هذا النهي ووصف هؤلاء الخائنين ، الذين جادل عنهم صلى الله عليه وسلم بأنهم يختانون أنفسهم وتعليل ذلك بأن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ... وهم خانوا غيرهم في الظاهر ولكنهم في الحقيقة خانوا أنفسهم . فقد خانوا الجماعة ومنهجها ومبادئها التي تميزها وتفردها وخانوا الأمانة الملقاة على الجماعة كلها ، وهم منها ثم هم يختانون أنفسهم في صورة أخرى صورة تعريض أنفسهم للإثم الذي يجازون عليه شر الجزاء حيث يكرههم الله ، ويعاقبهم بما أثموا . وهي خيانة للنفس من غير شك . وصورة ثالثة لخيانتهم لأنفسهم وهي تلويث هذه الأنفس ، وتدنيسها بالمؤامرة والكذب والخيانة . (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا) : وهذه عقوبة أكبر من كل عقوبة وهي

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (531/21 - 532) .

[2] سورة النساء ، الآيات 105 - 109

تلقي إلى جانبها إيحاءً آخر   فالذين لا يحبهم الله لا يجوز أن يجادل عنهم أحد ، ولا أن يحامي عنهم أحد   وقد كرههم الله للإثم والخيانة "[1].

أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما في سبب نزول هذه الآيات عن قتادة بن النعمان قال : " كان أهل بيت منا يقال لهم : بنو أُبَيْرِق : بشر وبشير ومبشر . وكان بشير رجلا منافقا ، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ، ثم ينحله[2] إلى بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وقال فلان كذا . فإذا سمع أصحاب رسول الله ذلك الشعر قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث . فقال : أوكلما قال الرجال قصيدة أضموا[3] وقالوا : ابن الأبيرق قالها قال : وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام . وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير . وكان الرجل إذا كان له يسار ، فقدمت ضافِطَة[4] من الشام بالدَرْمَك[5] ، ابتاع الرجل منهم فخص به نفسه ، فأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير . فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك ، فجعله في مَشْرَبةٍ[6] له . وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يصلحهما . فعُدِيَ عليه من تحت الليل ، فنُقِبَت المشربة وأُخِذَ الطعام والسلاح . فلما أصبح أتاني عمي رفاعة   فقال : يا ابن أخي ، تعلم أنه قد عُدِي علينا في ليلتنا هذه ، فنُقِبَت مشربتنا ، فذهب بسلاحنا وطعامنا . قال : فتجسسنا في الدار وسألنا . فقيل لنا : قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ، ولا نرى فيما نراه إلا على بعض طعامكم . قال : وكان بنو أبيرق قالوا   ونحن نسأل في الدار - : والله ما نرى صاحبكم[7] إلا لبيد بن سهيل رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع بذلك لبيد اخترط سيفه ، ثم أتى بني أبيرق فقال : والله ليخالطنكم هذا السيف ، أو لتبينن هذه السرقة . قالوا : إليك عنا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها . فسألْنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها . فقال عمي : يا ابن أخي لو أتيت رسول الله فذكرت ذلك له .

---

[1] قطب   **في ظلال القرآن**   (5/515 - 516) .

[2] نحله القول : أضاف إليه القول ونسبه إليه . انظر : الرازي ، **مختار الصحاح**   (ص271) . السعدي ، **الأفعال** (3/224) .

[3] الأضم : الحقد والحسد والغضب . ابن منظور ، **لسان العرب**   (12/18) .

[4] الضافطة : الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن .. وكانوا يومئذ قوما من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت . ابن منظور ، **لسان العرب**   (7/344) .

[5] الدرمك : الدقيق . انظر : ابن منظور ، **لسان العرب**   (10/423) . الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، **كتاب العين** تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر) (5/429) .

[6] المشربة : الغرفة . ابن منظور ، **لسان العرب**   (1/493) .

[7] أي الذي سرق مالكم .

قال قتادة : فأتيت رسول الله ، فذكرت ذلك له ، فقلت : يا رسول الله إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة ، فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال رسول الله : سأنظر في ذلك . فلما سمع ذلك بنو أبيرق أتوا رجلا يقال له أسير بن عروة ، فكلموه في ذلك ، واجتمع إليه ناس من أهل الدار فأتوا رسول الله فقالوا : يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت . قال قتادة : فأتيت رسول الله فكلمته . فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت ؟ قال : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم رسول الله في ذلك . فأتيت عمي رفاعة ، فقال : يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله . فقال : الله المستعان . فلم نلبث أن نزل القرآن :(إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا) : يعني بني أبيرق . (وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ) : أي مما قلت لقتادة . (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) . (وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ) : أي بني أبيرق . (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) "[1].

وفيما مضى " دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق "[2]. وفيه إشارة إلى عدم جواز التستر على المجرمين والخائنين والدفاع عنهم وتوفير الغطاء لهم . وعَوداً على بدء ، فإنه يجب بدلا عن ذلك البراءة منهم ومفارقتهم وعدم مخالطتهم في منكرهم وخيانتهم وتآمرهم ، بل عدم مجالستهم وهم على ما هم عليه من الباطل والخيانة .

ومن مقتضيات بغض الخائنين والبراءة منهم **عدم مجاملتهم في باطلهم** ، وعدم مجالستهم في مجالس منكرهم وفسقهم ، بل مفارقتهم والتمايز عنهم قال تعالى : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ

[1] الترمذي ، **سنن الترمذي** ، كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ، باب : ومن سورة النساء ، حديث : 3036 (244/5) ، قال الترمذي : حديث غريب . وقال الألباني : حسن . الألباني ، محمد ناصر الدين ، ت1420هـ ، **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ، مكتبة المعارف الرياض ، (ط1/بدون سنة نشر) (ص679) . وانظر : الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين** ، حديث : 8164 (426/4 - 427) . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم.

[2] الشوكاني ، **فتح القدير** (511/1) .

فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا }[1].

وفي ذلك يقول سيد قطب ، رحمه الله : " وأُولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فيسكت ويتغاضى . يُسمِّي ذلك تسامحا ، أو يُسمِّيه دهاء ، أو يُسمِّيه سعة صدر وأفق وإيمانا بحرية الرأي . وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموِّه على نفسه في أول الطريق ، حياءً منه أن تأخذه نفسه متلبسا بالضعف والهوان . إن الحمية لله ، ولدين الله ، ولآيات الله ، هي آية الإيمان . وما تَفْتُر هذه الحميَّة إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز ، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار . وإن الحميَّة لتُكْبَتُ في أول الأمر عمدا ثم تهمد ، ثم تخمد ثم تموت . فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس ، فإما أن يدفع ، وإما أن يقاطع المجلس وأهله . فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة وهو المعْبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق "[2].

وقد ضرب القرآن الكريم أمثلة مدوية في البراءة من أهل الكفر ومن خان الأنبياء في الدين ، فلم يتَّبع دعوتهم ، ولم يسلك طريقهم ، بل حاد وعادى ، فكانت البراءة التي لا تقبل التأويل ، حتى مع الأهل وذوي القربى . ومن ذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه الكافر قال تعالى : { وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ }[3]. استغفر لأبيه المشرك أول الأمر ، " فلما تبين له وعلم أنه لله عدو خلّاه وتركه وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمره عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره "[4].

وهو ذات الأمر الذي أمر الله تعالى به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين ، بالبراءة من أهل الشرك ، وعدم الاستغفار لهم قال تعالى في الآية السابقة : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا

[1] سورة النساء ، آية 140

[2] قطب **في ظلال القرآن** (5/557 - 558) .

[3] سورة التوبة ، آية 114

[4] الطبري ، **جامع البيان** (11/41) .

تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ }[1]. جاء في سبب نزول هذه الآية "عن علي قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال : أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ..."[2].
"وعن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل ، فقال : أي عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه ، حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فنزلت "[3].

وهكذا يحدد القرآن الكريم طبيعة العلاقة بين المؤمن وأهل الخيانة . إنها المفاصلة في الاعتقاد والفكر والسلوك . مفاصلة القلوب والجوارح ؛ حتى لا تختلط الأمور ، وحتى يتميز الخبيث من الطيب ، وحتى لا يُعطى أهل الخيانة الفرص لتمرير مؤامراتهم وأراجيفهم ومخططاتهم الخبيثة على المسلمين . حتى يبقوا معزولين مستقذرين حتى يراجعوا دينهم ويحسموا أمرهم ، لعل منهم من تدركه رحمة الله تعالى فيتوب ، فيتوب الله عليه .

ثالثاً : الاستعانة بالله عليهم

إن الأساس الأول الذي يعتمد عليه المسلم في تحصيل النفع ودفع الضر هو الاستعانة بالله تعالى فهو الذي سمى نفسه النافع الضار فلا ينفع ولا يضر إلا هو سبحانه ومن هنا لا بد للمسلم وهو يواجه خطر الخيانة العظيم أن يتوجه إلى الله العظيم في دفع هذا الضر والخطر . ومن استعان بالله قَوِي ، ومن توجه إلى الله هُدِي . والاستعانة بالله تعالى لا تعني بحال من الأحوال ترك الأخذ بالأسباب بل إن من مقتضيات التوكل على الله تعالى الأخذ بالأسباب ، وإلا سُمِّي ذلك تواكلا .

---

[1] سورة التوبة ، آية 113

[2] الترمذي ، **الجامع الصحيح** ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة التوبة ، حديث : 3101 (281/5) . قال الترمذي : هذا حديث حسن .

[3] البخاري ، **الجامع الصحيح المختصر** ، كتاب : المناقب ، باب : قصة أبي طالب ، حديث : 3671 (1409/3) . وانظر : مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام ... ، حديث : 24 (54/1) .

ولا بد أن يتحلى المسلم بتقوى الله تعالى ، والصبر على تنفيذ أوامره تعالى لكي يتقي كيد الكائدين وخيانة الخائنين وليكون في حفظ الله تعالى وحمايته قال تعالى : { وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ }[1]. هذه الآية نزلت في المنافقين[2] يقول الرازي رحمه الله : " واعلم أن هذه الآية من تمام وصف المنافقين ، فبيّن تعالى أنهم مع ما لهم من الصفات الذميمة ، والأفعال القبيحة ، مترقبون نزول نوع من المحنة والبلاء بالمؤمنين "[3]، وقيل الآية في اليهود[4]. فمن صبر على أداء أوامر الله تعالى ، والتزم شرعه ، واتقى وتجنب كل ما نهى الله عنه ، كان في حفظ الله تعالى ، لا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين ولا خيانة الخائنين [5] وذلك " ببركة الصبر والتقوى ؛ لكونهما من محاسن الطاعات ومكارم الأخلاق "[6].

وقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه حاميه من مكر الكفار وكيدهم وخداعهم قال تعالى : { وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ }[7]. ومعنى الآية : وإن يريدوا أن يخدعوك يا محمد والخطاب لكل المسلمين إلى يوم القيامة - وهم مُضْمِرون الغدر والخدع والخيانة فإن حسبك الله : أي كافيك ما تخافه من شرورهم بالنكث والغدر . فلا تخف من خدعهم ومكرهم ، فإن الله الذي قواك عليهم بالنصر فيما مضى هو الذي سينصرك ويقويك عليهم عند حدوث الخدع والنكث منهم[8].

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى في مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم : { وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ

---

[1] سورة آل عمران ، آية 120

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (68/4) .

[3] الرازي ، **التفسير الكبير** (177/8) .

[4] الرازي **تفسير القرآن العظيم** (747/3) .

[5] انظر : الرازي ، **التفسير الكبير** (177/8 - 178) .

[6] الآلوسي ، **روح المعاني** (41/4) .

[7] سورة الأنفال ، آية 62

[8] انظر : الشوكاني ، **فتح القدير** (322/2) .

ٱلۡمَـٰكِرِينَ }[1]. وقد روت كتب السير قصة ذلك الاجتماع التآمري . حيث " اجتمعوا في دار الندوة واتفقوا على قتل من جعله الله للناس قدوة ، ورصدوه في بيته ليلا ، وظنوا أنهم ينالون منه نيلا ، فخابوا وخسروا ، وبأفهار القدرة الإلهية كسروا "[2]. ومثل ذلك ما حل بمكر فرعون بالرجل المؤمن من قومه . قال تعالى : { فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ }[3]. "فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن فرعون وقومه أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن الكريم وأن الله وقاه : أي حفظه ونجاه من أضرار مكرهم وشدائده ؛ بسبب توكله على الله ، وتفويضه أمره إليه "[4].

والله تعالى أمرنا بالاستعانة به والتوكل عليه ؛ للتحصن من كيد الخائنين قال تعالى : { فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً }[5]. فالله يكفيك مضرتهم وكيدهم ، وينتقم لك منهم ، وكفى بالله كافيا لمن توكل عليه ، ناصرا من استعان به[6]، والآية في المنافقين[7] .

وفي ختام هذا النقطة لا بد من القول إن معيَّة الله تعالى مع المؤمنين ، فهو سبحانه بقوته وعظمته مع عباده يؤيدهم ويرعاهم وينصرهم ، فهو وليهم ، والخائنين لا مولى لهم قال تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }[8]. "بيَّن جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يدفع السوء عن عباده الذين آمنوا به إيمانا حقا ، ويكفيهم

---

[1] سورة الأنفال ، آية 30

[2] ابن حبيب ، الحسن بن عمر ، ت799هـ ، **المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق : مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث القاهرة (ط1/1416هـ) ، (ص74) . وانظر : ابن هشام ، **السيرة النبوية** (6/3).

[3] سورة غافر ، آية 45

[4] الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار ، ت1393هـ ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1415هـ) (388/6) .

[5] سورة النساء ، آية 81

[6] انظر : النسفي ، **مدارك التنزيل** (236/1) . البيضاوي ، **أنوار التنزيل** (225/2) .

[7] انظر : الرازي **تفسير القرآن العظيم** (1013/3) . الطبري ، **جامع البيان** (179/5) . ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** (530/1) .

[8] سورة الحج ، آية 38

شر أهل السوء . وقد أشار إلى هذا المعنى في غير هذا الموضع ، كقوله تعالى : { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ }[1]. وقوله : { أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ }[2]... وقوله : { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ }[3]. وقوله : { وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ }[4]. إلى غير ذلك من الآيات ... لأن الإيمان بالله هو أعظم أسباب دفع المكاره "[5]. ومن هنا كان على كل مؤمن مخلص أن يثق بوعد الله وبتأييده لعباده ، وبرده كيد الخائنين في نحورهم ، ولو بعد حين ، وأن لا يتوجه ولا يستعين إلا بالله تعالى .

رابعاً : الحذر من أراجيفهم وعدم الثقة بهم

يحذرنا القرآن الكريم من الثقة بالخائنين ؛ لأنهم ثعالب بشرية ماكرة وائتمانهم وتصديقهم ، فهم ليسوا محلا للثقة والأمان قال تعالى في المنافقين[6] المتخلفين عن الخروج للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : { يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[7]. فدأبهم الكذب والخداع ، فهم يعتذرون إليكم بأعذار واهية كاذبة عن عدم خروجهم معكم للجهاد . وتبين الآية الكريمة أن الله تعالى قد نبأ رسوله صلى الله عليه وسلم بكذبهم وخداعهم ، فهم مفضوحون في الدنيا ، قد كشف الله ما أسروا ، ولم يعد لهم تصديق وثقة عند المسلمين ، ولا تنطلي أكاذيبهم على أحد ، فقد نبأنا الله من أخبارهم ، وهم كذلك مكشوفون مفضوحون يوم القيامة ، حيث يردون إلى عالم الغيب والشهادة ، يعني الذي يعلم السر والعلانية ، والذي لا يخفى عليه بواطن أمورهم وظواهرها ، فيخبرهم بأعمالهم كلها ، ويجازيهم عليها[8].

---

[1] سورة الطلاق ، آية 3

[2] سورة الزمر ، آية 36

[3] سورة الروم ، آية 47

[4] سورة الصافات ، آية 173

[5] الشنقيطي ، **أضواء البيان** (261/5) .

[6] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (1/11) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (230/8) .

[7] سورة التوبة ، آية 94

[8] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (1/11 - 2) .

وقد سبق وصف الخائنين عند الحديث عن صفاتهم وأفعالهم بأنهم يحسنون الكذب والـدس ونسج الأباطيل ، بل ويقسمون على كذبهم ؛ لينخدع بهم الناس ويصدقونهم ، وهم لا يصْدقون . فينبغي الحذر منهم ومما يقولون . وينبغي أن يكون موقف المؤمن من خدعهم وأكـاذيبهم كمـا علمه القرآن : (قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ) . "وفِّروا عليكم معاذيركم فلن نطمئن إليكم ، ولن نصدقكم ، ولن نأخذ بظاهر إسلامكم كما كنا نفعل ؛ ذلـك أن الله قـد كشـف لنـا حقيقتكم ، وما تنطوي عليه صدوركم ، وقص علينا دوافع أعمالكم ، وحدثنا عن حالكم ، فلم تعد مستورة لا نرى إلا ظاهرها كما كنا من قبل معكم "[1].

ومن هنا يجب على المؤمنين اتخاذ موقف ثابت من كل ما يصدر من هؤلاء الخائنين مـن أقوال أو أفعال ، خاصة وأنهم يخططون ويدبرون في الخفاء ؛ للإيقاع بأبناء المجتمع المسـلم ، وبث الأراجيف والإشاعات المغرضة . وعليه فينبغي الحذر كل الحذر من الوقوع في شراكهم والانجرار إلى مكائدهم ، وتحقيق غاياتهم وأهدافهم .
ومن الأمثلة القرآنية على أراجيف الخائنين وكذبهم المغرض حادثة الإفـك ورمـيهم السـيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها بالفاحشة ، وبثهم الأراجيف والأباطيل ، وخوضهم في عـرض أشرف الناس وأطهرهم ، وفي ذلك درس عظيم للمسلمين ، سطره القرآن العظيم في آيات تتلى إلى يوم القيامة [2] مبينا كيفية التعامل مع ما يبثه هؤلاء من دس وكذب .
هذه الحادثة الرهيبة المليئة بالدروس والعبر ، توضح المنهج القرآني فـي مواجهـة الأخطـار الناشئة عن التآمر على وحدة المجتمع الإسلامي وتماسكه ، الصادرة عن الخائنين والمنـافقين .

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (282/11) .

[2] قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } . سورة النور ، الآيات : 11- 18

هذه الحادثة لا تقتصر على زمانها ، بل تمتد عبرها ودروسها إلى زماننا وإلى كل زمان إلى يوم القيامة . إنها ليست حادثة سطرها القرآن الكريم من أجل التعرف على ذلك الحدث وحسب ولكنها تعطينا المنهج والطريقة في مكافحة آفة الخيانة ، والتعامل مع آثارها ونتائجها . إنها درس تطبيقي عظيم في أفعال أهل الخيانة ، وخطورة ما يمكرون بالمؤمنين درس واضح في كيفية التعامل مع ما يصدر عنهم من كيد ومكر وتدبير وخيانة ، يريدون بها إلحاق الأذى بالمؤمنين ، وبأعراضهم ، وأمنهم ، ومجتمعهم ، واستقرارهم . فلا بد من الحذر منهم ، وعدم الثقة بهم ، ودراسة كل ما يصدر عنهم بتأن وحذر . هذا الدرس الكبير الذي يتعلمه المسلمون من هذه الحادثة العظيمة .

وبعد أن تعلمنا الآيات الكريمة المنهج في كيفية التعامل مع ما يبثه أهل الخيانة من أراجيف وإشاعات مغرضة ، وهو ما أكدت عليه آية سورة الحجرات : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ }[1] يأتي التحذير من الله تعالى للمؤمنين ، بأن رحمة الله وفضله وعفوه ، هي التي حالت بين المؤمنين وعقوبة الله تعالى . (وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . "فهي فعلة تستحق العذاب العظيم العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول صلى الله عليه وسلم وزوجه وصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيرا والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع ، ومس كل المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة والعذاب الذي يناسب خبث الكيد الذي كادته عصبة المنافقين للعقيدة لتقتلعها من جذورها حين تزلزل ثقة المؤمنين بربهم ونبيهم وأنفسهم طوال شهر كامل ، حافل بالقلق والقلقلة والحيرة بلا يقين . ولكن فضل الله تدارك الجماعة الناشئة ، ورحمته شملت المخطئين ، بعد الدرس الأليم "[2].

وقد وصف القرآن الكريم كيف راج ذلك الخبر ، وكيف تلقفته الألسن ، ووصف دور أهل الخيانة في ترويجه ، ودور الأبواق الجاهلة في ترديده . وهذا الوصف المذكور ينطبق انطباقا

---

[1] سورة الحجرات ، آية 6

[2] قطب ، **في ظلال القرآن** (80/18) .

كبيرا على حال الكثير من المسلمين اليوم ، الذين يــرددون كــل مــا يســمعون ، دون تثبــت وتمحيص ، ودون اتباع للمنهج الذي أرشد إليه القرآن الكريم في كيفية التعامل مع الخبر أيًّاً كان مصدره ، خاصة إذا كان مصدره أهل الفسق والخيانة . وهو ما أوقع المسلمين اليوم في الظلم ، والأذى لبعضهم . وقد أرشد النبي عليه السلام إلى هذا المنهج ، فقال : " كفى بالمرءِ كــذباً أن يُحَدّث بكلّ ما سمع "[1].

بهذا المنهج المبين يعلمنا القرآن الكريم كيفية التعامل مع نواتج الخيانة ، وبالتحديــد مــع الأراجيف والأكاذيب والإشاعات والأخبار المغرضة ، التــي يبثهــا الخــائنون فــي المجتمــع الإسلامي بهدف زعزعة أمنه واستقراره . وهي ذات القاعدة وهو ذات المنهج الــذي يقــرره قوله تعــالى : { وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا }[2]. وهنا " الكلام مسوق لبيان جناية أخرى من جنايات المنافقين ، ... وذلك أنه إذا غزت سرية من المسلمين ، أخبروا الناس عنها ، فقالوا : أصــاب المسلمون من عدوهم كذا وكذا ، وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا ، فأفشوه بينهم من غيــر أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يخبرهم به . ولا يكاد يخلو ذلــك مــن مفســدة . وقيل : كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء ، أو على خوف ، فيذيعونه فينتشر ، فيبلغ الأعداء ، فتعود الإذاعة مفسدة . وقيل : الضعفاء يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا ، مَظْنون غيــر معلــوم الصحة ، فيذيعونه قبل أن يحقِّقوه ، فيعود ذلك وبالا على المؤمنين . وفيه إنكار على من يحدث بالشيء قبل تحقيقه "[3].

وفعل المنافقين المذكور كان له على المسلمين بالغ " الضرر من وجوه : **الأول** : أن مثــل هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب الكثير . **والثاني** : أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمــن ، زادوا فيه زيادات كثيرة . فإذا لم توجد تلك الزيادات ، أورث ذلك شبهة للضعفاء فــي صــدق الرسول عليه السلام ؛ لأن المنافقين كانوا يروُون تلك الإرجافات عن الرسول . وإن كان ذلــك

[1] مسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب : المقدمة ، باب : النهي عن الحديث بكل ما سمع ، حديث : 5 (10/1) .
[2] سورة النساء ، آية 83
[3] الآلوسي ، **روح المعاني** (94/5) .

في جانب الخوف ، تشوَّش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب ؛ فكانت تلك الإرجافات سببا للفتنة من هذا الوجه . **الوجه الثالث** : وهو أن الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام ؛ وذلك سبب لظهور الأسرار . وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة . **الرابع** : أن العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين وبين الكفار ، وكان كل واحد من الفريقين في إعداد آلات الحرب ، وفي انتهاز الفرصة فيه . فكل ما كان آمنا لأحد الفريقين ، كان خوفا للفريق الثاني . فإن وَقَعَ خَبَرُ الأمن للمسلمين ، وحصول العسكر وآلات الحرب لهم ، أرجف المنافقون بذلك ، فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار ، فأخذوا بالتحصن من المسلمين ، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم . وإن وقع خبر الخوف للمسلمين ، بالغوا في ذلك وزادوا فيه ، وألقوا الرعب في قلوب الضعفة والمساكين . فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشأ للفتن والآفات من كل الوجوه . ولما كان الأمر كذلك ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير ، ومنعهم منه "[1].

ولو أنهم ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور ، أو أهل الاختصاص والتجربة في أمور الحرب ومكايدها ، لعلموا كيفية التعامل مع الأخبار والمواقف ، وما صح منها وما بطل ، وما يُسمح ببثه وما لا يسمح به ، ولتوقوا بذلك الأثر السيئ الناتج عن التسرع في بث الأخبار على علاتها[2].

وقد كان أهل الخيانة والنفاق على مدى الزمان ، في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وفي كل العهود والأزمنة ، يتقنون فن الإرجاف ونشر الشائعات والأكاذيب ، خاصة في أوقات الأزمات وظروف اضطراب الأمن ؛ وذلك لتثبيط المسلمين والفَتِّ في عضدهم والنيل من صمودهم . وكانوا للأسف يجدون أبواقا في كل زمان ، تردِّد أراجيفهم وتنقل أكاذيبهم ، وتبث شائعاتهم .

فقد بلغنا ما بث أهل الخيانة والغدر من أراجيف وأكاذيب ؛ بهدف التثبيط ، وضرب معنويات المسلمين في الحروب والغزوات . كما فعلوا في أحد والخندق وغيرها من المشاهد . فقد ذكر الله تعالى بعض ما كانوا قالوه في الخندق ، في لحظات الشدة والضيق ، حيث بلغت القلوب الحناجر : { وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا

---

[1] الرازي ، **التفسير الكبير** (158/10) .

[2] انظر : الزمخشري ، **الكشاف** (572/1) . الشوكاني ، **فتح القدير** (491/1) .

غُرُورًا }[1]. وفي أحد كان لإذاعة خبر موت النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ الآثار السيئة في قوة الجيش المعنوية حين قال المنافقون : إن كان محمدا قد قتل ، فالحقوا بدينكم الأول ، وكاد الأمر يصل بالمؤمنين إلى الهزيمة المنكرة ، لولا نزول الوحي بالعلاج[2] ، حيث نزل قوله تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ }[3].

والمشكلة في خطورة الخائنين تكمن في وجود سمّاعين لهم بين المؤمنين ، مما يؤدي إلى زيادة خطورة أراجيفم وكيدهم قال تعالى في المنافقين[4] : { لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ }[5].

وتكمن خطورتهم أيضا في " أنهم إنما يحاربون الإسلام باسمه ، ويكيدون له بسلاحه . يتلاعبون بما فيه من أحكام باسم الإصلاح والمرونة والتمسك بروح التشريع ، ويستخرجون منه الفتاوى الملفقة المصطنعة ؛ تحقيقا لأمانيهم ، أو تقربا إلى أسيادهم وأولياء نعمتهم .

والعظة التي ينبغي أن يأخذها المسلمون من هذا الدرس هي أن يحذروا عدوهم الخارجي مرة ، على أن يحذروا المنافقين فيهم ألف مرة ، وأن يحاربوا أول ما يحاربون ما قد يشيع بينهم من النفاق "[6].

فالمنهج الإلهي في التعامل مع ما يبثه أهل الخيانة من أراجيف وإشاعات يقتضي :

1 - : امتناع الشرفاء عن الدس واختلاق الأكاذيب ، وتحريف الأخبار ؛ وذلك ليتميز أهل الخيانة بهذا الفعل ، فيُعرَفون به ، فيصبح علامة لهم لا يشاركهم فيها أحد .

2 - : التأني والتأمل والتحقق من كل خبر ، خاصة إذا كان مصدره مشبوها . وأفضل الوسائل للتحقق من الخبر ، رده إلى أهله ؛ لمعرفة حقيقته .

---

[1] سورة الأحزاب ، آية 12

[2] انظر : الآلوسي ، **روح المعاني** ، (72/4) . شلتوت ، محمود ، ت1963م ، **تفسير القرآن الكريم** ، دار القلم بدون بلد النشر ، (ط1965/3م) (ص252) .

[3] سورة آل عمران ، آية 144

[4] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (144/10) . القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (156/8) .

[5] سورة التوبة ، آية 47

[6] البوطي ، **فقه السيرة** (ص412) .

3 - : عدم ترديد الأراجيف والأخبار قبل التحقق من صحتها ، وترك الإعلان عنها لأهل الأمر
4 - : إذا كان الخبر مما يمس عرض مسلم أو يَنْتَقِص منه ، أو فيه اتهام لأحد المسلمين ، فعلى المسلم المبادرة إلى رفض هذا الخبر ، ما لم يثبت بالدليل القاطع ، وعليه الظن بإخوانه المسلمين خيرا ، بل ووضع علامة الاستفهام على كل من يروجون مثل هذه الأخبار .
بهذا تتم محاصرة كيد الخائنين ، والحد من تفاقم شرهم وأذاهم ، وهذا من وسائل علاج ظـــاهرة الخيانة وآثارها .

خامساً : محاربتهم والقسوة عليهم

أمرنا الله تعالى بقتال أهل الخيانة والغدر ، ولو كانوا معاهدين ، إذا بدر منهم ما يدل على خيانة العهد والميثاق وأرشدنا إلى التحلل من عهودهم وإخبارهم بذلك قبل قتالهم فلا يَقبل الله تعالى للمسلم أن يُسْتَغْفَل ، وأن يُغْدَر به ويُؤْخذ على حين غِرة تحت عنوان التمسك بالعهود بل إنه لا حرمة لكل الاتفاقيات والمواثيق والعهود في ظل الخيانة والغدر والتـــآمر ولـــيس للمتـــآمرين الخائنين إلا القتال والحرب ؛ لأن استمرار المسالمة والمهادنة معهم مع وجود الغـــدر والخيانـــة والمخالفة للاتفاقيات والعهود منهم ، يعد تخاذلا واستسلاما وخنوعا وذلة .

قـــال تعـــالى : { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ }[1]. الخطاب في الآية الكريمة موجه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عام لأمته من بعده ، يقول تعالى ذكره : وإما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد ، أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر ، فرد عليهم عهدهم وأعلمهـــم قبـــل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ؛ بما كان منهم من ظهور آثار الغـــدر والخيانـــة منهم ، حتى يأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ أنت من الغدر . إن الله لا يحب الخائنين الغـــادرين . وذلك كالذي كان من بني قريظة حين نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم يـــوم الأحزاب ، بعد أن كانوا عاهدوه على مسالمته ، وعدم التآمر عليـــه ، وحمايـــة المدينـــة مـــن جهتهم فكانت موافقتهم للأحزاب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبا لرد عهودهم وقتالهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك حُكْم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهـــر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصـــحابه من قريظة فحق على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنهم بالحرب [2].

---

[1] سورة الأنفال ، آية 58

[2] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (10/26 - 27) .

أخرج الترمذي من حديث سليم بن عامر قال : " كان بين معاويةَ وبين أهلِ الرومِ عهدٌ وكان يسيرُ في بلادِهم ، حتى إذا انْقَضَى العهدُ أغارَ عليهم . فإذا رجلٌ على دابــةٍ ، أو علــى فرسٍ ، وهو يقول : الله أكبرُ وفاءٌ لا غدرٌ وإذا هو عمرو بنُ عَبَسَةَ فسأله معاويةُ عن ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان بينَه وبين قومٍ عهدٌ ، فلا يَحُلَّــنَّ عهداً ولا يَشُدَّنَّهُ حتى يمضي أَمَدَهُ ، أو يَنْبِذَ إليهم على سواء . قال : فرجع معاويةُ بالناسِ "[1].

هذا الحكم في التعامل مع المعاهدين فيما إذا لو بدر منهم ما يدل علــى الخيانــة ونقــض العهد . فكيف إذا بدر منهم الخيانة بذاتها ونقض العهد والميثــاق علانيــة ، بصــورة لا تقبــل التأويل ؟ كأن يبادروا إلى الاعتداء على أرض المسلمين ، أو أبناء المسلمين ، أو مقدســاتهم هل يبقى بعد ذلك مجال للإبقاء على العهود معهم ؟ إن الإبقاء على العهد معهم يدل بذاته علــى الخيانة والتواطؤ معهم ضد المسلمين . وفيه مخالفة صريحة لما أمر الله تعالى به في الآية سالفة الذكر ، عدا عن الكثير من الآيات التي تأمر بقتال المعتدي ورد الاعتداء كقوله تعــالى فــي ناقضي العهــود مــنهم : { ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ }[2].

هذا بالنسبة للمعاهدين الذين تظهر منهم الخيانة والغدر ، أما الذين سِمَتُهم الخيانــة ممــن يَتَسَمَّون باسم الإسلام ، ويطعنون المسلمين من الخلف فإذا لم تُجْدِ معهم الخطوات السابقة ، فلم يضرهم الإعراض عنهم ، ولم يستجيبوا للنصح والتذكير ، واستمروا على ما هم عليه من الغدر والخيانة والأذى والتربص بالمسلمين وإيقاع الفتنة بينهم ، لا بد عنــدها مــن إعــلان الحــرب عليهم ، وأخذهم بالشدة والقسوة وهو ما جاء صراحة في قوله تعــالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ }[3]. فما معنى الأمر الوارد في الآية الكريمة بمجاهدة المنافقين ؟ مع العلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لــم يقتــل

---

[1] الترمذي ، **الجامع الصحيح** ، كتاب : السير عن رسول الله ، باب : ما جاء في الغدر ، حــديث : 1580 (143/4) .
قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

[2] سورة الأنفال ، آية 56 - 57

[3] سورة التوبة ، آية 73

المنافقين الذين كانوا في المجتمع المسلم ، مع علمه بأسمائهم ، فكيف يتم التوفيق بين الأمر الوارد بقتالهم في الآية الكريمة ، وفعل النبي عليه الصلاة والسلام ؟

نقل الإمام الطبري أقوال الصحابة والمفسرين في تأويل مجاهدة الكافرين ، ثم وفَّق بين ما ظاهره التعارض فقال : واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به في المنافقين . فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فلْيَكْفَهِر في وجهه . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان ، وأَذْهَبَ الرفق عنهم . وفي رواية أخرى له يقول : الكفار بالقتال ، والمنافقين أن تغلظ عليهم بالكلام ومثل هذه الرواية عن الضحاك . وعن الحسن : والمنافقين أقم عليهم حدود الله ومثل هذه الرواية عن قتادة . وقال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين ، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين [1].

ثم عقب الطبري بذكر وجه الترجيح في المسألة ، فقال : " فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه ، مع علمه بهم ؟ قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك . وأما من إذا اطُّلِع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : إني مسلم ، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقدا غير ذلك . وتَوَكَّل هو جل ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر ؛ فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم وإطْلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله ؛ لأن أحدهم كان إذا اطُّلِع عليه أنه قد قال قولا كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه . فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره إياه ، وعزمه على إمضاء الحكم فيه . دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم . وتولَّى الأخذ به هو دون خلقه "[2].

فالقول الذي يتوافق مع ظاهر النص وسياقه هو قول ابن مسعود وقد وافقه الزجاج . " قال الزجاج ، وهو متعلق في ذلك بألفاظ ابن مسعود : أمر في هذه الآية بجهاد الكفار والمنافقين

---

[1] انظر : الطبري ، **جامع البيان** (10/183 - 184) .

[2] المرجع السابق ، (10/184) .

بالسيف ، وأُبيح له فيها قتل المنافقين "[1]. وباقي الأقوال المنقولة لا دليل عليها ، بل هي مخالفة للمعنى المتبادر من المجاهدة . كما أن السياق الذي جاء فيه الأمر (جاهد) جمع بين الكفار والمنافقين . والمراد المتبادر من الجهاد هو مجاهدتهم بالسيف . فلماذا التفريق بين ما ظاهره متماثلا من غير نص ولا دليل ؟ أما القول إن المقصود : إقامة الحدود عليهم فيرد ابن العربي عليه بقوله : إنها " دعوى لا برهان عليها ، وليس العاصي بمنافق ، إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامنا ، لا بما تتلبس به الجوارح ظاهرا . وأخبار المحدودين يشهد مساقها أنهم لم يكونوا منافقين "[2].

أما القول بأن المقصود إقامة الحجة عليهم والإغلاظ عليهم بالكلام ، فهو " بعيد ؛ لأن ظاهر قوله تعالى : جاهد الكفار والمنافقين ، يقتضي الأمر بجهادهما معا ، وكذا ظاهر قوله : واغلظ عليهم ، راجع إلى الفريقين "[3]. فما معنى الغلظة في جهادهم بالحجة ؟ هذا التأويل جاء ليتساوق فقط مع جو الآية التي تأمر بمجاهدتهم مع أن الله تعالى في موضع آخر وصف توجيه الكلام إليهم بالموعظة فقال : { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا }[4]. وقال الواحدي في تفسيره : " أنه نُهي عن قتل المنافقين في ابتداء الإسلام ثم نسخ بقوله : جاهد الكفار والمنافقين "[5]. ولم يذكر صاحب القول دليلا على النسخ . والحقيقة أن الآية مصرِّحة بقتل المنافقين ، والأمر الوارد فيها يُؤخذ على ظاهره من غير تأويل . ويبقى السؤال : هل يُقتل كل منافق ؟ وهل الأمر الوارد يُقصد به السماح بقتالهم عند ظهور ما يوجب ذلك منهم ، أم قتالهم لمجرد نفاقهم ؟

إن الإسلام لا يقبل من أحد من داخل المجتمع الإسلامي أو من خارجه أن يعتدي على المسلمين ، أو أن يُزَعزع أمن المجتمع وسلامته ، أو أن ينقل أخبار المسلمين لأعدائهم ، أو أن يفسد في المجتمع ويثير الفتن والقلاقل ، وينشر الرذائل ، ويعتدي على الأعراض ، أو غير ذلك من أفعال الخائنين . ومن صدر منه مثل هذه الأعمال ، أو ثبت بحقه أي فعل من أفعال الخيانة ، لا بد من معاقبته ومنعه من فعله ، ووقف إفساده . والعقوبة تُقَرَّر عليه حسب جرمه فإن كانت تستوجب الحد عوقب به ، وإلا عزِّر حسب جرمه .

---

[1] ابن عطية ، **المحرر الوجيز** (59/3) .

[2] ابن العربي ، **أحكام القرآن** (544/2) .

[3] الرازي **التفسير الكبير** (107/16) .

[4] سورة النساء ، آية 63

[5] الواحدي ، **الوجيز** (277/1) .

والخيانة أنواع ، فمن وقع في خيانة العرض وقع عليه الحد . ومن وقع في خيانة الأمة والوطن اجتهد في عقوبته العلماء كما ورد في حكم قتل الجاسوس [1].

وقد فصل عبد الرحمن السعدي القول في المسألة فقال عن جهاد المنافقين المقصود في الآية : " وهذا الجهاد يدخل فيه : الجهاد باليد ، والجهاد بالحجة واللسان . فمن بارز منهم بالمحاربة ، فيجاهد باليد واللسان والسيف والسنان ، ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد ، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان "[2]. فيكون عقابهم ومحاربتهم آخر الدواء . وكما قيل : آخر الدواء الكي . ف " إن للين مواضعه وللشدة مواضعها . فإذا انتهى أمد اللين فلتكن الشدة ، وإذا انقضى عهد المصابرة فليكن الحسم القاطع . وللحركة مقتضياتها ، وللمنهج مراحله . واللين في بعض الأحيان قد يؤذي ، والمطاولة قد تضر "[3].

وبهذا فقد تدرج القرآن في توجيهاته في مكافحة هذه الآفة ابتداء بتحصين الأجيال من الوقوع في هذه الآفة . ثم محاربة المجرمين بدءا بالموقف القلبي والنفسي منهم وبغضهم والبراءة منهم ومن أعمالهم ، إلى موعظتهم وتقديم النصح إليهم ، ثم الحذر من أقوالهم وأفعالهم وكل ما يصدر عنهم وكيفية التعامل مع ذلك . ثم الاستعانة بالله عليهم . وبعد ذلك الغلظة والقسوة عليهم ، بل ومحاربة وقتال من يستحق ذلك منهم .

---

[1] انظر ص86

[2] السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن** (ص344) .

[3] قطب **في ظلال القرآن** (255/10) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فله الحمد سبحانه على ما منّ به من إعانة وتوفيق في إتمام هذا العمل ، وإنجاز هذه الدراسة ، فله الحمد كل الحمد على جزيل كرمه ، وكثير نعمه وعطاياه . والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء ، صلاة أختم بها هذه الدراسة ، راجيا ببركتها أن يمن الله تعالى علي بقبول هذا الجهد ، إنه سميع مجيب .

وبعد ، ففي ختام هذه الدراسة ، وبعد تمام هذا الجهد ، لا بد من تسجيل أبرز ما توصلت إليه من نتائج ، وخلاصة ما ذكرت فيها من أمور ، أجملها فيما يأتي :

1 - أكد القرآن الكريم على خطورة ظاهرة الخيانة من خلال حشد كبير من الآيات القرآنية ، التي ذكر فيها لفظة الخيانة ، ونظائرها ، كالكيد والمكر والتجسس والخداع والنفاق ، وكانت في معظمها آيات مدنية ؛ خاصة تلك التي عالجت موضوع النفاق تلك الظاهرة التي نشأت في المجتمع الإسلامي.

2 - الأمانة بمعناها الواسع تشمل كل ما اؤتمن عليه الإنسان ، من أمانة التكاليف الشرعية ، وأمانة الوطن والمقدسات ، وأمانة العهد والميثاق ، وأمانة الودائع والأموال ، وأمانة العرض ورابطة الزوجية ، وأمانة النفس والجوارح ، وغير ذلك من الأمانات التي يطالب المسلم بأدائها ، ويحرم عليه خيانتها .

3 - الأمانة الكبرى هي أمانة الدين ، وهي تشمل غيرها من أنواع الأمانات ، وخيانتها تكون بالخروج عن التكاليف الشرعية التي كتبها الله على عباده .

4 - التآمر على مقدرات المسلمين ومصالحهم وأرضهم ومقدساتهم ، والتلاعب بأمنهم وأرواحهم واقتصادهم وأرزاقهم ، وتقديم المساعدة لأعدائهم ؛ للإضرار بالمسلمين ، كل ذلك خيانة للأمة .

5 - انتهاك الأعراض بالزنا ، أو القذف ، أو حتى النظرة المحرمة ، هو خيانة للعرض .

6 - الروايات الواردة في تفسير قول النبي عليه الصلاة والسلام : " ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر " والتي تنسب لحواء إغواء آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة ، كلهـا روايات لا تستند إلى دليل صحيح ، بل فيها تأثر واضح بالإسرائيليات . والصحيح إن خيانة حواء لزوجها كانت بترك النصيحة له في أمر الأكل من الشجرة ، لا في غيـر ذلك ، كما قال ابن الجوزي رحمه الله .

7 - جوارح الإنسان أمانة عنده ، فمن استخدمها في الحرام ، وفـي أذى المسـلمين ، فقـد خانها ، وستشهد عليه يوم القيامة .

8 - ما ورد من صفات الخائنين وأفعالهم ، ومصيرهم ومآلهم يوم القيامة ، والمـأخوذ مـن آيات النفاق ، إنما يُراد به الخيانة العظمى أي (خيانة الدين والأمة) ، كما أن النفـاق الذي تحدّث عنه القرآن الكريم ، وأبان فيه ضفات المنافقين وأفعالهم ومصيرهم ، يُراد به النفاق الأكبر .

9 - النفاق كالكفر ، نفاق دون نفاق . فالمتهمون بالنفاق ليسوا نوعا واحدا ، بل فيهم المنافق المحض ، وفيهم من فيه إيمان ونفاق ، وفيهم من إيمانه غالب ، وفيه شعبة من النفاق . وكذلك أهل الخيانة ليسوا بمستوىً واحد ، فلا تعد خيانة (الدين والأمة والعـرض) كخيانة العين بالنظرة المحرمة .

10 - من أبرز صفات الخائنين ، التآمر والكيد بالخفاء ، وتبييت الخيانة ، وتـدبير الشـر بالسر والكتمان ؛ خشية منهم في افتضاح أمرهم ، وهـم يحرصـون علـى التسـتر بالكذب ، وإظهار الموادعة .

11 - وصف الله تعالى الخائنين بأنهم ضالون ، ويائسون من رحمة الله ، يملأ قلوبهم الحقد على المؤمنين ، كما وصفهم القرآن الكريم بالجبن والبخل والجهل والكـذب والغفلـة والكسل ، وغير ذلك من الصفات القبيحة .

12 - أبان القرآن الكريم جملة من أفعال الخائنين الخبيثة . منها : الصد عن سبيل الله والدعوة إلى المنكر ، والاستهزاء بآيات الله ، وموالاة الكفار وفعل أفعالهم ، ورفض التحاكم إلى شرع الله تعالى ، والإفساد في الأرض .

13 - هناك قواسم مشتركة كثيرة بين الكفار ، وأهل الخيانة ، لانطباق صفات وأفعال أهل الخيانة على ما ذكره الله تعالى بحق الكفار المعادين . فهم في الكفر سواء ، كما أنهم في العاقبة يوم القيامة سواء .

14 - نهى الله تعالى عباده من سلوك طريق الخائنين ، ونفّرهم من ذلك ، ببيان خطورة أفعال الخائنين ، وكشف الستار عنهم ، والحكم عليهم باللعن والطرد من رحمته ، وبيان عاقبتهم ومآلهم .

15 - خص القرآن الكريم أهل الكتاب بالحديث عن خيانتهم لدينهم وللناس ، ونقضهم العهود والمواثيق بعد توكيدها مع الله ومع عباده ، وهو ما يؤكده تاريخهم مع أنبيائهم ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع الناس إلى يومنا هذا .

16 - من أمثلة خيانة العرض في القرآن الكريم ، ما حدث من امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ، الذي أبى الوقوع في الخيانة . وما ورد ذكره في القرآن الكريم عنه في قوله تعالى : { وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ } ، لا يحتمل تجاوب يوسف الفعلي مع إرادة امرأة العزيز ، كما ورد في بعض كتب التفسير ، وإنما هو الهم البشري الفطري ، الذي لا يرافقه ميل جسدي ، أو عدم وقوع الهم منه أصلا لوجود برهان ربه . وهذا القول الذي يتوافق مع عصمة الأنبياء ، ومع سياق الآيات الذي يمدح صنيع يوسف العفيف عليه السلام .

17 - لا يوجد معايير أخلاقية ولا إنسانية عند أهل الخيانة ، ويتبدى ذلك واضحا في قصة خيانة إخوة يوسف عليه السلام لأخيهم وأبيهم .

18 - خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام ، الوارد ذكرها في قوله تعـالى : { كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا } هي خيانتهما في الدين ، إذ كفرتـا ولم تتبعانهما . وليس المقصود خيانة العرض ، فلم تزن امرأة نبـي قـط . وتصـور خيانتهما على أنها خيانة العرض ينفر من صاحب الرسالة ، وينسب إليه النقص .

19 - من وقع في الخيانة العظمى ، كخيانة الأمة والوطن ، يجب إيقاع العقوبـة المناسـبة بحقه ضمن معايير تتعلق بالفاعل والفعل الذي أقدم عليه ، وما كان من حاطب بن أبي بلتعة ، وعفو النبي عليه الصلاة والسلام عنه ، فيه خصوصية له ، كونه مـن أهـل بدر ، وهو ما لا ينطبق على أحد اليوم.

20 - يواجه خائنو الأمانات في الدنيا الحرمان من هداية الله تعالى ، ويجعل الله كيدهم فـي نحورهم ، ويلبسهم لباس الذل والصغار ، ويهلكهم ويدمرهم . ثم إن الله تعالى أعد لهم أصنافا من العذاب يوم القيامة ، فهم في الدرك الأسفل من النار ، كما وإنه يُحال بينهم وبين المؤمنين بسور ، وتظهر عليهم علامات الحسرة والندم ، ويفضحهم الله تعـالى على رؤوس الأشهاد .

21 - أهم سبل معالجة الخيانة يكون بالوقاية والتحصين من خلال تربية النشء على مراقبة الله تعالى في كل عمل ، وتعليمهم أداء الأمانات على أكمل وجه ، وعدم الوقوع فـي الخيانة مهما دقّت ، وهناك أساليب كثيرة أرشد القرآن الكريم إلى اتباعها في معالجـة ظاهرة الخيانة كالحذر من أراجيف الخـائنين ، وتعـريتهم وفضـحهم ، ومحـاربتهم والقسوة عليهم .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الآيات القرآنية

	{ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ... }	120	166 99
	{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ ... }	144	173
	{ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ... }	154	97 95
	{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ... }	161	147 33
	{ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ ... }	167	109
النساء	{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ ..}	21	46
	{ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ... }	46	59
	{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ ... }	58	1
	{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ... }	60	115
	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... }	61	115 107
	{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي ... }	63	177 158 155
	{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ... }	64	157
	{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ..}	65	113
	{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... }	75	59
	{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... }	76	126
	{ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ... }	78	103
	{ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ ... }	81	167 158 94
	{ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ... }	83	171
	{ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم ..}	88	96
	{ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ... }	89	159 112
	{ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ... }	105	161 91 24
	{ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا ... }	106	161

	{ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ ... }	107	21 ، 24 ، 91 92 161
	{ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ ... }	108	92 161
	{ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ ... }	109	161
	{ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا }	138	111 142
	{ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ... }	139	111
	{وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ... }	140	164
	{ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٌ ...}	141	99
	{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ... }	142	31، 104 ، 127 146
	{ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ... }	143	105
	{ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ ... }	145	143
	{ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ ... }	146	157
المائدة	{ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ... }	13	22 39 61
	{ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ... }	44	115
	{ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ... }	50	115
	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ ... }	51	43
	{ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ... }	52	44 63
	{ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ... }	80	44
	{ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ ... }	81	44 85
الأنعام	{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ ... }	123	123 133
	{ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ ... }	124	123 135

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف	{ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن ... }	82	117
	{ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ ... }	83	81
	{ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ ... }	84	81
	{ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ... }	99	98 141
	{ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ ... }	123	117
	{ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ... }	186	132
الأنفال	{ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ}	18	139
	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ ... }	24	15 113
	{ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ... }	25	15
	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ ... }	27	1 ، 14 ، 15 19 24 32 ، 36 38 40 90
	{ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ ... }	28	15
	{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ... }	30	15 124 167
	{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا ..}	31	108
	{ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي ... }	49	97
	{ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ ... }	56	57 175
	{ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم ... }	57	175
	{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ ... }	58	22 158 174
	{ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ ... }	62	31 166
	{ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ ... }	71	25 ، 37 ، 136 137
	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ... }	72	159

التوبة	{ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ ...}	8	95 122
	{ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ ... }	9	108
	{ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ... }	10	122
	{ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ... }	11	157
	{ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا ... }	42	95
	{ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ... }	45	98
	{ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا ... }	47	173
	{ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ ... }	54	102 104
	{ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ ... }	57	101
	{ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ ... }	64	95 127 136
	{ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا ... }	65	108 110
	{ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ... }	66	110
	{ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ ... }	67	33 ، 96 ، 107 160
	{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ... }	68	137 143
	{ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ ... }	70	122
	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ...}	73	175
	{يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ ... }	74	110
	{ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن ... }	75	101
	{ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ ... }	76	102
	{ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ... }	77	102
	{ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ ... }	81	101

	{ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ ... }	94	168 136
	{ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ ... }	95	158
	{وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ ..}	101	137
	{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... }	113	165
	{ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا ...}	114	164
	{ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ ... }	118	152
هود	{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ... }	40	81
يوسف	{ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ ... }	7	72
	{ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا ... }	8	72
	{ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ ... }	9	72
	{قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ ...}	10	72
	{ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ ... }	11	72
	{ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا ... }	12	72
	{ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ ... }	13	72
	{ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ... }	14	72
	{ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ ... }	15	72
	{ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ }	16	72
	{ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ ... }	17	72
	{ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ... }	18	72
	{ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ... }	19	73
	{ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ ... }	20	73
	{ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ...}	23	64

	{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن ... }	24	64
	{وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ...}	25	64
	{ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ... }	26	64
	{ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ...}	27	64
	{ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ ... }	28	64 125
	{ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى ... }	29	64
	{ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ ... }	51	70
	{ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ... }	52	25 ، 29 ، 70 94 131
	{ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ... }	53	50
	{ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ ... }	64	79
	{ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... }	86	78
الرعد	{ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا ... }	33	97
إبراهيم	{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا ... }	42	79
	{ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ ... }	46	125
النحل	{ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ... }	26	140
	{ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ..}	45	140
	{ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ }	46	141
	أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ ... }	47	141
	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ... }	104	131
الإسراء	{ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ... }	16	133
طه	{ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ... }	43	155

	{ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ ... }	44	155
	{ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ }	60	124
	{ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ ... }	69	124
الحج	{ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ... }	38	157 167
المؤمنون	{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ }	5	46
	{ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ...}	6	46
	{ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ ... }	7	46
النور	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ... }	11	47 169
	{ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ... }	12	169
	{ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ... }	13	169
	{ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ ... }	14	169
	{ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ ... }	15	169
	{ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ ... }	16	169
	{ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا ... }	17	169
	{ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ... }	18	169
	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ ... }	19	120
	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ... }	23	47
	{ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ ... }	24	154
	{ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ... }	30	52
	{ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ..}	31	49 52
	{ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ ... }	47	115
	{ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ ... }	48	116

	{ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ }	49	116
	{أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ ..}	50	116
	{ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ ... }	51	116
الفرقان	{ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ ... }	27	149
	{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ... }	31	133
	{ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ ... }	44	130
النمل	{ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا ... }	50	138 28
	{ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ ... }	51	138
	{ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ ... }	52	138
العنكبوت	{ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ...}	11	126
الروم	{ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ ... }	47	168
الأحزاب	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ... }	1	160
	{ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي ... }	12	173 98
	{ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ }	32	49
	{ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي ... }	60	119
	{ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ ...}	61	128
	{ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... }	72	36 13 11
	{ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ... }	73	144
سبأ	{وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ...}	33	148 124
فاطر	{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ... }	10	142 134
	{ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ ... }	43	134 123
الصافات	{ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ }	173	168

الزمر	{ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ ... }	36	168
غافر	{ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ...}	19	11 21 52 95 151
	{ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ... }	25	139
	{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ... }	26	116
	{أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ...}	37	139
	{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ ... }	45	139 167
فصلت	{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ...}	17	96
	{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ ... }	19	54
	{ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ ... }	20	54
	{ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ ... }	21	54
	{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ ... }	22	54
	{ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ ... }	23	54
محمد	{وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ..}	20	100
	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ ... }	25	44 110
	{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ ... }	26	44 110
	{أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن ...}	29	99 127
	{وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ..}	30	99
الفتح	{ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ... }	6	97 144
الحجرات	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ ... }	6	170
	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ... }	12	30 151
الطور	{ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ... }	42	140

	{ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ ... }	45	142
	{ يَوۡمَ لَا يُغۡنِى عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا ... }	46	142
الحديد	{ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ ... }	13	144
	{ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ... }	14	98 144
	{ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٌ وَلَا مِنَ ... }	15	144
المجادلة	{ لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ... }	22	44 85
الحشر	{ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ ... }	11	44 112
الممتحنة	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى ... }	1	40 ، 83 ، 85 159
	{ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ ... }	9	44
المنافقون	{ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ ... }	1	104
	{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ...}	2	95
	{ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ ... }	4	100 128 136
	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ ... }	5	108
	{ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ ... }	7	103
	{ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ... }	8	103
الطلاق	{ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ... }	3	168
التحريم	{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ... }	8	146
	{ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ... }	10	25 38 80
الملك	{ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا ... }	10	149
نوح	{ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا }	13	23
	{ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا كُبَّارًا }	22	28 125 133

المطففين	{ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ... }	29	109
	{ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ }	30	109
	{ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ }	31	109
	{ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ }	32	109
	{ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ }	33	109
	{ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ ... }	34	109 128
	{ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ }	35	109
	{ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }	36	109
الطارق	{ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ }	9	147
	{ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا }	15	29 124
	{ وَأَكِيدُ كَيْدًا }	16	29 124
	{ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا }	17	124
الهمزة	{ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ }	7	147
الفيل	{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ }	1	133
	{ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ }	2	133
	{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ }	3	133
	{ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ }	4	134
	{ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ }	5	134

فهرس الأحاديث النبوية

26	لم أتخلف عن رسول الله عليه السلام في غزوة	البخاري ومسلم	153
27	لما نزل صوم رمضان	البخاري	18
28	لولا بني إسرائيل لم يخنز اللحم	البخاري ومسلم	47
29	ليس صلاة أثقل على المنافقين	البخاري ومسلم	105
30	ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول	البخاري ومسلم	148
31	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة	مسلم	106
32	المسلم أخو المسلم لا يخونه	الترمذي	152
33	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	البخاري	159
34	من استعملناه منكم على عمل	مسلم	153
35	من كان بينه وبين قوم عهد	الترمذي	175
36	هل تدرون مم أضحك ؟	مسلم	54

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

1 - الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ، ت 1270هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

2 - الأحمد نكري ، عبد النبي بن عبد الرسول ، ت 961هـ ، **دستور العلماء ، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** ، تحقيق : حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1421/1هـ) .

3 - الأدنه وي ، أحمد بن محمد ، ت ق11هـ ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم السعودية ، (ط1417/1هـ) .

4 - الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، ت270هـ ، **تهذيب اللغة** تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط2001/1م) .

5 - الأعشى ، ميمون بن قيس بن جندل ، ت 7هـ ، **ديوان الأعشى** ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

6 - الألباني ، محمد ناصر الدين ، ت 1420هـ ، **صحيح الجامع الصغير وزيادته** ، المكتب الإسلامي بيروت (ط1406/2هـ) .

7 - الألباني ، محمد ناصر الدين ، ت1420هـ ، **صحيح وضعيف سنن الترمذي** مكتبة المعارف الرياض (ط1/ بدون سنة نشر) .

8 - البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي ، ت 256هـ ، **الجامع الصحيح المختصر** تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت ، (ط1407/3هـ) .

9- البستي ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد ، ت354هـ ، **مشاهير علماء الأمصار** تحقيق : م. فلايشهمر ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط سنة 1959م) .

10- البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد ، ت516هـ ، **معالم التنزيل في التفسير** تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

11- أبو البقاء ، الحسيني أيوب بن موسى ، ت 1094هـ ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، تحقيق : عدنان درويش وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (طبعة سنة 1419هـ) .

12- البوطي ، محمد سعيد رمضان ، **فقه السيرة** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1410هـ) .

13- البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، ت 685هـ ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

14- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله ، ت458هـ ، **كتاب الزهد الكبير** ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، (ط / 1996م) .

15- الترمذي ، أبو عبد الله الحكيم محمد بن علي بن الحسن ، ت 320هـ ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت ، (طبعة سنة 1992م) .

16- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي ، ت 279هـ ، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

17 - أبو تمام ، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، ت 231هـ ، **ديوان أبي تمام** (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) .

18 - ابن تيمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت728هـ ، **الفتاوى الكبرى** ، قدّم له : حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

19 - ابن تيمية ، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت 728هـ ، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)** ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد العاصمي ، مكتبة ابن تيمية ، (ط2/بدون سنة نشر) .

20 - الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، ت 427هـ ، **الكشف والبيان** ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط1/1422هـ) .

21 - الثعلبي ، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر ، ت422هـ ، **التلقين في الفقه المالكي** ، تحقيق : محمد ثالث سعيد الغاني ، المكتبة التجارية مكة المكرمة ، (ط1/1415هـ) .

22 - الثوري ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق ، ت161هـ ، **تفسير سفيان الثوري** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1403هـ) .

23 - الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، ت 816هـ ، **التعريفات** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ، (ط1/1405هـ) .

24 - الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، ت 370هـ ، **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (طبعة سنة1405هـ) .

25 - الجلالين ، المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد ، ت 864هـ ، والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت 911هـ ، **تفسير الجلالين** ، دار الحديث القاهرة ، (ط1/بدون سنة نشر) .

26 - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **ذم الهوى** تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، (طبعة سنة 1962م) .

27 - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **زاد المسير في علم التفسير** ، دار المكتب الإسلامي بيروت ، (ط3/1404) .

28 - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **كشف المشكل من حديث الصحيحين** تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن الرياض ، (طبعة سنة 1418هـ) .

29 - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت 597هـ ، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1/1404هـ) .

30 - جوهري ، طنطاوي ، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم** ، المكتبة الإسلامية بدون بلد نشر ، (ط3/1974م) .

31 - الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت 405هـ ، **المستدرك على الصحيحين مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1411هـ) .

32 - ابن حبيب ، الحسن بن عمرو ، ت 799هـ ، **المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم** ، تحقيق : مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث القاهرة ، (ط1/1416هـ) .

33 - الحلبي ، علي بن برهان الدين ، ت 1044هـ ، **إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون** ، دار المعرفة بيروت ، (طبعة سنة 1400هـ) .

34 - حمدون ، غسان ، **من نسمات القرآن كلمات وبيان** ، راجعه وقدم له : جميل غازي وآخرون ، دار السلام بدون بلد نشر ، (ط1407/2هـ) .

35 - أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، ت 745هـ ، **البحر المحيط** ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية لبنان ، (ط1422/1هـ) .

36 - الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** ، الدار الشامية بيروت ، (ط1991/1م) .

37 - ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ، ت281هـ ، **مكارم الأخلاق** ، نحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، دار مكتبة القرآن القاهرة ، (طبعة سنة 1411هـ) .

38 - ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ، ت281هـ ، **الورع** تحقيق : أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود ، الدار السلفية الكويت ، (ط1/ 1408هـ) .

39 - الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي لبنان ، (ط1/ 1407هـ) .

40 - الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **تذكرة الحفاظ** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/ بدون سنة نشر) .

41 - الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **سير أعلام النبلاء** تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1413/9هـ) .

42- الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت 748هـ ، **المعجم المختص بالمحدثين** ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق الطائف ، (ط1/ 1408هـ) .

43- الذهبي ، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت748هـ ، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق : بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1/ 1404هـ) .

44- الرازي ، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، ت 327هـ ، **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية صيدا ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

45- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي ، ت 606هـ ، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1421/1هـ) .

46- الرازي ، أبو القاسم تمام بن محمد ، ت414هـ ، **الفوائد** ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة الرشد الرياض ، (ط1412/1هـ) .

47- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت 721هـ ، **مختار الصحاح** تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، (طبعة سنة 1415هـ) .

48- الراغب ، الحسين بن محمد الأصفهاني ، ت 502هـ ، **المفردات في غريب القرآن** تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة لبنان ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

49- رضا ، محمد رشيد ، ت 1354هـ ، **تفسير المنار** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ، (طبعة سنة 1972م) .

50- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، ت 1301هـ ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، دار الهداية ، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) .

51- الزحيلي ، وهبة ، **التفسير الوجيز** ، دار الفكر دمشق ، (ط1416/2هـ) .

52- الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله ، ت794 هـ ، **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ، (ط سنة 1391 هـ) .

53- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت 538هـ ، **أساس البلاغة** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1399هـ) .

54- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ، ت 538هـ ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

55- ابن أبي زمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **تفسير القرآن العزيز** تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة وغيره ، دار الفاروق الحديثة القاهرة ،(ط1/ 1423) .

56- الزيلعي ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد ، ت762هـ ، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة الرياض ، (ط1414/1هـ) .

57- زين الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، ت795هـ ، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1417/7هـ) .

58- السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي ، ت771هـ ، **طبقات الشافعية الكبرى** تحقيق : محمود محمد الطناحي وغيره ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع بدون بلد نشر ، (ط1413/2هـ) .

59 - ابن سعد ، أبا عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ت230هـ ، **الطبقات الكبرى** ، دار صادر - بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

60 - السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ت 1376هـ ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق : ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (طبعة سنة 1421هـ) .

61 - السعدي ، أبو القاسم علي بن جعفر ، ت 514هـ ، **الأفعال** ، عالم الكتب بيروت ، (ط1/1403هـ) .

62 - أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ت 982هـ ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

63 - السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ، ت 487هـ ، **تفسير القرآن العزيز** تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغيره ، دار الوطن الرياض ، (ط1/ 1418هـ) .

64 - السمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد ، ت 375هـ ، **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم** ، تحقيق : محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

65 - السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ، ت 911هـ ، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1993م) .

66 - السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ، ت 911هـ ، **لباب النقول في أسباب النزول** ، دار إحياء العلوم بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

67 - الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ت204هـ ، **الأم** ، دار المعرفة بيروت ، (ط2/1393هـ) .

68- الشافعي ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ، ت571هـ ، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حلّها من الأماثل** ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر بيروت ، (ط سنة 1995م) .

69- الشرباصي ، أحمد ، **يسألونك في الدين والحياة** ، دار الجيل بيروت ، (ط1977/1م) .

70- شلتوت ، محمود ، **تفسير القرآن الكريم** ، دار القلم بدون بلد نشر ، (ط3/ 1965م) .

71- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار ، ت 1393هـ ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1415هـ) .

72- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، ت 1250هـ ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

73- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، ت 1250هـ ، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار** ، دار الجيل بيروت ، (طبعة سنة 1973 م) .

74- الصابوني ، محمد علي ، **صفوة التفاسير** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1420هـ) .

75- الصالح ، صبحي ، ت1406هـ ، **مباحث في علوم القرآن** ، دار العلم للملايين بيروت ، (ط1988/17م) .

76- الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، ت 211هـ ، **تفسير القرآن** ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشيد الرياض ، (ط1410/1هـ) .

77- طبّارة ، عفيف عبد الفتاح ، **روح القرآن الكريم تفسير جزء قد سمع** ، دار العلم للملايين ، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) .

78- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، ت310هـ ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1405هـ) .

79- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، ت 1393هـ ، **التحرير والتنوير** ، الدار التونسية للنشر ، (طبعة سنة 1972م) .

80- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، دار الفكر بيروت ، (ط1401/2هـ) .

81- ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد ، ت463هـ ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، (ط1412/1هـ).

82- العبدري ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم ، ت897هـ ، **التاج والإكليل لمختصر خليل** ، دار الفكر بيروت ، (ط1398/2هـ) .

83- ابن عبد الوهاب ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ، ت 1206هـ ، **الفتاوى** ، تحقيق : صالح بن عبد الرحمن الأطرم وغيره ، مطابع الرياض الرياض ، (ط1/بدون سنة نشر) .

84- العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني ، ت 806هـ ، **طرح التثريب في شرح التقريب** ، تحقيق : عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/ 2000م) .

85- ابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله ، ت 543هـ ، **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر لبنان ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

86- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ، ت 541هـ ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية لبنان ، (ط1/1413هـ) .

87- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، (ط1/1412هـ) .

88- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ ، **العجاب في بيان الأسباب** ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس ، دار ابن الجوزي السعودية ، (ط1/1418هـ) .

89- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، ت 852هـ ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

90- العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد ، ت855هـ ، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

91- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ت 505هـ ، **إحياء علوم الدين** ، خرّج أحاديثه : زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، مكتبة مصر مصر ، (طبعة سنة 1998م) .

92- الغلاني ، صلاح بن محمد ، ت1218هـ ، **قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر** ، تحقيق : عامر حسن صبري ، دار الشروق مكة ، (ط1/1405هـ) .

93- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، ت 395هـ ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، (ط2/1420هـ) .

94 - الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، **كتاب العين** ، تحقيق : مهــدي المخزومـــي وإبــراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (بدون بلد نشر ولا طبعة ولا سنة نشر) .

95 - ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد ، ت 799هـ ، **الديباج المذهب في معرفــة أعيان علماء المذهب** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

96 - القاري ، علي بن سلطان محمد ، ت1014هـ ، **مرقــاة المفــاتيح شــرح مشــكاة المصابيح** ، تحقيق : جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1422/1هـ).

97 - ابن قاضي شهبة ، أبا بكر بن أحمد بن محمد بــن عمــر ، ت851هـــ ، **طبقــات الشافعية** ، تحقيق : الحــافظ عبــد العلــيم خــان ، دار عــالم الكتــب بيــروت ، (ط1407/1هـ) .

98 - ابن قدامة ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ، ت744هـ ، **العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** ، تحقيق : محمد حامد الفقــي ، دار الكتــب العلميــة بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

99 - القرافي ، شهاب الدين أحمد بن إدريس ، ت 682هـ ، **الذخيرة** ، تحقيــق : محمــد حجي ، دار الغرب بيروت ، (طبعة سنة 1994م) .

100 - القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت 631هـ ، **الجــامع لأحكــام القرآن** ، دار الشعب القاهرة ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

101 - القسطنطيني ، مصطفى بن عبد الله الرومي ، ت1050هـ ، **هدية العارفين أســماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (طبعة سنة 1413هـ) .

102 - قطب ، سيد ، ت 1386هـ ، **في ظلال القــرآن** ، دار إحيــاء التــراث العربــي بيروت ، (ط1386/5هـ) .

103 - القنوجي ، صديق بن حسن ، ت1357هـ ، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية بيروت ، (طبعة سنة 1978م) .

104 - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، ت751هـ ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة بيروت ، (ط1407/14هـ) .

105 - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، ت 751هـ ، **الفوائد** ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1393/2) .

106 - (**الكتاب المقدس**) ، طبعة سنة 1991م .

107 - ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي ، ت 774هـ ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار الفكر بيروت ، (طبعة سنة 1401هـ) .

108 - الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي ، ت 741هـ ، **التسهيل لعلوم التنزيل** دار الكتاب العربي بيروت ، (ط1403/4هـ) .

109 - ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، ت 273هـ ، **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

110 - الماوردي ، أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، ت450هـ ، **النكت والعيون ، المعروف بتفسير الماوردي** ، راجعه وعلّق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

111 - مجاهد ، أبو الحجاج بن جبر المخزومي التابعي ، ت 103هـ ، **تفسير مجاهد** تحقيق : عبد الرحمن الطاهر ، دار المنشورات العلمية بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

112- مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت 261هـ ، **صحيح مسلم** تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

113- مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) .

114- مقاتل ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، ت150هـ ، **تفسير مقاتل بن سليمان** ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/1424هـ) .

115- المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن مفلح ، ت763هـ ، **الفروع وتصحيح الفروع** تحقيق : أبو الزهراء حازم القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط1/ 1418هـ) .

116- المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ت 1031هـ ، **التوقيف على مهمات التعاريف** تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر بيروت ، (ط1/1410هـ) .

117- المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ت 1031هـ ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** المكتبة التجارية الكبرى مصر ، (ط1/1306هـ) .

118- ابن منظور ، محمد بن أبي العز مكرم بن علي ، ت 711هـ ، **لسان العرب** ، دار صادر بيروت ، (ط1/بدون سنة نشر) .

119- النسفي ، عمر بن محمد بن إسماعيل ، ت 537هـ ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر) .

120- نوفل ، أحمد ، **سورة يوسف دراسة تحليلية** ، دار الفرقان عمان ، (ط2/1420هـ) .

121 - النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرّي ، ت 676هـ ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (ط1392/2هـ) .

122 - ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، ت 213هـ ، **السيرة النبوية** ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت ، (ط411/1هـ) .

123 - الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ت 468هـ ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق ، (ط1415/1هـ) .

124 - ياسين ، محمد نعيم ، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه** ، مكتبة الفلاح الكويت ، (ط1407/5هـ) .

125 - ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، ت 626هـ ، **معجم البلدان** ، دار الفكر بيروت ، (بدون طبعة ولا سنة نشر) .

126 - www . tafseer . org

An – Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Breach in the Holy Quran

By
Mohammed A.Mahmud Al Haj Hasan

Advisors
Dr . Odeh Abdallah

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Usool e-Deen , Faculty of Graduate Studies , at An- Najah National University , Nablus , Palestine .
2010

Breach in the Holy Quran
By
Mohammed A. Mahmud Al Haj Hasan
Advisors
Dr . Odeh Abdallah

Abstract

Breach of trust is outrageous crime . The holy Quran assures its danger and confirms it in several verses . These verses talk about the different sides of this breach . They talk about the features of the betrayers , in addition to their deeds . There are examples of breach , such as , breach of religion , honour , land , and organs . Holy Quran shows us the breach of the people of the book , the wife of Al- Aziz , the wives of prophets Nouh and Lut , Yousif's brothers , and the breach of Hateb . It also shows the end of the betrayers . This is the way that Quran deals with this habit .

I studied the verses carefully and in an objective way . I defined the breach in two forms ; in language and in tradition . I also showed the meaning in context .

It is a comprehensive breach that include all trusts , of religion and the legitimate orders , the trust of honor , holy lands , self ,organs and others.

I studied it through the word "breach" and its synonyms as it is in Quran : cunning , hypocrisy , spying and so on .

I used various explanation books and I obtained the lessons with meanings . I classified them into 4 sections . The first one is a definition, secondly, its types , thirdly Quran forms of breach , e.g : the breach of people of the book , the wife of AL – Aziz … .

In the fourth section , about the breach in the verses of hypocrisy I mentioned the features and deeds of betrayers , and the end of the breach in life and after death . I illustrated the method of Quran in dealing with this habit , either by cure or prevention .